مكتبة الثقافة الشعبية

٣



تأليف

من كتابها

ترجمة

أحمد مصطفى

الصين المتحررة

مكتبة الثقافة الشعبيّة

الصّين المتحرّرة

تأليف : نخبة من كتابها
ترجمة : أحمد مصطفى

دار المعــارف بمصــر

CHINA IN TRANSITION

SELECTED ARTICLES 1952 - 1956

BY WRITERS FOR

CHINA RECONSTRUCTS

PEKING 1957

ملتزم الطبع والنشر دار المعارف بمصر

إهـــداء

الى كل أخ تظله سماء الشرق المجيد ..

الى كل بطل ألهب نيران الثورة على الظلم والاستعمار ..

الى أرواح الشـــهداء الذين اســـتعذبوا الموت فى سبيل الحرية والاصلاح ..

اليهم جميعا أهدى هذه الصور الخالدة من النضال والكفاح ..

أحمد مصطفى
وزارة التربية والتعليم
أدارة التدريب

من مقدمة الناشر الصينى

لقد دخلت مجلة « الصين تبنى من جديد » فى عامهـا الخـامس سنة ١٩٥٦ ، اذا فقد مضى على ظهور هذه المجلة خمس سنوات ، وهى نفس السنوات ، التى شهدت التطورات والأحداث الهامة ، فى تاريخ شعب الصين المجيد ، ولذا فقد اقتبسنا منها هذه المجموعة من المقالات .

ففى مستهل هذه السنوات الخمس ، كان الشعب الصينى قد بدأ نضاله ، من أجل رد اعتباره فى أعقاب حرب دمرت بلاده فبدأ تثبيت أقدام الديموقراطية فيها ، .ثم توج الشعب كفاحه بتحقيــق أغراضه سنة ١٩٤٩ ، وحينما شارفت تلك الأعوام على الانتهاء ، كانت الصين قد دعمت اســتقلالها الاقتصــادى ، ووضعت الأسس لبناء كيانها الاجتماعى على نظام اشتراكى .

وها نحن نضع بين يدى القراء اثنين وسبعين فصــلا انتخبناها من بين ستمائة مقالة [١] ، نشرتها تلك المجـلة فى مختلف الموضوعات ، ودبجها يراع كثيرين من رجال التعليم ، وحملة الأقلام ، ورجال الفكر والصحافة ، وآخرون من رجال الأعمال والمـال ، بل منهم الفلاحون ، وعمال المصانع .

ومن هذه المقالات ، يتضح للقارىء مدى الجهد الذى ساهم به هؤلاء

(١) اخترنا منها مايهم القارىء العربى .

الكتاب في بناء وطنهم من جديد ، وسيرى القارىء أن منهم أناسا لمعت أسماؤهم ، وعرف الناس بها خارج حدود الصين ، ومنهم أناس كانوا مغمورين ؛ لم يسمع عنهم العالم ، أو يعرف عنهم شيئا الا فى تلك السنوات الأخيرة ، بل منهم من لم يعرف الا منذ أشهر قليلة ، حينما نشطوا للعمل فعرفهم العالم ٠

ولا يتسع هذا الكتاب الصغير لسرد كل ما قام به هؤلاء الناس من أعمال ، وبذلوا من جهود لخلق امتهم وبعثها من جديد ، باسم جمهورية الصين ، تلك الجمهورية التي يبلغ تعداد سكانها ستمائة مليون نسمة ، أى ما يوازى ربع تعداد الجنس البشرى فى العالم ، ولكن حسبنا أن نوفق الى عرض صورة واضحة لما قام به هذا الشعب المجيد ، رجالا ونساء ، شيبا وولدانا ، من كفاح في تلك السنوات الحافلة بالأحداث٠

ولنتعقب كفاح شعب الصين منذ البداية ، ففى سنة ١٩٥٢ حينما قبض الشعب على زمام الأمور فى البلاد ، وأصبحت السلطة فى يده ، أصدرت الحكومة قانون الاصلاح الزراعى ، وبمقتضاه وزعت الأراضى على الفلاحين فى جميع أنحاء الجمهورية ، عدا الجهات التى يسكنها أقليات من الوطنيين ، فكان ذلك أول لبنة فى بناء صرح استقلال الصين الاقتصادى ، ثم أعدت مشروعات ضخمة تكفل الاشراف التام لمراقبة الأنهار ، فتجنب خطر فيضاناتها أو جدبها ، وتلا ذلك تقسيم البلاد الى معسكرين هامين ، يشرف على أحدهما حزب « سان فان » والثانى « قوتان » ٠ وهذان المعسكران كانت مهمتهما تطهير الأداة الحكومية من الفساد والرشوة ، والتخلص ممن حامت حولهم الشبهات ، ومحاربة الكسب الغير مشروع ، أو الاثراء على حساب الغير عن طريق التجارة أو الصناعة ، فقاما بحملات ضخمة موفقة ، وكللت جهودها بالنجاح ٠

وما وافى عام ١٩٥٣ ، حتى بدأت الصين فى تصنيع البلاد ، تنفيذا لمشروع الخمس سنوات ٠ ومما ساعدها على ذلك ما تلقته من مساعدات

فنية قيمة من الاتحاد السوفيتى وغيره من الدول المماثلة له ٠ وبذا بدأت فى وضع الأسس للنهوض بالصناعة على نظام اشتراكى ٠ ومما كان له أطيب الأثر فى ذلك ، ايمان الشعب أن الصناعة هى السبيل الوحيد الذى يحقق سلامة استقلال البلاد ، والسير بها قدما نحو الأمام ٠٠

وفى مستهل عام سنة ١٩٥٤ ،كان مشروع السنوات الخمس قد خطا خطوات واسعة نحو التقدم ، اذ تقدمت الصناعة والمواصلات تقدما ملموسا ، كما ظهر أثر تقدم الزراعة فى ظروف تعرضت فيها البلاد لكوارث طبيعية ، مما كان يسبب حدوث مجاعة فى ظروف مماثلة فى الماضى ، ولكن البلاد اكتفت بمحصولاتها ذاتيا واجتازت الأزمة بسلام ٠

ومما تجدر الاشارة اليه ، أهم حدث داخلى حدث فى الصين ، اذ فتح باب الانتخاب الحر لاختيار أعضاء لمجلس الأمة الوطنى ، على أسس ديموقراطية سليمة ، لا فرق بين عظيم وحقير ، وأتيحت الفرصة للشعب لانتخاب من يمثله أصدق تمثيل ، فلا فوارق ، ولا تعصب ، ولا شغب ولا تحيز ، ووفقا لدستور محل البرنامج العام الذى أقرته جميع الأحزاب الديموقراطية سنة ١٩٤٩،تحت لواء الحزب الاشتراكى، وفضلا عن تأسيس حكومة ديموقراطية وطيدة ، لقى الدستور الجديد تأييد جميع أعضاء الأحزاب الديموقراطية ما دام يحقق الأغراض التى من أجلها وضع البرنامج العام للخمس سنوات ، ويسير على سياسته التى انتهجها ، وضرب بذلك المثل الأعلى فى اصدار قانون الاصلاح الزراعى ٠

ولقد عمدت حكومة الشعب فى الصين الى توطيد علاقاتها الخارجية بجيرانها فى آسيا فزارها « نهرو » رئيس وزراء الهند ، و « بونوز » رئيس وزراء بورما٠ ولقد لعبت الصين دورا هاما فى المؤتمر الذىعقد فى « جنيف » لحل مشكلة الهند الصينية ، فانتشر السلام فى ذلك الجزء

من العالم بعد حرب دامت تسع سنوات ، ولم تعد تهدد حدود الصين الجنوبية ٠

وما أن حلت سنة ١٩٥٥ حتى كان مشروع الخمس سنوات ، قد بلغ الذروة ، اذ توفر فى البلاد ما تحتاجه من انتاج للصلب والآلات ، والوقود اللازم للصناعة ، وتوليد القوى بما يعادل ضعف انتاجها فى عام سنة ١٩٥٢ ، وضربت محاصيل الحبوب والقمح رقما قياسيا فى وفرة الانتاج ، فاتخذت قرارات خطيرة لتعميم الاشتراكية فى جميع مرافق البلاد ٠

ولقد كان لما قامت به حكومة الشعب فى الصين من مجهود فى المؤتمر الذى عقد فى « باندونج » أثر فعال فى فتح آفاق جديدة لتعاون الأمم الآسيوية والافريقية ، فاتحدوا ضد الاستعمار الأجنبى ، وصمموا على الاستقلال ، والنهوض ببلادهم ، وحقا لقد كانت تلك الثمار اليانعة أحد الدعائم القوية التى أرسيت عليها قواعد السلام الذى سبقت اليه الهند والصين وبورما ، وعلى تلك الأسس الخمس ، مدت الصين يدها للولايات المتحدة من أجل السلام ٠

وأما سنة ١٩٥٦ ، فقد كانت بلا شك السنة التى توجت جهاد الشعب الصينى المجيد ، ووضعت على جبين كل فرد فيه اكليلا من الغار ، فكما حقق الشعب تحرر بلاده سنة ١٩٤٩ تحقق له نصر الاشتراكية سنة ١٩٥٦ ، اذ عمل سكان الريف على تعميم النظام التعاونى ، لما ظهر لهم من فائدته فى توفير الجهود الضائعة ، ووفرة الانتاج ، وانتصر العمل فى الحقل على نواح معدودة ، واعتمد على الآلات الميكانيكية ، وبذا وضحت لهم فائدة الأساليب الحديثة التى اتبعت فى الزراعة ، وستتبع فى المستقبل ٠

وقد صار حق كل مواطن فى الصين أن يساهم بجهده فى خدمة

أغراض الجمهورية فيسارع بتسجيل اسمه ، ان رغب ، ليتلقى تدريبا في نوع العمل الذى يريده مهما كان لونه السياسى السابق ، أو طبقته التى ينتمى اليها ، ومن هنا تحققت أغراض الديموقراطية على الوجه الأكمل ، وأتيحت الفرصة للانتفاع بجميع كفايات أفراد الشعب بتأسيس معاهد على النظام الديموقراطى ، ومنحت سلطات واسعة للحكومات المحلية ، حتى تلك التى تتمتع بالاستقلال الذاتى ، ويسكنها أقليات صينية ، وتوطدت العلاقات بين مختلف الأحزاب السياسية ، اذ كان لها حق الاشراف بالتناوب على أعمال الحكومة • واتبعت سياسة التوسع فى العلوم والنهوض بالآداب ، فأكثر من فتح المدارس وغرس الأزهار •

وبنهاية عام ١٩٥٦ ، كانت لاتزال هناك سنة باقية على إتمام مشروع الخمس سنوات ، ولما كانت ورة الصين قد حققت معظم أهدافها ، أو توفر لها الصلب اللازم لها فى الأغراض الصناعية أنتجت فى مصانع البلاد الوطنية الكثير مما يلزمها من آلات ، وصنعت لأول مرة سيارات صينية وطائرات ، وكثير من الأشياء الأخرى الهامة ، وتوفر للشعب الغذاء والكساء ، وأتيح له تعليم أفضل ، فعاش حياة أسعد مما كان يحياها فى الماضى • فزاد اطمئنانهم وحسن تفاؤلهم بالمستقبل •

أما فى ميادين التجارة الخارجية أو العلاقات الودية مع غيرها من الامم ، فقد كسبت الصين نصرا لايقل شأنا عن انتصارها الداخلى ، اذ اتجهت اليها الأنظار ، وأصبحت الصين وجهة كثير من رجال السياسة البارزين ، فقد زارها الرئيس «سوكارنو» رئيس جمهورية أندونيسيا والرئيس « أوكاريا » رئس نيبال • ومن جهة أخرى فقد قام الرئيس « شو اين لاى » رئيس جمهورية الصين من جانبه بزيارة أحد عشر مملكة فى آسيا وأوروبا • ولقد كان لمؤتمر باندونج ، وما اتخذ فيه من قرارات ، أكبر الاثر فى نفوس أعضاء جميع الامم التى اشتركت فيه ، بما ظهر من تضامنهم واتحادهم فى الثورة على الاستعمار ، والقضاء على

الرجعية ، وما حدث من القضاء على سياسة التوسع الاستعماري وغزوه الفاشل لمصر الذي انتهى بخيبة أمله وتجرره ٠

وإذا ما رجعنا الى الوراء قليلا ، نرى أن الصين كانت فى سباق مع الزمن للوصول ببلادها الى غاية ما ترجوه من تقدم ، ولكن ما زالت أمام شعب الصين المجيد واجبات أكثر ، فان ما حقق من نصر ، ان هو الا بداية لاعمال عظيمة سوف تحققها فى المستقبل القريب ان شاء الله ، وانا لنرجو لهذا الشعب المكافح كل توفيق وسداد ٠

أما ما قام به شعب الصين من أعمال ، وما زال أمامه ليعمله ، وما حققه من أعمال ، وما صادفه من أخطاء ، وما دار فى خلده من أفكار وآمال ، فانا نعرضها الى حد ما فى هذا الكتاب ٠ والله أسأل أن يلهمنا الصواب ٠

رئيس تحرير مجلة
« الصين تبنى من جديد »

١ — شعب تحرر

ان ما نلمسه الآن من نهضة فى الصين ، ما هو الا نتيجة لكفاح شعبها المتواصل ، الذى ظل يكافح ويناضل سنوات عديدة • فلقد ظلت هذه الامبراطورية فريسة للاستعمار الاجنبى ، ومطمعا لتوسعه ، ونهبا للاقطاعيين الذين كانوا يتحكمون فى رقاب الشعب ، فأخذت معاول الهدم تعمل فى هذه الامبراطورية القديمة فترة من الزمن ، أتت على كل شىء فيها ، فعمها الفقر المدقع ، وانتشر فيها الجهل ، مما حدا بالبلاد الى التأخر عن ركب الحضارة ، ولكن شعبها الحر الأبى كانت تغلى فى عروق أفراده دماء الحرية ، ونفوسه متعطشة الى الحياة الكريمة ، فعندما نشبت حرب « الأفيون » سنة ١٨٥٩ جابهها الفلاحون بثورتهم سنة ١٨٥٤ • ثم تلتها الثورة المعروفة باسم « حرب الملاكمين » ، سنة ١٩٠٠ ، وبعد نضال عنيف وصراع مع الاستعمار، وحرب على الاقطاع، قدر لهذه الامبراطورية المتداعية أن تنهار، وأعلن الشعب ميلاد جمهورية فتية ، هى جمهورية الصين الحالية سنة ١٩١١ •

ولقد أثبتت التجارب ، من كل ما سبق ، أنه كان لابد وأن تحدث ثورة اجتماعية فى الصين ، اذ كان لابد من تغيير النظم والأوضاع التى كانت قائمة بها قديما ، وأن سياسة التخبط فى تغيير الحكومات واقامة غيرها ، لم يجد نفعا ، ولم يقف حائلا فى وجه الشعب الذى أراد لنفسه الحياة فوهبت له الحياة •

ولقد اتخذ كفاح الشعب صورة منظمة ، حينما انضم الفلاحون وكل الطبقات التى كانت ترزح تحت كاهل الظلم والاستبداد تحت لواء

« الحزب الاشتراكى » المتطرف سنة ١٩٢٦ . وظل هذا الكفاح يستعر أواره مدى ثلاثين عاما الى أن تحققت رغبة الشعب،فحصل على استقلال بلاده سنة ١٩٤٩ ، وانتقلت السلطة الى يد الشعب ، فقضى على كل العوائق التى كانت تعوق سبيل التقدم ، وأخذت البـلاد وجهتها نحو النهوض بمرافق الحياة المختلفة .

٢ — حكومة الشعب

لقد ظل شعب الصين المكافح يناضل أعداءه فى الداخل والخــارج ، ولقد لقيت ثورة الشعب التأييد من جميع شعوب العالم ، بل لقد كان ولا يزال لها أصدقاء فى جميع الأقطار ، ولقد عبر عن تلك الحقيــقة الرئيس « ماوتسى تانج » ، حيث استهل بها خطابه ، فى أول مؤتمر سياسى عقده الشعب فى أول أكتوبر ســنة ١٩٤٩ ، وكان ذلك أول مؤتمر عقد بعد اعلان ميلاد جمهورية الصين المستقلة ، حيث رفع علمها ذى النجوم الخمسة القرمزية .

ولقد كان هذا المؤتمر يمتاز بأنه أول مؤتمر ديموقراطى ، عقد فى الصين ، اذ كان يضم أناسا من مختلف الطبقات ، ويشمل أعضاؤه البالغ عددهم ٦٦٢ عضوا ، على ممثلين من جميع الأحزاب الديموقراطية ، التى تمثل الشعب حق التمثيل . فهناك أعضاء من الاشتراكيين المتطرفين ، واليهم يعزى الفضل فى الثورة على « الاقطاع » والقضاء عليه ، وهناك أعضاء ممن قاموا بحملات على « الرأسمالية » حتى أتوا عليها ، وهناك صناع مهرة ممن تدربوا فترة من الزمن على أساليب المقاومة ، وقاموا بنصيب كبير فى الجهاد لتحرر البلاد ، وهناك فلاحون ممن تطوعوا لحمل السلاح ، لتحقيق حلمهم القديم ، الذى طالمــا داعب خيــالهم ، وهو « اعطاء الأرض لمن يزرعها » فتحقق لهم ما أرادوا ، بقوة شكيمتهم ، ومضاء عزمهم ، وايمانهم بحقهم . وهناك رجال الفــكر الذين كانوا يشحذون الهمم ويثيرون الأذهان بخطاباتهم ومقالاتهم ، وصمدوا فى وجه الاستبداد ، غير مبــالين بما كان يلقــاهم به رجال الحــكومة من

اضطهاد ، اذ لم ينتابهم وهن فى مضاء عزيمتهم ، أو يفت فى عضدهم ، مالاقوه من تعذيب • وهناك رجال الأعمال الوطنيين ، الذين كافحوا طويلا من أجل خلق صناعات وطنية لاحلالها محل الأجنبية ، فى ظروف كانت البلاد فيها ، فيما يشبه الاحتلال المقنع ، اذ كانت تعانى تأخرا فى أعقاب الاحتلال • ولقد تدارس أعضاء هذا المؤتمر كل تلك النواحى وبحثوا حالة بلادهم ، وما تعانيه من تأخر ، ثم استقر بهم الرأى ، على ضرورة ايجاد برنامج يستخدم كدستور مؤقت لمدة خمس سنوات ، ويشرف على تنفيذه حكومة مركزية • ثم استمر المؤتمر يؤدى رسالته كبرلمان مؤقت لحكومة الصين ، الى أن تم أول انتخاب عام فى الصين سنة ١٩٥٤ ، حيث انتخب مائتى وست وسبعون مليونا من أفراد الشعب ممثلوهم فى المجالس البلدية ، ومجالس المديريات وما يماثلها فى مختلف الأقاليم المستقلة ذاتيا ، وأخيرا تم انتخاب الشعب لحكومة الصين الوطنية الحالية ، التى وضعت للبلاد دستورا يحقق أغراض النظام الاشتراكى المتطرف ، ويهدف اليه •

٣ — ثورتان من أجل الأرض

لقد جنى شعب الصين ثمرة كفاحه الطويل ، فأعلن قانون الاصلاح الزراعى سنة ١٩٥٢ ، فقضى بذلك على المهانة والاستبداد ، اذ لم يعد هناك مستأجرين من صغار الزراع أو أجراء يعملون فى المزارع ، ليسدوا رمقهم لقاء دريهمات معدودات • فأصبح كل زارع للأرض رجالا كان أم امرأة مالكا لها ، ولم يعد هنـــاك معـدمين • وهكذا قضت الثورة الاشتراكية على الاقطاع فذهب الى غير رجعة •

ونتيجـة لمـاكان يصطخب فى قلب كل فلاح ، قامت ثورة أخرى سنة ١٩٥٦ ، لا تقل شأنا عن الثورة السابقة ، وتمخضت هذه الثورة، عن ضرورة ايجاد نظام — رحب به تسعة أعشار الفلاحين ، وهو وضع جميع مواشيهم وآلاتهم ، وأراضيهم فى نظام تعاونى يساهم فيه الجميع •

ولقد تغير وجه الريف القاتم ، وأصبح نضرا ، يشع خضرة وبهاء ، واندمجت كل الملكيات الصغيرة فى بعضها ، ولم يعد هناك وجود لأشرطة ضيقة من الارض ، تجاورها مربعات صغيرة ، لا تناسق بينها ، وفقا لملكية أصحابها • وحل محـل ذلك حقول كبيرة خضراء ، تنتـظر آلات الحصاد الضخمة ، لضمها فى الوقت المناسب حينما يتم نضج نباتاتها •

ومن هنا يتضح لنا أن الثورة الأولى على الاقطاع ، كانت للقضاء على الرأسمالية فى الريف ، اذ كانت الثروة فى يد أفراد قلائل يتحـكمون فى رقاب كثيرين من المعدمين • أما الثورة الثانية فقد قام بها الفلاحون من أجل امدادهم بالبذور ، والماشية والآلات • فبعد أن تملكوا الارض

تطلعت أنظارهم الى وفرة الانتاج • ولذا تكونت منهم جماعات للعمل بالتناوب من أجل الجميع ، فكان هذا تمهيدا لنظام نصف اشتراكى • ثم تكونت من هؤلاء جماعات تخصصت لخدمة الأغراض الزراعية عن طريق التعاون ، ولقد وضح لسكان الريف قيمة النظام الاشتراكى وأثره فى الانتاج بما حصلوا عليه من ربح يعادل قيمة ما يملكون من أرض ، كما حصلوا على قدر من المحصول يعادل قيمة عملهم ويعوضهم عنه • وبذا تحولت جميع الأراضى الزراعية فى الصين الى مزرعة كبرى تزرع عن طريق التعاون بين الأفراد ، على النظام الاشتراكى ، واستخدمت آلات ميكانيكية فى الزراعة ، صارت ملكا شائعا للجميع، وأصبح العمل هو المصدر الوحيد للكسب •

ولقد آمن أفراد الشعب بهذا النظام ، اذ تحسن حال الفلاح ، وانتعشت حياته ، لاتباع أحدث الوسائل العلمية فى الزراعة ، وتوحيد الجهود ، وتضافر القوى ، للعمل فى مزرعة واحدة كبرى ، يعم خيرها على الجميع ، مما لا يتيسر لهم الحصول عليه لو عملوا فرادى •

ومما زاد ايمان الشعب ، بفائدة هذا النظام الجديد ، الذى أتبع فى الصين ، أنه بالرغم من أن ثلاثين مليونا من الأفدنة تقريبا قد أضر بها الفيضان سنة ١٩٥٤ ، وبالرغم من ذلك كان المحصول فى الصين فى تلك السنة أوفر المحصولات ، وحصل الفلاحون على دخل يفوقه ما كانوا يتوقعونه •

٤ — من الرأسمالية الى الاشتراكية

فى ذلك النزاع الطويل من أجل التحرر الوطنى فى الصين ، قسم الرأسماليون أنفسهم الى جماعتين ، احداهما جماعة المحتكرين الاستبداديين ، وهم الذين كانوا فى نفس الوقت يرسمون السياسة العليا لحكومة « الكومنتاج » ، وهذه انحازت الى جانب الرأسمالية والرجعية . ومع أنهم كانوا أقلية فى العدد ، الا أنهم كانوا على جانب كبير من الثراء ، ولم يكن يعنيهم أن تصبح الصين رهينة ، طالما كانت قوتهم هم فى ازدياد مضطرد ، وجيوبهم يتدفق اليها المال ، وتنتفخ أوداجهم صلفا وكبرياء ، على بقية أفراد الشعب المسكين .

والى جانب هؤلاء كانت توجد جماعة أخرى ، وهى التى كانت تسيطر على المصانع فى البلاد ، وهم من رجال الأعمال الذين كانوا يضعون أصابعهم فى كل مصنع ، اذ كانوا يديرونها بأموالهم ، فضلا عن احتكار الحكومة لها ، وهؤلاء لم يواجهوا ثورة الشعب بأى عداء ، وكان يهمهم أن تتحرر البلاد ، حتى أن منهم من اشترك فى خدمة أغراض الثورة بصفة ايجابية كى تتاح لهم الفرصة فى استغلال أموالهم كرأسماليين وطنيين .

ولكن بمرور الزمن اتضح للعيان ، مساوىء ومزايا اشراك رؤوس أموال وطنية فى المشروعات الكبرى فى الصين ، فأما من حيث المزايا فانها قد ساعدت على انعاش التجارة ورواجها ، وأما من حيث مساوئها فانها قد ولدت روح المنافسة ونشرت الغش والخداع ، بغية اثراء البعض على حساب الآخرين ، ففسدت الحياة الاقتصادية ، واختل

ميزانها ، لانتهاج بعض المؤسسات سياسة ملتوية معينة تحقق لهـا مصالحها الذاتية ، وتهدف الى ابتزاز أكبر قسـط من الربح يمكنهـا الحصول عليه ، بغض النظر عن الصالح العام ٠

ولكن الحزب الاشتراكى على ضوء الحقائق السابقة ، عملا بسياسته التى تهدف الى وضع مصالح العمال ، ومصالح عامة الناس فى المكان الأول ، رسم لنفسه سياسة تحقق له مبادئه السابقة ، ولقى من أجل ذلك تعضيد الحكومة القائمة ، فاختص فريقا من الرأسماليين المواطنين ومنحهم عقودا وامتيازات تكفل لهم ربحا معقولا على أسس اشتراكية ٠

وظل الحزب الاشتراكى يحارب نشاط الفريق الأول من الرأسماليين المناوىء لسياسته ، فأحبط خططه، ووضع حدا للفوضى بطرق مختلفة، والفضل فى ذلك يرجع الى جماعة « فوفان » التى عهد اليها بتجريد حملات منظمة عليه ٠

وما أن حل شتاء سنة ١٩٥٥ المتداخل فى سنة ١٩٥٦ ، الا وكان الرأسماليون الصينيون قد تجمعوا بمحض اختيارهم ، وسـاروا فى الطريق المعبد المفتوح أمامهم، وأعلنوا انضمامهم تحت لواء الاشتراكية، وأصبحت الشركات الأجنبية الصينية جميعها ، هيئة مشتركة تديرها الحكومة والأفراد ، وظل ملاكها السابقون ، فى نفس وظائفهم ، التى كانوا يشغلونها من قبل ، يؤدون أعمالهم « كمديرين » ، ومنهم من نقل الى وظائف فى شركات أخرى ، وفقا لخبراتهم الفنية ٠ وقد كفلت لهم هـذه الشركات الحصول على ربح سـنوى كجزء من الثمن ، الذى قدر نظير الاستيلاء عليها ، ثم يصبحون بعد ذلك ، كباقى المواطنين ، يحصلون على أجر يتناسب وعملهم ، وفقا للنظام الاشتراكى ٠

٥ — العلم فى خدمة الشعب

بعد أن تحرر شعب الصين ، رسم لنفسه سياسة طويلة الأمد ، للنهوض بجميع مرافق البلاد ، من صناعية ، وزراعية ، واقتصادية ، ووجد الشعب أنه لا بد له من نهضة علمية ، لبناء الصين من جديد ، لتتخلص من تأخرها القديم ، وتساير ركب الحضارة •

وظلت الأمة تعمل جاهدة فى هذا المضمار ، على أن تصل الى أقصى غايتها من الكمال فى النواحى العلمية فى سنة ١٩٦٧ ، وهى نهاية السنة المتممة لمشروع السنوات الخمس « الثالث » ، ولذا فقد وضعت لنفسها برنامجا يحقق لها ما تريد ، فبدأت بوضع جميع امكانياتها ، وكفاياتها العلمية ، تحت اشراف عدد من العلماء ، وأمدتهم بالأجهزة اللازمة ، فدأبوا على البحث والاكتشاف العلمى • ثم أرسلت جماعة منهم الى الاتحاد السوفيتى ، وغيره من الأقطار ، للوقوف على أحدث الاكتشافات العلمية ، ومتابعة الأبحاث للوقوف على طرق استخدام أحدث الأجهزة ، واقتباس ما يمكن الاستفادة بها فى الصين • وبعد أن قضوا فترة من الزمن فى الدرس والتدريب ، عادوا الى وطنهم ، ليتولوا بدورهم تدريب غيرهم ، وتطبيق ما رأوه مناسبا لبلادهم •

ولقد دعى الى بلاد الصين ، أساتذة زائرون من المتخصصين فى العلوم والأبحاث ، لالقاء محاضرات فى الجامعات الصينية ، وبحث المشكلات المتعلقة بالزراعة والصناعة ، فضلا عن اعداد مراكز خاصة بالأبحاث تتبع كل الوزارة المتصلة بها • ولقد كان لتعاون هذه المراكز مع خبراء الروس أعظم الأثر فى النهوض بامكانيات البلاد

فنجحت رسالتها الى أبعد حد ، كما مهد ذلك التعاون لادخال ما يمكن أن يفيد منه الشعب ، ويوافق الحياة فى الصين ، مما أتى بنتـائج موفقة • كما لم تهمل الحكومة تشجيع المتفوقين من العمال والطلبة ، باتاحة الفرصة لهم للانتظام فى دراسات خاصة فى مختلف الجامعات، ليتلقوا مزيدا من التدريب العملى والنظرى •

ولم يغب عن شعب الصين اليقظ ، ما للصحف والمجلات العلمية الأجنبية من أثر بالغ فى تثقيف الشعب • فقد زاد اهتمامه بهـا ، ولذا دأب العلماء على تعلم كثير من اللغات ، حتى لا ينقطـع ما بينهم وبين العالم الخارجى من صلة ، بل لقد بلغ بهم الحد أن أعدوا قسما خاصا لترجمة جميع النشرات والمقالات العلمية ، بمجرد وصولها الى البلاد لانتفاع الشعب بها لما تحويه من أبحاث وآراء ، وتصـبح فى متناول الجميع •

ولقد لقى العلماء والباحثون من الحكومة كل تشجيع ومن الشعب كل تعضيد ، فلم يدخروا وسعا فى وضع أنفسهم فى خدمة بلادهم ، والعمل على رفع شأنه ، وتوسعوا وتعمقوا فى البحث والدراسـة ، لزيادة امكانيات البلاد ، فعمتها نهضة شاملة •

٦ — العلم للجميع

ان الاشتراكية لتؤمن بأن العلم ، هو الأساس المتين ، الذى ترتكز عليه دعائمها . فلكى تنهض الصناعة ، يجب أن يتخرج فى الجامعات آلاف من المهندسين ، كما يجب أن يتلقى العمال تدريبا مهنيا ، فضلا عن حصولهم على قسط من التعليم ، ولكى ينجح النظام التعاونى فى الزراعة ، يجب أن يصبح الفلاحون قادرين على ضبط حساباتهم بأنفسهم ، فضلا عن المامهم بأحدث التطورات العلمية ، التى تتعلق بالزراعة ، ولكى يعم نفع الخدمات الاجتماعية ، يجب أن يتوفر فى البلاد عدد من الأطباء ، ومن يعاونهم فى محيط عملهم من مختلف الشخصيات .

ومن أجل ذلك بدأت حكومة الشعب فى اعادة النظر فى مناهج التعليم العالى فى الصين ، فى الفترة ما بين سنة ١٩٥٠ ، سنة ١٩٥٢ لتفى بحاجة البلاد فى نهضتها الجديدة ، وركزت اهتمامها بنوع خاص على العلوم والفنون ، والحرف ، اذ خصت معاهدها بعناية خاصة . كما بذلت العناية لاستخراج المعادن وبحث طبقات الأرض ، واكتشاف منابع البترول ، وكيفية ادارة الورش ، على أسس علمية ، وبحث كل ما يمت الى الأعمال الهندسية بصلة .

ثم أخذت حكومة الشعب وجهتها نحو التوسع فى التدريب على الأعمال الزراعية ، واستغلال الغابات ، والنهوض بالطب ، والعناية بالفنون الجميلة . ولقد ارتفع عدد من سجلوا أسماءهم فى المدارس والمعاهد العليا ، والجامعات من ١١٫٦٠٠ الى ٢٠٠٫٠٠٠ ، هذا فضلا

عمن انتظموا فيسلك الدراسة منأبناء الأسر الريفية وطبقات العمال. كما اختصت صغار المواطنين بعناية خاصة ، فأتاحت لهم فرصة الدراسة بالمراسلات ، مع التيسير على من يريد منهم الحصول على دراسة أرقى ، بالانتظام فى فصول مسائية ، ولو كانوا ممن تقدم بهم السن ولا زالوا يزاولون مهنا مختلفة .

كما لم تدخر الحكومة وسعا فى النهوض بالتعليم الابتدائى ، والثانوى ، والدفع بهما الى الأمام . فكان من أثر ذلك أن أصبحت المدارس الابتدائية ، تضم خمسين مليون طفل صينى ، وهو ضعف العدد الذى كان بها قبل الثورة التحريرية . ورغم ذلك لم يصبح التعليم العام اجباريا بعد ، نظرا لما تعانيه البلاد من نقص فى هيئات التدريس ، وعدم توفر الامكانيات ، ولكن من المأمول أن يتم ذلك فى نهاية سنة ١٩٦٧ .

وكان من أثر تلك الجهود الموفقة ، أن أصبح ما يقرب من نصف فلاحوا الصين من صغار السن ومتوسطوه ، يتلقون دراسات منظمة مسائية ، بعد انتهاء أعمالهم اليومية ، تنفيذا لمشروع الخمس سنوات وما ينص عليه من ضرورة محو الأمية بين هذه الطبقات . وتسهيلا لنجاح هذا المشروع ، أدخلت الحكومة تبسيطا على اللغة الصينية كى يسهل فهمها . وقد اضطلع بهذا العمل الجليل « شين لى » نائب رئيس الوزراء . فأتاح بذلك الفرصة لمئات الملايين من أفراد الشعب فى الاقبال على التعليم بشغف، وأخذوا يرتشفون من مناهل العلم، ووضع بذلك فى أيديهم مفاتيح كنوز المعرفة .

٧ — النهوض بالصناعة

ان أى قطر لا يتوفر لديه الاكتفاء الذاتى فى الصناعة ، ولا يعتمد على موارد بلاده الاقتصادية فى تصنيع بلاده ، ويسمح لأية هيئة أجنبية باستغلال المواد والمصادر الأساسية اللازمة للصناعة ، لايقدر له أن ينهض صناعيا • ولهذا السبب كانت الصناعة متأخرة فى الصين ، قبل تحررها ، كما تأخرت فى كثير من الأقطار الافريقية والآسيوية ، اذ بلغ دخل الصين من انتاجها الصناعى أقل من خمس القيمة الحقيقية للموارد الزراعية والصناعية معا •

وما كانت المصنوعات فى الماضى الا مجرد بضائع استهلاكية من أبسط الأنواع ، لان الأجانب كانوا يسيطرون على أكثر أنواع الصناعات ازدهارا ، ومنها استغلال المواصلات ، والآلات الضخمة ، وكذا استخراج المواد الخام ، واعدادها للتصدير ، بينما كان انتاج الصلب مهملا • ولذا لم يتح للصين أن تنتج آلات ضخمة للنسيج مثلا ، أو أى آلات من النوع الثقيل ، اذ لم تكن هناك سيارات تصنع فى الصين ، أو قاطرات ، أو تربينات بخارية ، فلم نسمع بصنع شىء من هذا القبيل فى الصين من قبل • وخلاصة القول ، أن حكومات الصين السابقة لتحررها ، لم يحدث أن اهتمت بالصناعة لتحسين أحوال البلاد الاقتصادية ، أو حتى لخدمة أغراض الدفاع عنها والمحافظة على سلامتها •

ولكى نتفهم الخطوات التى خطتها حكومة الشعب فى الصين الحالية ، نحو التقدم بخطى واسعة لتحذو حذو الاتحاد السوفيتى فى نهضته

الصناعية ، يتضح لنا أن أىقطر يريد اقتحام ميدان الصناعة، لايتطلب منه الأمر ، أن يثور على النظم الحكومية القائمة ، التى قد تتسم بطابع الرأسمالية فحسب • فان ذلك قد يؤدى الى اضطهاد فريق من الناس غايتهم الاصلاح ، فتنعكس الآية ، ويصبحون عرضة لانتقام رجال الحكم • ولكن الطريقة المثلى ، هى أن تتآزر جميع طبقات الأمة لتعميم النظام الاشتراكى ، وذلك ما فعلته الصين المتحررة • فقد قامت بتأميم المشروعات الاستعمارية ، التى كانت قائمة وحولتها لمصلحة البلاد ، فقضت بذلك على كثير من الاحتكارات ، التى كان يقوم بها موظفو شركة « آليومنتاج » والتى كان طابعها الرأسمالية الاستبدادية ، مستندة على الاستعمار الأجنبى وأذنابه ، وتعمل جاهدة ، فى الخفاء ، لتوطيد نفوذه ، بشتى الوسائل •

ولطالما كانت تلك الشركات تعارض ، وتقف فى سبيل ادخال الصناعات الثقيلة أو حتى الخفيفة منها فى البلاد ، ولقد تغلغل نفوذها وتعدى الى كل فروع الانتاج المختلفة ، التى كانت فى حوزة بعض الأفراد عدة سنوات •

ولما وضح ذلك كله لحكومة الشعب ، ورأت ما يعانيه الشعب من فقر ، وما عليه البلاد من تأخر ، عقدت العزم على ضرورة القضاء على الرأسمالية الأجنبية ، ووجوب تأميم جميع الشركات التى تديرها ، والضرب بيد من حديد على النفوذ الأجنبى ووضع حد لتغلغل نفوذه ، وقد تحقق لها ما أرادت •

٨ — اتحادات ونقابات العمال

لقد تغير مركز العمال فى الصين المتحررة ، فبعد أن كان العامل يشتغل أربعة عشر ساعة متواصلة فى اليوم ، نظير أجر ضئيل لايسد رمقه ، ولا يتمتع بأى تأمين له ضد أخطار العمل ، أو يحظى بأى امتياز ، أصبحت الطبقة العاملة تتمتع بمركز الصدارة فى الدولة ، وأصبح مئات منهم يمثلون الأمة فى المجلس الوطنى ، ومئات الآلاف يشغلون مناصب هامة ٠

ولقد ظفر العمال بنصيب وافر من ايراد الدولة ، لتحسين مستوى معيشتهم ، كما خصصت الاتحادات التجارية جزءا كبيرا من دخلها للمساهمة فى مشروعات تأمين العمال ٠ ولقد كان لهذا أكبر الأثر ، فى خلق روح المنافسة بين العمال ، فى المحال التجارية ، والصناع فى مختلف المصانع ، حتى أن الاتحادات والنقابات ، أخذت تتابع نشر أحدث ما تقوم به من أعمال لتأمين العمال ، ليقفوا على ما يتخذ من خطوات فى سبيل اسعادهم ٠

كما لم تهمل المقترحات التى قد يقدمها العمال والصناع أنفسهم ، اذ تفحص بعناية للعمل على تحقيق ما يمكن تحقيقه منها ٠ ومن هنا زاد دخل المصانع والمؤسسات زيادة ملموسة ، فعاد بذلك الخير الوفير على العمال ، اذ زادت حصيلتهم ، وتمتعوا بكامل حقوقهم الديموقراطية ، وأصبح العمال فى الصف الأول من جنود الوطن ، وصاروا حربا على التحزب الادارى، أو الاجراءات التعسفية، مستعينين فى ذلك بمجالس العمال واتحاداتهم ونقاباتهم المختلفة ٠

٩ — العمال بين الأمس واليوم

منذ زمن ليس بالبعيد ، ذهبت ذات صباح،في زيارة الى «سيهنجتان» حيث توجد مصانع الحديد والصلب بالقرب من « بكين » لأرى مدى تطبيق قواعد التأمين على العمال ، وفقا لاشارة اتحاد العمال ، الذى أحالنى الى الاتصال ب « وانج سن » نائب مدير مصلحة تأمين العمال.

وهناك وجدت وانج فى مكتبه ، يتحدث الى سيدة فى مقتبل العمر، ترتدى بدلة العمال وقبعتهم ، وتحيط رقبتها بمنديل برتقالى كبير . ولما شرحت له السبب الذى أتيت من أجله ، مبديا استعدادى للانتظار حتى يفرغ من حديثه ، أجاب على الفور : لا داعى لذلك ، فقد أتيت فى الوقت المناسب . وعلى الأثر قدمنى للسيدة ، وكانت تدعى « تى هيسويو » ، ثم خاطبها قائلا : لقد سمعت الغرض من زيارة السيد ، فهل لى أن أشرح له حالتك ؟ فأحنت السيدة رأسها موافقة .

وعلمت أن تى هيسويو ، قد أتت بغيـة الحصول على معاش ، لأن زوجها كان يعمل فى المصنع منـذ ثلاث سنوات ، ولقى حتفـه فى حادثة ما . ووفقا للقانون ، تكفل المصنع بدفع مصاريف الدفن فى الحال ، وهى تعادل مرتب ثلاثة أشهر من مرتب زوجها . ثم رتب لها معاشا شهريا بعد ذلك ، وهو يعادل نصف آخر مرتب كان يتقاضاه زوجها . وكان ذلك من حصيلة تأمين العمال ولكن عن طريق المصنع تحت اشراف الاتحاد الذى يراقب توزيع مثل هذه المعاشات .

وعقبت السيدة « تى هيسو » قائلة ، انها حينما فقدت زوجها كانت لا تزاول عملا ما ، ولكن منذ وفاته التحقت بمدرسة الصناعات الملحقة بالمصنع ، كما كانت تتمنى دائما ، وبذا حصلت على عمل بورشة السيارات فى قسم النقل ، ولما حصلت على أجر انقطع معاش زوجها بالنسبة لها ، ولكن حماتها وابنتها الصغيرة كانا يحصلان على أربعين فى المائة من مرتب زوجها المتوفى ٠

ونظرا لأن حماتها لا تقدر على مزاولة عمل ما ، نظرا لكبر سنها ، فانها ستحصل على معاشها طول حياتها ٠ ولما سألتها : وهل تكفيك مواردك الآن ؟ أجابت : « ان حالى على ما يرام ، فحتى قبل أن ألتحق بالعمل ، كنا نعيش فى بيوت العمال فى المقاطعة ، معفون من الضرائب ، وثمن المياه ، وقيمة استهلاك الكهرباء ، والفحم ٠ وتركت ابنتى الصغيرة فى رعاية جدتها ، وبذا توفر لدى الوقت للالتحاق بمدرسة مسائية لتحسين معلوماتى ، وتثقيف نفسى » ٠

وبعد أن استأذنت السيدة « تى هيسو » منصرفة قال «وانج سن»: أؤكد لك أن هذه السيدة ستصبح ميكانيكية من الطراز الأول ، فهى ذكية ونشيطة ٠

ولما سألت « وانج » عما اذا كانت هناك حوادث خطيرة تؤدى الى موت العمال أو تسبب لهم اصابات جسيمة ؟ أجاب بالنفى ، اذ لم تقع حادثة واحدة منذ أن تحررت البلاد ، لأن كل ورشة أصبح لها ملحقون للتفتيش على الآلات وصيانتها ، ولا يسمح لأى عامل أو عاملة بالبدء فى أى عمل الا بعد أن يقضى عدة أسابيع فى التدرب على صيانة الآلات ٠

ولما سألته : « ماذا يتبع اذا توفى عامل وفاة طبيعية ، أو لقى منيته

بعد اعتزاله العمل ؟ » فأجاب على الفور : « هنا يقوم المصنع بدفع مصاريف الدفن فى الحال بما يعادل مرتب شهرين ، ويمنح عائلته مبلغا متجمدا يوازى مرتب ستة أشهر أو سنة من آخر مرتب للمتوفى. وبما أننا لا نلزم بدفع معاش ثابت فى مثل تلك الحالات ، فان أولاده يتعلمون بالمجان فى مدرسة المصنع الملحقة به ، كما أن لهم الحق فى تلقى دراسات مسائية أو الالتحاق بمدارس الصناعات ، واذا ما توفى أحدهم أو أحد أفراد العائلة ، تكفل المصنع بدفع نفقات الدفن » .

وهنا استأذننى « وانج سن » فى أن يتركنى بعض الوقت ليتفرغ لشئونه الخاصة بالمصنع ، وأشار على بالتجوال فى أنحائه لأقف على حقيقة الأمور بنفسى ، اذ أن عمله قد يستغرق طوال اليوم .

وكان أول شيء فى مذكرتى وبدأت به، هو زيارة مستشفى المصنع، وهو يتألف من عدة أبنية ذات طابق واحد ، فى صفوف طويلة بنيت بالطوب الأحمر يتوسطها أشجار باسقة . كما أن من بينها بناء جديدا مخصص لمرضى العيادة الخارجية ، والباقى كان عبارة عن عنابر أعد بها مائة وخمسون سريرا ، بكل حجرة اثنين منها أو ثلاث ، حيث يقيم المرضى ممن يحتاجون الى علاج طويل . وقد شاهدت به أحدث المعدات الطبية مما يضارع ما يوجد فى أكبر المستشفيات الحكومية فى « بيكين » نفسها . ومع ذلك فهذا جزء من الخدمات الطبية فى سنشنج شان ، حيث يقوم بها أكثر من أربعين طبيبا ، وأكثر من مائة وأربعين شخصا متخصصون فى الخدمات الطبية بالاشراف على معالجة العمال وعائلاتهم فى تلك المنطقة . هذا فضلا عن وجود ثلاث مراكز لرعاية الطفولة يتبعها فرعان للعيادة الخارجية ، ومركز استشارى للأمراض الصدرية ، ومصح فى مقر مساكن العمال . كما تبذل عناية خاصة بتحصين العمال ضد الأمراض ، ولذا يفحصون طبيا مرة كل سنة .

وقد تحدثت الى أحد العمال المرضى ، وهو « تسو شيه مو » وكان رجلا متوسط العمر يعمل نقاشا فى المصنع ، وقد سقط من سلم مرتفع منذ خمس سنوات ، وأصيب باصابات خطرة فى ساقيه ورأسه . ولقد ظل هذا العامل يعالج فى مستشفى المصنع ومستشفيات بيكين مدة طويلة بأحدث أنواع العلاج ، ولما كان تقدمه فى الشفاء بطيئا ، ولم يحرز تحسنا يذكر ، صار أحد مرضى العيادة الخارجية ، ويسير على عكازين .

وقد ظل « تسان » يحصل على أجره كاملا حتى نهاية العام الماضى ، فضلا عن تكفل ادارة المصنع بدفع جميع نفقات علاجه الطبى ، وأجر اقامته فى المستشفى ، ومصاريف عودته الى بلدته . ثم حصل على « شهادة عجز عن العمل » ومنح معاش العجز وهو يوازى ٦٠ ٪ من آخر أجر له . ويقوم اتحاد العمال الآن بالبحث عن عمل له يتناسب وحالته الصحية ، ولكن حتى حين يبدأ فى العمل ، سيستمر حصوله على معاش يوازى من عشرة الى ثلاثين فى المائة من أجره السابق ، مهما كان الأجر الذى يتقاضاه من عمله الجديد .

ويقع المصح على مسيرة ساعة من المصنع وسط حقول يانعة يكتنفها الهدوء ، بعيدا عن صخب المصنع وضجيج آلاته ، فوق تل «فوشلنج» وسط بساتين يانعة من الفاكهة التى تغطى التل .

وعند ما ولجت باب المستشفى ، ترامى الى سمعى صوت الدكتور « ليو » الذى سبق أن تعرفت عليه فى مناسبة أخرى . وشاهدته واقفا على درج السلم ، يتبسط فى الحديث مع أحد صغار العمال من المرضى ويمازحه قائلا : « اذا طلبت منى مرة أخرى السماح لك بالخروج فسوف أحبسك الى الأبد » . ولما فطن الى وجودى استقبلنى استقبالا حارا ، وعقب على ذلك بقوله : « كثيرا ما أعانى المتاعب من

هؤلاء العمال الصغار ، مشيرا بأصبعه الى المريض السابق المتجهم الوجه ، فانهم سرعان ما يلحون فى مغادرة المستشفى عند بدء تماثلهم للشفاء • ولقد شفى منهم مائة وخمس وعشرون مريضا ، من بين مائة واثنين وسبعون ممن أصيبوا « بالتهاب رئوى » ، وقدموا المصح للعلاج فى سنة ١٩٥٢ حيث شفوا تماما • ولكنهم كانوا بمجرد شعورهم بأقل تحسن ترتفع أصواتهم بالالحاح فى طلب عودتهم الى أعمالهم • ويبدو لى أنهم يتعشقون مصانعهم ويتعلقون بها كما لو كانت حبيبهم الوحيد •

أما فى الحالات التى يصاب فيها العمال بالالتهاب الرئوى ولا يكون مسببا من العمل ، فيقوم المصنع عن طريق ادارته ، بدفع نفقات العلاج العادى ، وأجر العناية فى المستشفى ، وصرف الأدوية اللازمة • أما ما قد تدعو اليه الحالة من أدوية خاصة ومصاريف للانتقال ، فتدفعها ادارة المصنع للعامل نفسه ، كما تمد من يحتاج منهم الى نوع معين من الغذاء بما يحتاجه من نقود • وهكذا كلما عجز مريض عن تحمل مصاريف أى شيء وجد اتحاد العمال الى جانبه يؤازره ويمد له يد المساعدة ، ويخفف العبء عليه •

ويحصل مرضى المصحات خلال الأشهر الأولى المتتالية لاقامتهم فى المستشفى على ما يوازى أربعين فى المائة أو ستين أو مائة فى المائة من أجورهم ، تبعا لأقدميتهم فى العمل ، وتقدمهم فى السن، حتى يتم شفاؤهم من الالتهاب الرئوى •

واذا طالت مدة اقامة المرضى فى المصحات ، ترفع أسماؤهم من كشوف الاعانات ، ويعطون بدلا من ذلك منحا علاجية شهرية تتراوح من ٤٠ الى ٦٠ فى المائة من أجورهم • ويظل هذا مستمرا الى أن يتم شفاؤهم ، ويعودون الى أعمالهم ، أو يمتد بهم المرض،فيعطون شهادات

تثبت عدم قدرتهم على العمل ، أو يلقون منيتهم • وفى حالة ما اذا فقد العامل قدرته على العمل نهائيا قام اتحاد العمال بدفع مرتب شهرى له مدى حياته • واذا احتاج العامل الى من يلازمه ، دفع له نصف أجره، واذا لم يكن فى حاجة الى ذلك ، دفع له ٤٠ فى المائة من أجره • واذا أصيب أحد أفراد عائلة عامل ما ممن يعولهم بالتدرن الرئوى ، قام طبيب الوحدة العلاجية الملحقة بالمصنع ، بتوقيع الكشف الطبى عليه ، بلا مقابل ، وأعطى الأدوية اللازمة بخصم قدره ٥٠ فى المائة اذا كانت عادية •

ولقد طلب منى نزلاء المصح ، أن أزورهم فى فرصة أخرى عاجلة ، حيث عبروا عن أملهم فى زيارتهم ، وقت نضوج البندق ، والتفاح والكمثرى ، لأرى بنفسى ما تضفيه زهور هذه الأشجار على المصح من بهاء وروعة •

وفى اليوم التالى ، ذهبت فى الصباح الباكر الى منزل أحد العمال ، هو « تسيو شيه مو » ، وهو النقاش الذى أصبح عاجزا عن العمل • وعند وصولى الى منزله ، شاهدت بناته الثلاثة يلعبن فى الفناء، وكانت أمهم ترتدى ثوبا نظيفا ، وقد بدت حقا زوجة مثالية • ودعتنى الى الجلوس فى غرفة صغيرة أنيقة فى شقتها المرتبة ، قائلة ان زوجها على وشك الحضور • وبمجرد ولوجى باب الحجرة ، لمحت شهادة فى اطار معلق على الحائط ، وكان ذلك دليلا على افتخارها بانتسابها الى جماعة الحملات الصحية •

وعندما سألتها عن حالها ، قالت لا أرى ماذا بقى هناك ، لم يقيم به من أجلنا • لقد فعل كل شىء • فلقد ظل زوجى عاجزا عن القيام بالعمل طيلة أربع سنوات ، ولكننا لم نقاس مرارة الجوع ، وألم الحرمان، لم نشعر بحاجة الى الدفء ، أو أعوزنا الكساء ، لقدكان لنا بيتا يأوينا،

ولا شك أن حياة عائلة مكونة من أربعة أو خمسة أفراد ، قد يتخللها بعض المتاعب من آن لآخر ، ولكن الاتحاد قام بمساعدتنا على أكمل وجه ، حتى من غير أن نتقدم اليه بطلب ذلك ، أو نلحف فى الرجاء ، لقد حفظ لنا ماء وجوهنا وأبقى لنا كرامتنا ٠

وعلى سبيل المثال ، أذكر لك يا سيدى ، أننا قد احتجنا الى بعض النفقات الاضافية ، خلال السنة القمرية السالفة ، فذهب زوجى الى الاتحاد ، ليطلب منه دفع معاش عدم قدرته على العمل مقدما ، متظاهرا بأنه فى حاجة الى ذلك ، لمجرد اضطراره لشراء بعض الكتب الدراسية لأجل ابنتنا ، ولم يكن ذلك فى الحسبان ، ولكن الاتحاد فطن الى حقيقة الحالة ، ولمس ما يعانيه ، فبدلا من أن يقوم بدفع المعاش مقدما ، كما طلبنا ، منحنا منحة استثنائية من حصيلة تأمين العمال ، ومع أنها لم تكن منحة كبيرة ، ولكنها سدت جانبا من العجز فى ميزانيتنا ، مما جعل ألسنتنا تلهج بالشكر ٠

ولم تكن هذه هى المرة الأولى ، التى منحنا فيها الاتحاد مساعدة استثنائية ، فقد تصادف أن زارنا أحد أعضائه ذات مرة ، ولاحظ أن ملابس الأطفال ، على وشك أن تبلى ، فلم يمض يومان على هذه الزيارة، حتى وصلنا مائتى ألف ين لتساعدنا على شراء ملابس جديدة لهم ، وعندها قررت أن أعبر عن مزيد شكرى للحكومة لسنها مثل هذه

القوانين لتأمين العمال ، فبعثت أعرض تطوعى للقيام بعمل ما فى المصنع ، بدون أجر ، ولكن الاتحاد رفض قائلا : ان واجبى هو أن أرعى زوجى وبناتى ٠

وبينما كنت أستمع الى حديث هذه السيدة ، وقد كان حقا حديثا شيقا ، عاد زوجها « تشواش مو » وبرفقته رجل أشيب ، طويل ،

نحيف ، تبدو عليه الشيخوخة • وقدمه لنا باسم « ليانج لى » ، أحد أصدقائه القدامى ، وأحد الذين يتناولون معاشا ، لتقدمهم فى السن • وعلى الأثر سألته ، أويكفيك هذا المعاش ؟ فنظر الى مليا ، ولم يحر جوابا ، ثم شرع يلقى على محاضرة •

يكفينى ! وهل سبق لنا نحن العمال أن عرفنا مثل هذه الأشياء قبل عهد التحرر ، هل كان لنا قبل عهد الجمهورية ، معاشات ، ومصحات ، ومراكز لرعاية أطفالنا ، ونوادى ، هل كان يتطرق الى أسماعنا وجود مثل هذه الأشياء فى الماضى ، أو حتى عرفنا بوجودها فى العالم • لقد كان العامل منا يعمل أربعة عشر ساعة متواصلة ، فترة واحدة ، ومنا من كان يعمل فترتين متواليتين ، كى يتسنى له القيام بأود عائلته ، وليدفع غائلة الجوع عن بطون أطفاله ، ومع كل ذلك ، فقد كان ما نحصل عليه من طعام ، لايفوق كثيرا عن طعام الخنازير • أما من حيث المسكن ، فقد كنا فى حالة لانحسد عليها ، اذ كانت الخنازير نفسها تأنف أن تعيش فيه • أنظر الى ، انى فى السادسة والستين فقط ، ولكنك بلا شك ظننتنى أكبر من ذلك بكثير ، ولكن هذا أثر من آثار الماضى القريب ، انه أثر العمل المرهق ، وسوء التغذية ، وقسوة الحياة التى عانيتها ، وعاناها كثيرون أمثالى ، ولكن قدر لى أن أعيش ، نعم قدر لى أن أواجه المتاعب قبل عهد التحرر ، وأنعم فى ظلال الحرية •

نحن العمال لاننس أننا فى الماضى كنا عرضة للطرد والحرمان ، اذا ما تقدم بنا السن ، أو انتابنا مرض أقعدنا عن العمل ، كنا نتضور جوعا ، الى أن أدركتنا نعمة التحرير ، فكان من حسن الطالع لى ، أن أعيش حتى أرى بلادى متحررة • ولما رأيت صحتى قد انهارت ، وأوصالى قد تداعت ، قام اتحاد العمال بنقلى من عملى المضنى ، وهو « حمال فحم » الى عمل آخر ، يتفق وحالتى الصحية ، وعندما بلغت الستين ، أحالنى للمعاش ، وأعطانى ٧٠ فى المائة من مرتبى •

واستمر « ليانج » يشرح لى أن معاش الشيخوخة يتراوح فى العادة مابين ٥٠ الى ٧٠ فى المائة من الأجور · وقال أن المتبع أن يظل الرجال فى ممارسة أعمالهم حتى سن الستين اذا كان قد مضى عليهم فى مهنتهم خمس وعشرون سنة ، بما فى ذلك خمس سنوات المشروع الخاص بهم · أما النساء فيعتزلن العمل فى سن الخمسين اذا كن قد أمضين عشرون سنة ، بما فى ذلك مشروع السنوات الخمس أيضا · وأما من يعملون فى مهن شاقة ، تتطلب مجهودا شاقا ، فقد يعتزلون العمل قبل ذلك بخمس سنوات ، اذا كانوا رجالا ، واذا كن نساء فقد يعتزلن العمل فى سن الخامسة والاربعين · أما من حيث الأقدمية فى العمل ، أو التقدم فى السن ، فتحسب لهم سنوات الخدمة على حساب السن بما يوازى سنه وربع ، أو سنة ونصف ·

وقد أضاف « ليانج » أن له ابنا ، يعمل فى المصنع ، ويحصل على أجر محترم ، ويمده ببعض المال من آن لآخر ، مع أنه فى الحقيقة ليس فى حاجة اليه ، ولذا يصرفه على الحلوى ولعب الاطفال وهدايا مختلفة يشتريها لأولاد ابنته الصغار · وهنا أشرق وجهه المجلد الجامد بطبيعته ، بابتسامة عريضة ، جعلته منبسط الأسارير ·

ثم ذهبت الى أحد مقاصف العمال ، حيث تناولت أكلة دسمة ، وتجولت بعدها فى شوارع حى مساكن العمال ، فسرت خلال طرقات فسيحة ، تزينها أشجار الصفصاف على الجانبين ، وحينما بدت مساكنهم فى صفوف منظمة مبنية من الطوب الأحمر القانى ، أخذت بجمالها الخلاب ، وتردد فى ذهنى أمنية اتحاد العمال التى كان ينادى بها وقد تحققت فى عهد التحرير ، بعد أن كانت حلما يصعب تحقيقه فى الماضى ، ومع أننا أنشأنا مساكن لحوالى خمسة آلاف عائلة منذ عهد التحرر ، ولكننا لم نتغلب على هذه المشكلة بعد ·

والسبب فى ذلك أن كثيرا من العمال قد تزوجوا ، لا الشباب منهم فقط ، بل ومن كان أعزبا من المسنين ، لان الماضى بسوءاته ، كان يرغم العمال على البقاء الى سن الأربعين بدون زواج ، اذ من النساء ، كانت تقبل على الزواج ، لتقاسم شريك حياتها ، ما كان فيه من شقاء ، وتربط مستقبلها بمستقبل رجل يعيش على الكفاف ، ويعيش فى بؤس • أى بهجة كانت ستلقاها الزوجة فى حياتها الزوجية ، اذ ماذا كان ينتظرها غير الشقاء •

أما الآن فقد تبدل الحال بالنسبة للعمال ، اذ كفل لهم اتحادهم حياة سعيدة ، ومستقبل باسم ، فأقبل النساء على الزواج بالعمال بنفس راضية مطمئنة • اذ أصبح العامل يشتغل ثمان ساعات فقط فى اليوم ، ولذا توفر له الوقت الكافى للتمتع بحياة عائلية هانئة ، وحصل على أجر مناسب يكفيه شر العوز ، فضلا عن حصوله على أجور اضافية ، وفقا لكثرة انتاجه قد تبلغ فى بعض الأحيان ٤٠ فى المائة من أجره العادى ، وبذا يزيد دخله •

وكان من نتيجة هذا التقدم فى حياة العمال الاجتماعية ، أن كثرت حفلات عقد قرانهم ، اذ لا يكاد يخلو أسبوع منها • ولمواجهة زيادة عدد العمال المضطرد تبعا لذلك أصبح لزاما على الاتحاد أن يكثر من اقامة المساكن بسرعة فائقة ، ليساير هذه الزيادة •

وكانت وجهتى التالية دار الولادة ، فأخذت طريقى اليها ، بينما كانت هذه الأفكار تساورنى • وعندما وصلت الى هناك ، شاهدت أمامى بناء ناصعا ، حديث الطلاء ، ويعج بنساء قد أوشكن على الوضع ، أو أخريات قد وضعن حديثا • وقد قالت لى الممرضة ، التى أخذت تطوف بى أرجاء الدار ، أن النساء العاملات يحصلن على أجازة للوضع مدتها ست وخمسون يوما ، يتناولن خلالها أجورهن كاملة ، مع منحهن

منحة خاصة بمناسبة وضعهن ، مع عدم دفعهن ، هن ولا زوجات العمال أى أجر ، نظير اقامتهم فى المستشفى ، طوال مدة الوضع ، أو يتكبدون أى نفقات ٠

وحينما وصل بنا المطاف الى غرفة الأطفال ، رأيت عددا منهم ، كل فى مهده الأبيض ٠ ولم يسمح لى بالدخول ، بل أشارت الممرضة القائمة بالعمل الى توأمين ، فى زهو وفخار قائلة بحماس : كثيرا ما يصادفنا مثل هذا ، ويمنح الأمهات العاملات من هذا النوع ، أربعة عشر يوما ، زيادة عن المدة المقررة للوضع ، فتبلغ فى مجموعها سبعون يوما ٠

وتقع دار الولادة بالقرب من مقر الجمعية التعاونية للعمال ، حيث يمكن لهم ولعائلاتهم الحصول على ما يحتاجون اليه من سلع فى يسر ورخاء ٠

وبما ن دار الولادة حديثة الانشاء ، لم يكن بها عدد كبير من الأطفال ، ولكن من المنتظر أن يزداد عددهم ، لقلة التكاليف ٠

ولقد بديت كالعملاق ، وأنا أتجول فى حجرات هذه الدار بأسرتها الصغيرة ، ومناضدها الأنيقة ، وكراسيها المنظمة ٠ وحينما وقفت فى فناء الدار ، التف حولى عدد من الأطفال الذين لفحت الشمس وجوههم ، وأخذوا ينادونى « ياعمى » ، وقد أمسك بيدى أحدهم ، ويبلغ الثالثة من عمره قائلا ٠٠ فى وسعى أن أعد من واحد الى عشرة ، وقرن قوله بالفعل ٠

وحينما تحدثت مع نائب المدير « وانج شن » مرة ثانية بعد الظهر ، مبديا له اعجابى بما شاهدت ، أجاب نعم ، هذه بداية حسنة ، ولكن لايزال أمامنا الكثير مما يجب أن نفعله من أجل العمال ٠ فكل ما قدمناه

لهم من معونة ، وما يسرناه لهم من امكانيات ، لايعد كافيا • ففى نيتنا أن نفتح مقصفا ، نقدم فيه وجبات مجانية لمن يحتاج من العمال ، الى غذاء اضافى ، كما سنعد مضايف لهم ، واستراحة لمن يعانون ضعفا جسمانيا ، ولا يزالون يعملون ، كما سنعمل على تحسين صحتهم ، وتقويتهم ، فضلا عن اعتزامنا انشاء دار للعجزة ، وقد نفذ هذه الأعمال بعض المصانع •

وعند ما تباحثت معه فى كيفية الطرق التى ستمول بها هذه المشروعات أخرج « وانج شن » مفكرة ، وأعطانى بعض الاحصاءات ، ومنها تبين لى ، أنه خلال السنة الماضية ، قد وزع الاتحاد خمسمائة مليون ين من حصيلة التأمين ، فى دفع المعاشات ، ومنافع أخرى ثانية ، ومصاريف نثرية على مؤسساتها • فضلا عما أنفق لدفع منح خاصة لعدد ثمانمائة وثمانية عشر عاملا ويبلغ حوالى «مائة وأربعون مليون ين» فى ظرف ثلاثة أشهر من فبراير سنة ١٩٥٣ الى سنة ١٩٥٤ فقط • كما دفعت منها قيمة أبنية مصانع العمال •

وقبل أن أغادر الرجل ، قام ونظر من النافذة ، ورجانى أن أفعل مثله ، وبذا شاهدت خلالها وميض الأفران ، يتوهج خلال ظلام السماء • وقال أنظر الى ذلك ، ان مصنعنا ينتج سبائك من الحديد ، يفوق تسعة أضعاف الذى كان ينتجه منذ خمس سنوات • ونحن الآن منهمكون فى منافسة لانتاج الحصة المقررة ، ولذا ترى العمال يعملون بهمة ونشاط ، شاعرين بأنهم السادة هنا ، اذ أن كل مايدره العمل من ربح سيعود الى جيوبهم وسيبنى مستقبلهم •

١٠ — من أجل السلام وصداقة الشعوب

ان شعب الصين ، ليؤمن كل الايمان ، بمبادىء الانسانية ، ومن أجل هذا يعمل جاهدا لتوطيد الصداقة بين شعوب العالم الحر ، لأنها الأساس الذى يرتكز عليه السلام •

وان هذا الشعب ليعتقد أنه ليس ثمة ، مايدعو لأن تأخذ الشعوب بخناق بعضها البعض • ولا يعتقد أن ما قد يثير حفيظة الأفراد ، من رجال ونساء من أحقاد وضغائن شخصية ، قد يسبب حدوث نزاع دولى بين الامم • اذ لماذا تتدخل الاحقاد وتفعل فعلها فى نفوس الناس ، هل السبب فى ذلك ، اختلافهم فى اللون ، أو العادات ، أو الديانة ، أو الاتجاهات السياسية • هل ينسى هؤلاء الناس أنهم من جنس بشرى واحد ، وانهم متلاقون فى النهاية ، ومتساوون فى الحياة ، ولا بد لهم من الاتحاد والتعاون ؟ هل ينسى هؤلاء الناس ان الانسان ضرورى لأخيه الانسان ؟

هذا هو الأساس الذى يعتمد عليه شعب الصين فى تفكيره ، بل وأحد مواد دستورهم وشعارهم فى حياتهم اليومية ، الذى ينهجون عليه وينسجون على منواله فى معاملاتهم مع عائلات الأمم الاخرى • وقد أخذ هذا الشعب يعتنق هذا المبدأ ، منذ أن بزغت شمس الجمهورية الصينية الى الوجود ، فتمكنوا بذلك من توطيد حياتهم على أساس متين من الصداقة مع كثيرين فى جميع أنحاء المعمورة •

وهذه العلاقات الودية ، هى علاقة الند للند ، كل يعمل لصالح

الآخر . فهى علاقات سداها الاخلاص ، ولحمتها الوفاء ، ومبنية على الاختبار الحر ، وتفهم لرغبات الآخرين ، فى أن يكونوا أحرارا مستقلين ، ومثل تلك العلاقات ، لا يمكن أن تنفصم عراها ، بل تظل وطيدة أبد الدهر .

أما من حيث العلاقات بين الحكومات ، فقد عمل شعب الصين ، على توطيد علاقته بالآخرين ، وارتبطت برباط متين من الصداقة ، مع كثيرين ، الى درجة لم تحصل عليها من قبل . اذ أنها صداقة لاتشوبها الاثرة والانانية الشخصية ، والمنفعة الذاتية ، بل هى صداقة بريئة من أجل السلام ، من أجل سعادة ورفاهية الجنس البشرى . وليس فى هذا النوع من الصداقة مجال للحقد ، لأن ما يصيب الغير من خير ، وما يحرزه من كسب ، يفرح له الآخرون ، ومن هنا يسهل تبادل المنفعة .

وعلى هذا الأساس تسنى للصين ، أن تحصل على ما تحتاج اليه مما لا يتوافر لها فى بلادها ، وأن تعطى للغير ما يريده فى غير عناء . وهذا هو التعاون بأجلى معانيه ، تعاون يذلل جميع العقبات ، فتصبح الحياة رغدة هانئة ، لاتشوبها الاحقاد ، والضغائن ، اذ تصبح الدول تهدف الى الاستفادة بنتاج الفكر البشرى ، وتوجيهه الى الصالح العام ، وتستخدمه فى أغراض السلام ، والمساهمة بجميع امكانياتها فى تدعيم صرح المدنيات ، والسير قدما بالأمم نحو حياة حرة كريمة ، وتعيش فى جو من الوئام .

ولم يشر تاريخ بلادنا ، فى الماضى ، الى مثل ما قام به الاتحاد السوفيتى من مساعدة لنا فى العصر الحديث ، لارتباطنا معه بأواصر الصداقة ، فقد أرسل لنا أخصائيون لبذل قصارى جهودهم فى النهوض باقتصاديات البلاد ، على أنقاض فوضى اقتصادية، وسوء ادارة

خلفتها الحروب السابقة للصين . بل لقد بلغ الحد بروسيا السوفيتية ، من رغبتها الأكيدة فى مساعدتنا ، أن أرسلت الينا من غير فرض شروط معينة ، فرضتها علينا . ومن ذلك أنها أرسلت الينا قاطرات للسكك الحديدية ، وساهمت الى حد كبير بنصيب وافر فى ارشادنا الى أوجه الاقتصاد الذى نجح فيه الروس الى حد كبير ، كما ساهمت الى حد كبير ، بنصيب وافر فى ارشادنا الى أوجه النهوض باقتصاديات البلاد ، الذى نجح فيه الروس الى حد كبير ، فضلا عن تزويدنا بما فاض عن حاجتهم من انتاج مصانعهم الضخمة .

وقد اشتمل برنامجنا للسنوات الخمس على دعم مائة وواحد وأربعين مشروعا صناعيا ، بعد تأسيسها ، مما سيكون له أكبر الاثر فى حياة الصين الصناعية ، وقد عقدت اتفاقات ثقافية ، وتجارية مع روسيا السوفيتية ، منها تبادل الكتب والمجلات والأفلام ، والحصول على منح دراسية للطلاب ، وكذا تبادل الفرق التمثيلية والموسيقية ، بشكل لا يمكن تصوره ، وهذه هى أسمى معانى الصداقة .

فلو سار الناس على هذا الاساس فى جميع أنحاء العالم ، لتمتعوا بمثل ما تمتعنا به من معونة ، وعاشوا مثلنا فى وئام يسودهم التفاهم والسلام .

وان أى شعب تحكمه حكومة ، تتمتع بثقته ، وتكون له صدى يعبر عما يشعر به ، حسنت علاقة الحكومة بشعبها ، وبشعوب العالم الأخرى ، ولا يفكر أحد ما للصداقة من أثر فى توطيد علاقة الشعوب ببعضها ، مما يعود على أفرادها بالخير الكثير . اذ يصبح كل شعب ، وقد ركز جهوده لخير الانسان فى جميع بقاع الأرض . فبدلا من استنفاد جهد الفكر البشرى فى صنع أسلحة للدمار ، والاعتداء على

الحريات ، يتجه التفكير الى انتاج ما يفيد الصالح العام ، ويعود بالخير على البشرية .

ولقد تفتحت عيون الناس فى العالم على حقيقة مؤكدة ، ألا وهى أن حل المشاكل عن طريق التفاهم الودى ، أجدى نفعا من حلها بطريق الحرب . ولا شك أن لنا من تجاربنا فى الماضى ، ما يدلنا على ما مبلغ ماتستنفذه الأمم المحاربة من جهد ، وخسارة فى المال ، والرجال ، وتعطيل لمرافق البلاد الحيوية ، لحاجتها الى تخصيص معظم انتاج مصانعها ، ومزارعها للحرب . بينما فى وسعها أن تعيش فى أمن وسلام ، يرفلون فى حلل السعادة وينشئون جيلا نافعا لوطنهم ، اذا ما جنحوا للسلم .

ولقد خطى شعب الصين خطوة موفقة فى هذا السبيل فى العام الماضى ، فبعد أن عرف الطريق السوى الذى ساد فيه ، وهو السلام، تحقق من مدى فائدة السير فى هذا الطريق ، فثابروا على ذلك .

ولا شك أن الحرب الكورية كانت فرصة مواتية لهم ليتحققوا من ذلك ، ففضلا عن شجاعة الكوريين ، كانت صداقتنا لهم لها أكبر الأثر فى الوصول الى اتفاق عقد الهدنة . وكان من أثر ذلك أن « صانعوا الحروب » فى أمريكا ، كما أسماهم كاتب أمريكى ، قد أرغموا على الدخول فى مفاوضات رغم أنفهم ، مما عطل جهودهم ، وأبطل محاولاتهم فى احلال الحرب محل السلام . وباءت محاولاتهم بالفشل ، فى الرجوع بالانسان الى عهد الغاب ، وكان هذا درسا قاسيا لقنته لهم الشعوب المحبة للسلام .

ولقد كان لبعض السياسيين ، من لون خاص ، ولع بأن يتحدثوا عن المفاوضات بروح السخرية ، اذ كانت القوة هى طريقهم المفضل فى

تحقيق مطامعهم ، تلك القوة التى أثبتت فشلها الذريع فى جميع الميادين ، وبالرغم من الخسائر التى منى بها الشعب الكورى ، فى نضاله ، لم يزده ذلك الا حماسا ، وتمسكا بحرية بلاده • والآن وقد تغير الزمن ، تغيرت نظرة الناس ، الى الحياة ، وتطورت أفكار الشعوب ، فلفظ الاستعمار آخر أنفاسه ، وأصبح التلويح باستخدام القوة ، لا يجرؤ على التفوه به ، أى سياسى مسئول ، الا وكتب بخط يده وثيقة اخفاق بلاده فى الميدان السياسى ، وسجل عليها الفشل الذريع •

والآن ، وقد وصلت الصين الى مرحلة حاسمة ، فى علاقاتها الخارجية ، وأصبح لها مكانا مرموقا بين الأمم ، أصبح لزاما عليها ، أن تعمل من أجل سلام دائم • وسوف يعينها على ذلك ما تراه من ميل الغالبية العظمى من سكان العالم الى السلم ، وحتى أولئك الذين اشتركوا فى حلف الاطلنطى ، وعقدوا فيما بينهم محالفات عسكرية ، قد عافت نفوسهم الحروب وملوا النزاع • فاذا ماوضعنا حدا لمطامع « كلاب الحرب » ممن يتصيدون فى الماء العكر ، ويعمدون الى اثارة الحروب ، ليجدوا فيها فرصة مواتية لتحقيق مطامعهم ، لاتخذنا خطوات فعالة نحو تحقيق سلام دائم •

ولقد استرعى نظر العالم ، ما وصلت اليه قوة الاتحاد السوفيتى ، والصين الشعبية ، ورأوا أنهما لم يصبحا مصدر خطر على العالم ، ولا يهدفان الى التوسع الاستعمارى ، وليس السبب فى ذلك على حد مزاعم دول الغرب ، الى خوفهما من قوة المعسكر الغربى ، وما أعده من معسكر كامل التسلح ، لا يتوانى عن الوقوف فى وجه أى عدوان ، وقمعه بالقوة • وهو ما يعرف بالجيش الأوربى ، ولكن السبب فى ذلك هو نجاح الدول المحبة للسلام كروسيا والصين ، واحلال التفاهم فيما بينهما محل النزوع الى القوة ، وما تبديه مثل هذه الدول من استعدادها

لقبول ما تراه معقولا من المقترحات ، ونبذهما لأساليب الغرب الملتوية وطرقه الدنيئة فى تعكير صفو السلام العالمى ، ضاربين بسخريته منهم عرض الحائط ، اذ طالما ردد الغرب أن استخدام القوة،هو شعاره فى الحياة ، ورددنا نحن الصينيون ، أن السلام أجدى من الخصام ، فأينا كسب ، وأينا خسر ٠

ها نحن أمم الشرق ، وهاهم أمم الغرب ، لقد ارتبطنا نحن أمم الشرق برباط متين من الصداقة ، ونعيش فى جو من الوئام ، ويسودنا جو من التفاهم ٠ أما هم ، أمم الغرب ، فدسائس ، ومؤامرات ، وتسلح ، وحياة مضطربة ، قلقة ٠ فأينا سار فى الطريق السوى ، أمن أصبحوا فى سباق من التسلح ، أم من عاشوا فى هدوء وسلام ؟ نحن نبنى ، وهم يهدمون ، نحن نبنى أمة ، ونخلق جيلا ، وثابا ، متعطشا الى حياة حرة كريمة ، مؤمنا بوطنه ، وبحقه فى الحياة ٠ نحن الشرقيون !

أما هم ، هم الغربيون ، فيخلقون جيلا ، ينشأ على النزاع ، وعدم الاستقرار ، وتوافر الثقة ٠ فأى طريق نسلك ، وأى طريق يسلكون ٠ ان طريق المجد أمامنا معبد ممهد ٠ أما الغرب فأمامه طريق وعر ، شائك ، محفوف بالمخاطر ٠ لقد مددنا أيدينا الى جميع الشعوب المحبة للسلام ٠ وما مؤتمر « باندونج » ببعيد ، ومما يزيد فى فزع الغرب ، ما ينتظر لالمانيا ، واليابان من نهضة بعد كبوة ، اثر هزيمتها ، منذ ثمانى سنوات ، كلفت الغرب كثيرا من الخسائر ، وكبدته الكثير من التضحيات ، وقد غاب عن ذهنهم ، أن العالم اليوم ، غيره بالأمس ، فقد دعونا بين جميع شعوب الأرض للسلام ، وآزرنا من أراد ذلك من الأمم ، ونشرنا مبدأ التعاون بين الشعوب ، على أساس الأخذ والعطاء، وكثيرون هم من استجابوا لنا ، فقد سئم العالم الحروب وويلاتها ، وأصبح فى حاجة الى الخلود ، الى السكينة والعيش فى طمأنينة ٠

اذن فمن هم دعاة الحروب ، ومن الذين يخلقونها ، ولمصلحة من يريد هؤلاء الدعاة ، أن تنشب ، لو فكرنا قليلا لعرفنـــا ، أنهم أصـــحاب المصالح الحقيقية ، فى اثارتها ، قوم قست قلوبهم فهى كالحجارة ، أو أشد قسوة ، فسدت ضمائرهم ، وتجردت نفوسهم من أرفع الصفات الانسانية ، ممن لهم مصالح ذاتية ، ومنافع شخصية . انهم عبـــاد المـــال ، ضعفت نفوسهم ، فأصبحوا لايؤمنون بالقيم الاخلاقية ، ولا يعترفون بالمثل العليا ، بل اتبعوا أحسن أنواع الحيل ، وضحوا بكل مرتخص وغال فى ســبيل اشباع شهواتهم فى جمــع الثروات ، قوم باعوا أنفسهم للشيطان ، فكان الشــيطان حليفهم ، هم تلك الشرذمة الضئيلة من الناس ممن يتولون رئاسة بعض النقابات والاتحادات فى مختلف أنحـاء العالم ، فأعماهم حب المـال ، وأفسد ضـــمائرهم ، وأخذتهم العزة بالاثم ، فسولت لهم أنفسهم المغامرة بمصـــالح بلادهم فى سبيل أغراض دنيئة . قوم من طراز « تشارلز ولسن » الذى كان فى وقت ما نائبا لوزير الدفاع فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وفى نفس الوقت رئيسا لشركة « جنرال موترز » .

لم يكن هذا الرجل يشغل هذين المنصبين فقط ، بل كان يعمـل فيمـا هو أخطر من ذلك بكثير ، كان يقوم بدور « جزار البشرية » اذ كان موردا لأسلحة الدمار ، والهلاك لحكومة بلاده ، لتســتخدمها فى تهديد الشعوب الآمنة المطمئنة ، وخنق الحريات فى العالم ، ولم يتورع هذا الرجل ، فى أن يعلن ، أن مافيه مصلحته ، فيه مصلحة لبــلاده ، انها لكلمات يندى لها جبين الانسانية ، وان الجنس البشرى ليأنف أن ينتسب اليه مثل هذا الرجل ، الذى لايعيش الا فى الظلام كالخنافيش، ولا يحلو له العيش الا فى جو من الدسائس والمؤامرات ، فهو رجل قد أشربت نفسه حب الشر وأعمته المـادة .

ولكن لن يجد مثل هذا الرجل سوقا رائجة لبضاعته الكاسدة الآن، بعد اليوم ، لأن العالم قد أخذ يفكر بعقلية جديدة ، ولم تعد التهديدات

التى كانت تفعل فعلها فى الماضى ، تثير الخوف ، وتنشر الفزع ، بين الشعوب المسالمة ، المحبة للسلام • كما لم تعد لملايين الدولارات ، التى تنفقها أمريكا ، وتوزعها على عملائها ، بسخاء ، نفس السحر ، الذى كان لها فى الماضى ، .لم تعد لتلك الدولارات قيمة فى تنفيذ المؤامرات وحبك الدسائس • ولم تعد ألاعيب الاستعماريين وحيلهم تجوز على شعوب افريقيا وآسيا ••

لقد وطأ الشرق دولار أمريكا بقدمه ، ورده فى وجه أصحابه ، فى ازدراء ، ورفض أن يبيع حريته ، واستقلاله ، ورفض أن تصبح بلاده رهينة لأمريكا أو لغيرها من الدول ، مهما كلفه ذلك من العرق والدم والدموع •

وأخيرا بعد أن أخفقت الحرب الباردة بين الشرق والغرب ، أخذ الغرب يفكر بعقليته الرجعية ، وروحه الاستعمارية ، وأخذ يحول الحرب الباردة ، الى حرب عالمية حقيقية ، ولكن هيهات أن تصمد قوة الغرب أمام ارادة الشعوب ، التى ان قالت عنت ما تقول ، وآمنت بما تقول ، وقرنت القول بالفعل •

شتان بين قوة جيش يخوض غمار حرب ، ارضاء لساسته وسادة بلاده ، واشباعا لاطماع شرذمة من الانتهازيين ، والمنتفعين ، وبين قوة شعب مؤمن بحقه وعدالة مطالبه ، ولطالما برهنت نتائج تلك الحروب، على ما تجنيه الامم المحاربة ، وما تجنيه الامم المحبة للسلام •

وهل من اليسير على الأمم ، أن تقنع أفراد جيش بعدالة مطالبها ، وهم يحشدون ، ولا يؤمنون بعدالة ما يحاربون من أجله ، اللهم الا ارضاء لشهوات سادة بلادهم ، فيخوضون غمار حرب ، ضروس ، قد تودى بحياتهم ، وتيتم أطفالهم ، وتشرد نساءهم • من غير ما ذنب جنوه ، سوى أنهم كبش الفداء ، الذى يضحى على مذبح الأطماع •

وقد يتساءل هؤلاء الجنود ، لماذا يرسلون الى ميادين الحروب ، ويساقون اليها كالأغنام ، ويتعرضون لمذابح بشرية رهيبة ، فيشرد الملايين من عائلاتهم ، وتتعطل مرافق الحياة فى بلادهم .. ألا سحقا للاستعمار البغيض ، الذى يأبى الا أن ينشب أظفاره كالأخطبوط ، ليمتص دماء الشعوب ، ويعيش على حسابها ، يسير دفته فئة قليلة ، تملأ جيوبها بالمال ، غير عابثين بما يعانيه أفراد أمتهم ، وبنى جنسهم من فقر ، وما يتعرضون له من حرمان .

حقا لقد سجل السلم نصرا حاسما ، فاذا ما وضح الحق لطرفين على وشك النزاع ، وفقا الى حل مشكلتهما ، عن طريق التفاهم ، ولا يمكن لأى منهما أن ينكره . واذا ما تمكنت الأمم من اقناع بعضها بعدالة مطالبها بالحسنى جنحت الى السلم ، وتجنبت ويلات الحروب ، وزالت من النفوس الأحقاد ، وانمحت الاسباب التى كادت تؤدى الى الحرب .

من أجل هذا كله يعمل شعب الصين ، انه يعمل من أجل السلام ، وسيظل يعمل له ، ويكافح من أجله ، متعاونا فى ذلك السبيل مع غيره من الشعوب ، التى تنشد السلام ، وتؤمن بالحق ، وعلى هذا فاننا ندعو الدول المحبة للحروب ، والمولعة باثارة القلاقل ، متعللة فى ذلك بأتفه الأسباب .

اننا ندعو أمريكا ، والمملكة المتحدة ، وفرنسا ، ممن يدعون انهم من الدول العظمى ، الى عقد مؤتمر مشترك ، نساهم فيه من أجل السلام .

أما فيما يتعلق بالمسألة الكورية من جميع الوجوه ، فاننا سنعمل جاهدين من جانبنا ليسود السلام ، ذلك الجزء من العالم ، فى غير تحيز

الى أحد الجانبين ، وسوف لا يكون رائدنا ما يحاوله « سيجمان رى » من قلب للأوضاع ، ونقض للهدنة • اذ ليس من المصلحة فى شىء ، أن تستأنف الحرب بأى حال من الأحوال ، اننا لنعد بأننا سنعمل على انهاء النزاع بصورة جدية بين الدول المختلفة بالطرق الودية •

أما من جهة ألمانيا ، واليابان ، فان الشعب الصينى ، لا يقر مطلقا، اعادة تسلحهما ، ليستأنفا كفاحهما المسلح ، بل ان من أعز أمانينا أن تعيش هاتان الدولتان فى وئام مع شعوب العالم ، وعلى أساس من التفاهم •

كما أن شعب الصين لا يدخر وسعا فى الوقوف فى وجه أى أمة تخل بميثاق الأمم المتحدة ، وتلجأ الى تعكير صفو السلام • ان شعب الصين ليريد لهيئة الأمم المتحدة المزيد من القوة ، كى تؤدى رسالتها على الوجه الأكمل ، فلا يسمح لبعض الأمم الكبرى أن تستخدم غيرها كمخلب القط ، فيما قد ينشب من حروب بين الأمم • اننا نريد أن يظل ميثاق الأمم المتحدة ، الذى كسبناه بالعرق والدم والدموع ، فى اثر الحرب العالمية الثانية ، قويا متينا • ولذا فاننا نرحب بايفاد مندوبين صينيين ، أعضاء الى جميع المؤتمرات التى تدعو للسلام •

ان تعداد شعب الصين ليبلغ ربع سكان العالم ، ولا يخفى ما لهذا العدد الضخم من أثر عظيم فى انهاء المشاكل الدولية بالطرق الودية•

ان ما يريده شعب الصين ، هو الابقاء على مدنيات العالم ، لا تدميرها ، ولذا فهو لا يرحب بتسلح الأمم لأغراض عدائية •وحبذا لو عقدت الأمم فيما بينها ميثاقا ينص على عدم التسلح اذ سوف يكون لذلك أثرا بالغا فى سيادة السلام ونشر الطمأنينة بينها •

نحن لا نريد الا الخير والسلام للعالم أجمع ، من أجل حياة حرة كريمة ، فنحن شعب مسالم ، قد تحقق له حلمه الجميل الذى ظل يداعب خياله ، ويطوف به فى منامه سنوات عدة • ذلك الحلم الذىعمل وجاهد من أجله حتى تحقق له ، وحصل على استقلال بلاده وحقه فى الحياة •

لقد غدونا شعبا حرا سليما يتمتع أفراده بوافر من الصحة ، وأصبحنا ننعم بحياة رغدة ، وجنينا ثمرة كفاحنا • لقد ازدهرت تجارتنا ، وارتقت صناعتنا ، واينعت مزارعنا ، فأتت أكلها ضعفين • ووضح ذلك للشعب ، بفضل كفاحه ، ونضاله ، واعتماده على نفسه ، وعلى صداقته للشعوب الأخرى •

واننا لننظر الى المستقبل القريب بمزيد من الأمل فى التقدم بخطوات واسعة ، لا تقل شأنا عن تلك التى خطوناها فى الماضى ، طالما كانت نفوسنا صافية ، والتعاون سائدا بين أفراد أمتنا وأفراد شعوب العالم الأخرى •

من كل ما سبق يتضح أن الحق فى جانبنا ، حينما ننادى بالسلام والصداقة بين الشعوب ، لنعيش فى سلام ، لنتجنب ويلات الحروب• اننا كما نؤمن بقوة اتحاد الشعوب ، لنؤمن كذلك بعظم فائدةالصداقة بيننا وبين الشعوب الأخرى •

وان لنا من تجاربنا ما يزيدنا ايمانا بفائدة صداقة الشعوب ، فاذا قويت صلاتها ، وتوطدت على أساس متين ، اذا لساد السلام جميع أنحاء العالم •

١١ — صراع مع الطبيعة

كما تحنو الطبيعة على الصين ، فقد تقسو عليها أحيانا ، اذ قد تفيض مياه الأنهار ، فتغرق مساحات شاسعة من الحقول ، وتعرض البلاد للمجاعات ، ولقد كانت الحياة فى الصين تعتمد على الزراعة فى الماضى ، حتى أن الناس اعتادوا أن يقدروا قيمة ما قام به أباطرتهم من أعمال انشائية بقدر اهتمامهم بالتغلب على الطبيعة القاسية ، كأن يوفقوا الى التمكن من الاشراف على مراقبة الأنهار ، وتجنب أخطار فيضاناتها ، وتوفير المياه اللازمة للرى اذا ما غاض ماؤها · ولا شك أن تلك عادة قديمة درج عليها الناس فى الصين منذ عهد بعيد ، يرجع الى عهد الامبراطور « يو » · وقد يستغرب القارىء كل ذلك ، اذ يظن أن الأمر سهل لا يستحق كل هذا التقدير ، ولكنه ليس من البساطة فى شىء ، اذ أن كثيرا ما أخفق بعض الحكام فى التغلب على الطبيعة ، فحدثت كوارث عرضت البلاد لمجاعات وفوضى لا حد لها ، وذلك اما لقلة ما بذله الحكام من جهد فى صراعهم مع الطبيعة ، واما لعجزهم عن قهرها ، مع ما بذلوا من جهد ·

وكثيرا ما تنشأ المتاعب لعدم انتظام سقوط الأمطار · فقد يبلغ متوسط ما يسقط منها فى بعض الجهات ٧٩ بوصة ، بينما يقل فى جهات أخرى عن أربع بوصات ، وعلى العموم يقع فصل الأمطار فى الصين فى المدة ما بين يونيه الى سبتمبر فقط ، ولذا تظل البلاد تعانى أزمة الجفاف بقية أشهر السنة · وتمتلىء الأنهار فى الصين فى أواخر فصل الصيف ، وهنا تبدأ فى فيضاناتها ، وخصوصا النهر الأصفر الذى يبلغ عدد المرات التى يفيضها حوالى المائة مرة فى السنة ، هذا

اذا لم يكن منسوب المياه عاليا فى النهر، ومن الملاحظ أنه كلما اشتدت التيارات البحرية كثر فيضان الأنهار فى هذه المناطق ٠

ولذا فقد اتخذت الاحتيـــاطات الشديدة لمـكافحة أخطار فيضـــان الأنهار ، والتغلب على التيارات البحرية ، الى حد لم يحدث من قبل ، ولم يعد الاهتمام بالتغلب على فيضان الأنهار مقصورا على نهر معين أو جهات معينة ، بل أخـذت الحـكومة فى بنـاء السـدود ، واقامة الخزانات ، للانتفاع بمياه الفيضان ، فبدلا من ضياعها هباء، وتسببها فى اغراق الحقول ، أمكن الانتفاع بها فى الزراعة ، كما استخدمت قوة انحدار المياه فى توليد القوى الكهربيـة ، وغرس كثير من أشـجار الغابات ٠

وما تلك الخزانات التى أقمناها على نهرى « هاتاى » و « تانجز » الا شاهدا عيان على عظيم ما قمنا به من مجهود فى هذا السبيل ، اذ أصبحا ذا أثر فعال فى التغلب على فيضان الأنهار ، فضلا عن السدود والقناطر التى أعدت من أجل ذلك ، مما حول « النهر الأصفر » من مصدر للهلع والفزع للشعب الآمن المسالم فى الماضى ، الى نهر يفيض باليمن ، ويشع بالخير والبركة أينما حل ٠

ولكن لا سبيل الى الشك فى أننا قد بذلنا جهودا جبارة فى القيام بهذه المشروعات الضخمة ، لما تحتاجه من اجراءات معقدة ٠

١٢ — نظام القضاء فى الصين

كيف يتقاضى الناس فى الصين ، وأى نوع من العدالة يسود المحاكم الوطنية فى الصين اليوم • فمنذ أن نبذنا النظم القانونية البالية ، التى كانت سائدة منذ ست سنوات ، لم ننته بعد من اعداد القوانين والتشريعات التى تتناسب والعصر الحديث ، فما هى الأسس التى سنبنى عليها مواد القانون ، وما هى الوسائل الفعالة الى تطبيقها عمليا ، وماذا نصنع فى فترة الانتقال ، والتطور من القديم الى الحديث• وللاجابة على هذه الأسئلة ، يحسن بنا أن ننظر بعين الاعتبار الى نوع القضايا العادية التى تقدم عادة من يوم لآخر الى محكمة « بيكين » الوطنية •

وأولا وقبل كل شيء ، يجدر بنا أن نقرر أن عدد المتقاضين اليوم ، قد زاد الى حد كبير عما كان عليه فى الماضى • وليس هذا معناه أن عدد الجرائم فى ازدياد مضطرد ، وأن الناس قد بدأوا يأخذون بخناق بعضهم البعض • بل ذلك لأن التقاضى فى الماضى كان كثير النفقات ، معقد الأوضاع • فقد كانت المحاكم فى الماضى لا يلج أبوابها الا الأثرياء • وقد درج الناس على ترديد القول : « انك مهما كنت على حق ، ولم يتوفر لديك المال ، فلا تلجأ الى المحكمة ، لأخذ حقك » ، اذ لم تكن المحاكم متوفرة ، فضلا عن بعدها عن محل اقامتك ، وقد لا يتحقق أملك فى العدالة فلا تنصفك ، رغم ما يبتزه منك القضاة ، والمحامون المتعجرفون من مال ، وما تضطر الى السير فيه من اجراءات معقدة •

أما الآن فقد زاد عدد المحاكم، وأصبحت تتميز بطابع الديموقراطية وصار من حق مجلس الأمة أن ينتخب رئيس المحكمة العليا • أما قضاة المحاكم الأخرى المحلية فتنتخبهم المجالس الاقليمية ويعين قضاة المحكمة العليا اللجنة الدائمة فى مجلس الأمة ، كما يعين قضاة المحاكم الاقليمية اللجان الفرعية فى الأقاليم ، التابعة لمجلس الأمة• واذا ما عرضت قضية على محكمة ما ، سمعها القاضى وعدد من الخبراء المتخصصين ، وهؤلاء يتم انتخابهم مباشرة ، وتعرض قضايا الاستئناف على هيئة من ثلاث قضاة •

وقد أذيعت بعض القوانين واللوائح الهامة ، وأخذ فى تطبيقها ، ومنها قانون الزواج ، والقانون التجارى ، وقانون الانتخاب ، وقانون تحديد الملكية ، واللوائح الخاصة بالادانة ، والقاء القبض ، وأشياء أخرى مماثلة • وحينما تعرض القضايا ، تأخذ المحكمة فى نظرها بلا تأجيل ، وتتخذ القضية دورها الى القضاء بسهولة ، فلا تمر فى اجراءات معقدة ، فضلا عن الاعفاء من دفع أى رسوم • وعلى ذلك زادت ثقة الناس بعدالة القضاء ، ولجأوا الى دور القضاء للتقاضى تحدوهم الآمال فى الوصول الى حقهم •

ولنبدأ بقضايا الايجارات نظرا لكثرة ما يعرض منها على المحاكم فى « بيكين » حيث لا تزال معظم العمارات السكنية فى أيدى كبار الملاك• وينص قانون ايجار المساكن فى الصين على وجوب تحديد قيمة الايجارات بنسبة معقولة ، تبعا لوسائل الراحة فى المسكن وحالته ، مع وجوب خصم تأمين بنسبة خاصة ، يودعه المالك فى البنك للانفاق منه على اصلاح المسكن اذا ما توقف عن ذلك عند الحاجة • وليس من حق المالك أن يرفع على مستأجر دعوى اخلاء الا اذا توقف المستأجر عن دفع الايجار ثلاثة أشهر متوالية ، أو قام المستأجر بتأجير سكنه من الباطن ، بدون اذن من المالك ، كما أن من حق المالك أيضا أن يرفع دعوى اخلاء ، اذا ما أثبت للمحكمة أنه فى حاجة الى العين المؤجرة

لاستعماله الشخصى ، أو لاضطراره لإقامة بناء جديد على الأرض المقام عليها المنزل ، أو القيام بترميمات لا غنى عنها •

ولنذكر على سبيل المثال قضية كان المدعى عليه فيها مدنيا « مدام بيو » ، وهى مالكة العقار ، فقد حصلت على ما يساوى ضعف الايجار، وفضلا عن ذلك فقد ألزمت المستأجرة بدفع ستة أشهر مقدما • ورغم أن المستأجرة ــ وهى ممثلة تدعى مسز باين ــ قبلت الدفع فعلا ، ولم تفكر فى رفع دعوى على المالكة ، ولكن جيرانها قاموا بابلاغ الأمر الى المحكمة فور وصوله الى علمهم •

وقبل عهد التحرير ، وحدوث ثورة الصين الشعبية ، كان الملاك يستغلون المستأجرين ، ويطالبونهم « بخلو رجل » مبالغ فيه ، بل بل لقد ذهبوا الى أبعد من هذا فطالبوا المستأجرين بمبالغ قد تبلغ فى أغلب الأحيان الى قيمة الايجار نفسه ، مما حرمته حكومة الشعب الآن فى الصين • ومع أنه لا زالت « بيكين » تعانى أزمة فى المساكن ، نظرا للزيادة الملحوظة فى عدد السكان التى تبلغ خمسين فى المائة ، فلم يفكر أصحاب الأملاك مطلقا فى انتهاز الفرصة لاغتصاب أموال الناس بالباطل ، خشية وقوعهم تحت طائلة القانون •

ولنذكر مثلا على ذلك ، فانه حينما عرضت القضية المتهمة فيها « مسز يو » حكمت المحكمة لصالح « مسز باين » المستأجرة ، اذ يجب ألا تدفع أكثر مما ينص عليه القانون الخاص بايجار المساكن ، وهو ايجار معتدل ، وعلى المالكة أن ترد لها ما يزيد عن ذلك ، وفضلا عن ذلك فقد ألزمت المحكمة كلا من الساكنة والمستأجرة بدفع غرامة ، لاخلالهما بقانون « استئجار المساكن » •

وفى بعض الأحيان كثيرا ما تحل قضايا النزاع على ايجارات

المساكن بواسطة لجان التوفيق، تجنبا للالتجاء الى المحكمة، مسترشدين في ذلك بايجار المثل في المساكن المجاورة • ولا مانع من أن يقبل الملاك تقسيط المبالغ المتأخرة على المستأجرين ، وتحدد مسئولية الملاك في الزامهم بالقيام بالاصلاحات الخارجية للمنزل ، وعلى المستأجرين القيام باصلاح ما يتلفونه داخل المنزل ، وهذا عرف درج عليه الناس وأصبح لزاما على كل من الطرفين أن يقوم بالتزامه •

أما قانون الزواج الجديد ، الذى صدر في سنة ١٩٥٠ ، فانه ينص على مساواة المرأة بالرجل في العائلة • ويحرم هذا القانون « زواج المصلحة » أو الزواج بالاكراه ، وكذا زواج من لم تبلغ السن القانوني أو الضغط على أرملة بأن تبقى بلا زواج • وبموجب هذا القانون أصبح من حق الزوجان أن يفترقا اذا رغب أحدهما أو كلاهما في الطلاق • ولكن على المحكمة أن تبذل جهدها أولا في التوفيق بينهما ، وعقد مصالحة ، قبل أن تصدر اقرارها للطلاق ، وتبذل عناية قصوى لعدم الاضرار بمستقبل النساء والاطفال نتيجة للزواج الفاشل ، اذ أن لهم حقهم في الحياة •

ولنذكر مثلا آخر على ذلك ، فقد تقدم أحد الموظفين بطلب الى المحكمة ، يريد به طلاق زوجته ، وقد ذكر في طلبه ، أن الفتاة كانت تكبره سنا حين تزوجها • فقد عقد قرانهما ، وفقا لاختيار أهله • وكان اذ ذاك في الثالثة عشر من عمره ، وقد مضى على زواجهما تسع سنوات ، أنجبا خلالها طفلا في الثالثة من عمره ، وبالرغم من أن هذا الزواج كان لا يبشر بخير في بدايته ، فان حياتهما كانت تسودها المحبة والاحترام بين الزوجين ، وظل زواجا موفقا طوال التسع سنوات المذكورة •

ولكن حينما انتقل الزوج الى مثل وظيفته في « بيكين » ، تكشف له الفرق بين زوجته ، وباقي نساء المدينة • اذ تبدى له ما هي عليه من

قلة التثقيف ، وما تتميز به من طباع ريفية • وسرعان ما فعل تيار المدينة ، وما فيه من مدنية ، فعله فى الزوج •

وقــد تصــادف أن زارته زوجته ، يوما ما فى مكتبه ، ورآها بعض زملائه ، ولاحظوا ما هى عليه من سذاجة ، فنظروا اليها شذرا ، ولمحوا بذلك لزوجها ، الذى سبق أن لاحظ ذلك ، فصمم على ضرورة طلاقها •

وهنا جاء دور القاضى للقيام بواجبه فى اقناع الزوج بضرورة العدول عن رأيه بطريق الود ، وحاول ايقاع اللوم على الزوج ، لأنها ان لم تكن متعلمة ، فلا ذنب لها ، اذ كان الواجب عليه ، أن يساعدها ، بتثقيفها ، وقد شهد أقاربهما بأنهما كانا على وفاق تام طيــلة مدة حيــاتهما السابقة • وهنا اقتنع الزوج بخطئه ، وعدل عن السير فى اجراءات الطلاق • هذا مثل من كثير من المنازعات ، التى يمكن حلهــا بالطرق الودية ، خارج قاعة المحكمة •

واذا أخفقت كل المحاولات التى تبذل فى سبيل الصلح بين الطرفين، يجب أن تنظر المحكمة بعين الاعتبار ، الى مستقبل الأطفــال أولا ، فتصدر حكمها بالطلاق بشروط معينة تكفل ضمان مستقبلهم ، ومنها منع أى زوج من طلاق زوجته ، اذا كانت حاملا ، ولم تضع طفلها بعد ، اذ من المحرم أن يتم الطلاق ، قبل أن تلد الزوجة ،ويصبح سن رضيعها سنة على الأقل •

وفى قضية أخرى ، تقدم زوج ، يدعى « ليو شنج منج » طالبا طلاق زوجته ، التى كانت تبلغ الثلاثين من عمرها • وقد زوجهــا له أهله • وقد مضى على زواجهما ، اثنى عشر عاما ، ولكن لم يشعرا بأى سعادة • وفى الحقيقة لقد كان الزوج ، يظل بعيدا عن منزله للدراسة • وحينما تقدم الزوج بطلب الطلاق الى المحكمة ، كانا لم يريا بعضهما منذ أربع سنوات •

وقد عارضت الزوجة أولا فى قبول الطلاق ، ثم عدلت وغيرت رأيها وصممت على الطلاق ، من زوجها ، على شريطة أن يدفع لها مبلغامتجمدا، كنفقة لها ، مدى اثنى عشر عاما ، وهى المدة التى كانت فيهـا بمثـابة زوجة اسمية له فقط • فرفضت المحكمة هذا الطلب ، ولكنها أصدرت حكمها بالطلاق ، والزام الزوج بأن يدفع لها مبلغـا شهريا ، يكفل النفقة لها ولطفلها • وقد حصلت الزوجة على قطعة من الأرض ، من أرض الاصلاح الزراعى ، وبذا أمكن لطفلها أن يعولها فى المستقبل ، الى حد ما • واستمرت نفقة الزوجة ، مدة سنتين ، على شرط أن تقطع اذا ما تزوجت ثانية ، مع استمرار نفقة الطفل ، الى أن يشب ويكبر ، ويصبح قادرا على اعالة نفسه •

ولطالمـا تتلقى محكمة « بيكين » خطابات تفيض بالشـكر ، من المتقاضين الذين تعمل المحكمة على خلاصهم مما هم فيـه من متـاعب قاسية • كما قد تتلقى المحكمة أيضـا خطـابات من أزواج وزوجات متنازعين ، وكان للمحكمة الفضل فى تسوية الخلاف بينهم ، والعمل على استئنافهم لحياتهم الزوجية ، فى جو جديد من السعادة •

هـذا وينص قانون الزواج فى الصـين على وجوب احترام الزوج والزوجة ، كلاهما للآخر ، وعلى ضرورة الحياة معا فى جو من التعـاون والوئام ، وعلى أساس من الوفاق المتبادل ، والمساهمة معـا فى عمـل نافع ، يعود عليهما بالخير ، وأن يعتنيا بتنشئة أطفالهما نشأة صالحة، والعمل على تدعيم الحياة العائلية ، للمساهمة فى بناء المجتمع •

وقد تعرض على المحاكم قضايا تتعلق بنزاع على ميراث • وفى هـذا الخصوص ، لم توضع التشريعات اللازمة لتطبيقهـا فى مثـل تلك القضايا ، ولذا تضطر المحاكم الى الاستنارة بآراء أهل الخبرة ، فى اصدار أحكامها ، وقد تسترشد بما قد سبق عرضه من قضايا مماثلة ، وما صدر من أحكام وقرارات ، فى جميع قضايا الميراث ، التى تجمـع

عادة وتدرس بعناية ، لتصبح فى متناول القضـاة للائتنـاس بها فى أحكامهم ، عند نظرهم لقضايا أخرى ، وقد كان لهذا أثره فى خـدمة المجتمع ، والعمل على تحسن النظام الاجتماعى ، ووفرة الانتاج •

ولا شك أن حق الملكية ، وحرية الامتـلاك ، مكفولان فى الصـين للجميع ، كما فى باقى الممالك الأخرى • كما يعترف بالوصـايا ، طالمـا كانت صادرة من شخص يتمتع بكامل قواه العقلية ، وتوقيعـه عليها سليم ، وغير مشـكوك فيه ، الى غير ما هنـالك من الاجراءات الرسمية ، وما تفرضه من اشتراطات • كما أن من اختصاص المحكمة ، أن تنظر بعين الاعتبار ، الى حالة أحفاد المتوفين ، فتخص المعـدمين ، أو الأقلية منهم بنصيب من الميراث ، حتى ولم يذكروا فى وصاياهم •

أما اذا عرضت قضية ميراث على المحكمة لنظرها ، ولم تكن هنـاك وصية ، قامت المحكمة بتوزيع الميراث بين الورثة ، على أسـاس من العدل والتساوى ، ولكن على شريطة ألا يمس ما قد يكون ضمن الميراث من مصانع أو آلات ، حتى لا يؤثر ذلك فى انتـاج الدولة • ويدخل أيضا فى اختصاص المحكمة ، أن تستقطع قيمـة الصـداق من الميراث للابنة المتزوجة •

وعلى سبيل المثال نذكر قضية ميراث كانت تخص « وانج فرسس وانج » ، ولم يكن هناك وصية • فقـام خمس اخوات متزوجات برفع دعوى على خالهم الذى وضع يده على منزل كانت تسكنه أمهما قبل وفاتها • وقد أسفر التحقيق الذى قامت به المحكمة ، على أن الأم كانت طريحة الفراش ، خلال الستة الأشهر الاخيرة من حياتها • وفى خلال تلك المدة قام الخال بدفع جميع نفقات علاجها ، وتكفل بالانفاق عليها ابان مرضها ، وفى نظير ذلك قامت الأم بالتنـازل عن منزلهـا له • وبناء على ذلك ، اعتبرت المحكمة أن هذا يعد تنازلا من الأم لاخيها عن

منزلها • وبذا يؤول اليه بطريق التنازل • وأصـدرت المحكمة تبعا لذلك حكمها ، بأحقية الاخ ، بملكية المنزل ، وفقا لاحترام رغبة الأم ، وقسمت باقي التركة ، وهي قطعة من الارض على الاخوات بالتساوى •

• هذه مجرد أمثلة قليلة من كثير ، من أنواع القضايا المدنية ، التي تعرض على المحاكم في الصين• كما نود أن نذكر أن كل محكمة ملحق بها عدد من الاستشاريين القانونيين ،حيث يباح للناس مقابلتهم ، في إدارة خاصة للاستشارة القانونية والاستعلام مما قـد يحل كثير من القضايا والاشكالات عن طريق هذه المكاتب الاستشارية ، وبذا يتوفر على المتقاضين عناء التقاضي أمام المحكمة •

وأخيرا لايسـعنا الا الاعراب عن عظيم تقديرنا لمـا يقوم به رجال القضاء والمستشارون من سهرهم على أن تبلغ العدالة غايتهـا في كل زمان ومكان •

١٣ — الاصلاح الزراعى حرب على الإقطاع

ان ماتم الآن فى الصين ، من تحقيق قانون الاصـــلاح الزراعى ، لأعظم عمل قامت به حكومة الثورة • فمجرد اصدار هذا القانون ، كان بمثابة الضربة القاضية على الاقطاع ، الذى ظل يعاصر البلاد مدى ألفى وخمسمائة سـنة ، واحلال نظـام سليم يكفل اعطاء الارض لمن يزرعها ، ووجوب تملكه لها • فلم يمض على ميـلاد جمهورية الصين أكثر من سنتين ونصف الا وقد عم انتفـاع أكثر من ثلاثمـائة مليون نسمة من سكان الريف ، بهذا القانون ، اذ تخلص عدد لايحصى من الفلاحين المعدمين من ايجارات باهظة ، كان يثقـــل بها كاهلهم ملاك الأراضى ، وما كانوا يلاقونه من عنت فى تحصـيل الديون المتراكمة عليهم ، وأصبحوا يجنون ثمار عملهم لانفسهم ، فعرفوا معنى الحياة • وقد حقق هذا القانون أيضا ، تحسن الدخل القومى ، فزادت حصيلته، وعم الثراء أرجاء الدولة ، خصوصا سـكان الريف • وعلى هـذا أمكن للصين أن تنهض صناعيا • اذ لولا الاصلاح الزراعى ، لمـا أمكن لها أن تحقق نهضتها الصناعية ، طالمـا كانت الأرض فى حوزة طبقـة معينة من الناس وهم الاقطاعيون •

وقبل أن يصدر قانون الاصلاح الزراعى ، كان مقـــدار ما يملـكه الاقطاعيون ، الذين كانوا يعيشون عالة على صغار الفـلاحين ، يبلغ حوالى خمسين أو ستين فى المـائة من مجموع الاراضى الزراعيـة كلها فى الريف • ويبلغ عدد السكان الذين يعيشون خارج المدن ويسكنون الريف ، حوالى خمس وتسعون فى المـائة من مجمـوع السـكان •

وهؤلاء كانوا يملكون أقل من نصف الأرض الزراعية • فلما صدر قانون الاصلاح الزراعى قضى على ما كان يقاسيه هؤلاء الفلاحون من ظلم ، وما كانوا يتعرضون له من اضطهاد ، مما كان أحد العوامل الرئيسية فى تأخر البلاد ، واعاقتها عن التقدم سنين طويلة ، فضلا عن توزيع الاراضى ، توزيعا عادلا بين الرجال ، والنساء ، والاطفال • ولا شك فى أن تغيير النظام السياسى فى الصين ، كان له أكبر الاثر فى تحقيق الديموقراطية ، التى أصبحت حقيقة مؤكدة يتمتع بها جميع المواطنين •

ولكى نتفهم مساوىء العهد القديم ، التى قضى عليها العهد الجديد ، يجدر بنا أن نبدأ بعرض صورة للحياة فى الريف ودراستها من جميع الوجوه •

فأما من حيث السكان ، فقد كانت هناك طبقتان من الناس ، طبقة الملاك ، وينقسمون الى أربع طبقات ، وهم طبقة الأغنياء ، وهؤلاء كانوا يمثلون الرأسمالية ، والاستغلال فى الريف • اذ كانوا طبقة الاقطاع • وتلى هؤلاء الطبقة المتوسطة من الفلاحين ، وهؤلاء كانوا من صغار المنتجين ، ولا يستغلون ، و لايتحكمون فى غيرهم بحكم مركزهم الاجتماعى • ثم تأتى بعد ذلك طبقة صغار الفلاحين ، وهؤلاء كانوا هدفا لتحكم الاقطاعيين فى نواحى مختلفة • وفى النهاية طبقة المعدمين من الفلاحين ، وهؤلاء كانوا يؤجرون لدى الطبقات الرأسمالية •

والآن ، فلننظر عن كثب الى حالة كل من الطبقات السابقة لنعرف طريقتهم فى الحياة ، ومستوى معيشتهم •

فأما أصحاب الأراضى ، فكانوا فئة قليلة من الناس لايعملون فى الأرض ، بل يستأجرون من يزرعها لهم ، ويجمعون من ايجار أراضيهم

الى جانب ذلك دخلا لا يستهان به ، كما كانوا يحصلون على أثمان باهظة من بيع محاصيلهم ، التى كانوا يختزنونها ، ويضاربون بها فى الأسواق • وكثيرا ما كانوا يقومون بعمل الملتزمين ، الذين يجمعون الضرائب ، ويخرجون منها بنصيب الأسد ، عن طريق الغش والخداع • وهذه الطبقة كانت لها السطوة فى الريف ، اذ كانوا يسومون الأهالى سوء العذاب ، ويتحكمون فى رقابهم عن طريق الايجارات ، والأرباح والأثمان ، والضرائب • وقد كان تعداد هذه الطبقة الرأسمالية يبلغ حوالى ثلاثين أو خمسين مرة من تعداد طبقة أثرياء الفلاحين •

أما أثرياء الفلاحين ، فكانوا أقلية ، بين تعداد الفلاحين حيث كان عددهم لا يتعدى خمسة فى المائة من مجموع تعداد الفلاحين ، وكان فى حوزتهم بضع أجزاء من الأرض ، وما يلزمهم من معدات فى حياتهم الزراعية • ومن هذه الطبقة من كان يتولى زراعة الأرض بنفسه ، ولكن عن طريق استئجار من يفلحها لهم لمدد طويلة • ومنهم من كانوا يؤجرون أرضهم لغيرهم ، أو يقرضون المال نظير ربح معلوم • وكان مقدار ما تستحوذ عليه هذه الطبقة يبلغ حوالى عشرة فى المائة من مجموع الأراضى الزراعية فى الصين •

أما الطبقة المتوسطة من الفلاحين ، فهم فئة آخذة فى الاضمحلال تدريجيا ، اذ نلاحظ نقصا فى عددهم عاما بعد آخر ، وهذه الطبقة تزرع الأرض بنفسها ، ولا يقبلون أن يستأجرهم غيرهم ، احتفاظا بقواهم ، ووقتهم للانتفاع بها فى العمل فى أراضيهم ، الذى تكفيهم موارده •

أما صغار الفلاحين ، فهم الغالبية العظمى من سكان الريف ، وهذه فى تزايد مستمر • فمنهم من يملك قطعة صغيرة من الأرض لاتكاد تكفى معاشه ، وهؤلاء تنقصهم الآلات ، والمعدات الزراعية ، ولذا

يضطرون لمزاولة بعض الأعمال ، كعمال بالمياومة ، أو القيام بالحصاد لفترة معينة • وهذه الطبقة كانت تعيش على الكفاف ، يبدو عليهم البؤس ، ويثقل كاهلهم ايجار الارض الباهظ ، وربح مايقترضونه من مال • ولكي تبدو حالتهم أكثر وضوحا ، يكفى أن تتصور قرية ، تصف سكانها من صغار الفلاحين ولكنهم يملكون ستة عشر فى المائة من مجموع أراضيها •

• وكان أفراد هذه الطبقة، وهى الغالبية العظمى من صغار الفلاحين، يلزمون بدفع أربعين أو خمسين فى المائة من قيمة محاصيلهم فى تسديد ايجار الاراضى ، ولكن كان مقدار ما يدفعونه حقيقة يبلغ ستين أو سبعين فى المائة • وذلك لأن ملاك الاراضى كانوا يقدرون الايجار تبعا لمساحة الأرض وبحسب قيمتها ، بما فى ذلك الارض المقامة عليها منازلهم ، وحظائر مواشيهم والطرق الزراعية • فكانت كل هذه المساحات تحسب على صغار الفلاحين كأنها أرض زراعية مؤجرة • ولنتصور مقدار ما كان يثقل كاهلهم بعد ذلك ، فان كل فلاح منهم ، كان ملزما بأن يدفع ما يساوى ايجار سنة من ايجار الارض بحساب قيمة غلتها كتأمين •

وبما أن الكثيرين منهم ، كانوا لا يملكون قيمة هذا التأمين فكان يحسب دينا عليهم ، يحسب بفائدة سنوية تبلغ خمس وسبعون فى المائة من قيمة الدين ، الذى كان كثيرا ما يتراكم على الفلاح المسكين سنة بعد أخرى ، هو وفوائده ، وكلما زادت المدة ، وتوالت السنون زادت الفوائد ، وارتفع تبعا لذلك مقدار الدين ، حتى عبر عن ذلك أحد الفلاحين بقوله : ان حالنا تشبه من يرتدى قبعة من الخوص فى يوم مطير ، فكلما طالت مدة استقرار القبعة على رأسه ، زاد تساقط المطر عليها ، وكثر امتصاصها للماء وزاد ثقلها •

أما طبقة المعدمين من الفلاحين ، فهم فئـة لا يملـكون شروى نقير ، ويعيشون من عملهم كأجراء عند الآخرين ، فيوما يحصلون على رزقهم، ويوما يبيتون على الطوى ، وحينا تصفو لهم الدنيا ، بالحصول على عمل، وحينا تعبس فى وجوههم ، فلا يجدون ما يســدون به رمقهم • ولا شك أنهم كانوا يعيشون على هامش الحياة ، بدون تحسن فى حيـاتهم أو أمل فى المستقبل • فضلا عن التزايد المضـطرد فى عددهم ، كباقى من يشابههم من الطبقات •

وعند بدء حركة التحرر ، كان عدد هؤلاء الفلاحين المعدمين ، الأجراء يبلغ فى بعض القرى حوالى ثلاثين فى المـائة من سـكانها • وكانوا يرزحون تحت كاهل من الظلم ، يفلحون الأرض من الصـباح الى المساء ، فى صبر واناة ، ولا يحس أحد بما يقـاسون • وكثيرا ما كان يتذرع ملاك الأراضى بما يدعونه من وقوع مخالفات ، أو حدوث تقصير منهم ، ليجدوا سبيلا الى استقطاع جزء من أجرهم الضئيل ، ان لم يكن كل الأجر تقريبا ، فكان يأتى عليهم وقت الحصاد ، وكأنه كابوس ثقيل ، ولا يحسون له بشـىء من البهجة ، اذ كان مـلاك الأراضى ، يناقشونهم الحساب ، فيخرجون صفر اليدين •

ومن هنا يتضح لنا أن هؤلاء الأجراء ، كانوا تحت رحمةالاقطاعيين ملاك الأراضى ، الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب ، ويتحكمون فى رقابهم • وكم كان يلذ لهؤلاء الملاك أن يبقوا جزءا من أجر مأجوريهم، حتى يضمنوا خضوعهم لهم وبقائهم تحت سيطرتهم ورحمتهم •

وكان مجموع متوسطو الحال من الفلاحين ، والفقراء والأجراء ، مما يبلغ حوالى تسعين فى المائة من سكان الريف • ولكن مقدار ما كانوا يمتلكون كان يبلغ أقل من ثلاثين فى المائة من الأراضى •

ومن كل ما سبق يتضح لنا ما كان عليه الاجراء وفقراء الفلاحين من بؤس ، وما كانوا عليه من فقر ، وما تعرضوا له من اضطهاد ، مما كان له أبلغ الأثر في نفوسهم ، التي كانت تفيض بالأسى وكأنهم النار تحت الرماد ٠

فلما نشبت ثورة التحرير في الصين ، سرعان ما انضموا تحت لوائها ، وأصبحوا في طليعتها ، وصاروا حربا على الاقطاع ، واليهم يرجع الفضل فيما يرفل فيه أهل الريف في الصين الآن من سعادة وهناء ، وما يتمتعون به من عيش رغيد ٠

وشتان بين الأمس واليوم ، اذ ظل فلاحو الصين أكثر من ألفي سنة ، في نضال مستمر مع ملاك الأراضي ، للحصول على نصيبهم من الأرض ٠ وكانت أول ثورة قاموا بها في سنة ٢٠٩ ق٠م٠ وتلتها ثورات أخرى ما بين صغيرة وكبيرة ، ولكنها كانت جميعها في حاجة الى من يحسن قيادتها وتوجيها ، اذ كان الأمر يتطلب وجود طبقة جديدة من الفلاحين ، ولكن أنى لهم هذا ولما يكتملوا نضوجا فكريا بعد ٠ ولذا باءت كل محاولاتهم ، وجهودهم الجبارة بالفشل ، وظل معظم الفلاحين تحت رحمة الاقطاعيين ، ردحا من الزمن ٠

ففي منتصف القرن التاسع عشر ، أخذت طبقة جديدة من الفلاحين تبزغ الى الوجود ، وهي من الطبقة المتوسطة منهم ٠ وسرعان ماهاجمت باقي الفئات ، تكتلات هذه الطبقة ، وعملوا على تفككها ، وكان هذا هو بدء نشوء النظام الاقطاعي في الصين ٠ ولكن الطبقة المتوسطة لم تجرؤ على الظهور بتزعمها لهذا النظام ، وارتبط ملاك الأراضي بميثاق مع محبي التوسع الاستعماري من الاجانب ، الذين أمدوهم بالأسلحة ، وزودوهم بجيوشهم ، حتى تم لهم النصر ، بعد حرب أهلية دامية ، دامت أربعة عشر سنة ، وأصبح الاقطاع يسود الفلاحين ويسيطر عليهم أعواما طويلة ٠ وفي خلال الثلاثين عاما

الأخيرة ، انضم صغار الفلاحين تحت لواء الحزب الاشتراكى ، وبذا أصبح الطريق أمامهم ممهدا للقضاء على الاقطاع ٠

وفى سنة ١٩٢٧ ، كان لرد الفعل الذى أحدثه حزب «الكومنتاج» الذى حكم الصين ، أثره البالغ فى تخفيض الايجارات ٠ ولكن بما أنهم هم أنفسهم كانوا يمثلون طبقة المنتفعين من الأراضى ، فانهم بهذا قد زادوا مشكلة الفلاحين تعقيدا ٠ فلما انتشرت مبادىء الحزب الاشتراكى ، رحب بها الجميع ، وعملوا جاهدين على تحسين حال الفلاح ٠ وبانضمام فلاحو مقاطعة « كيانج تسى » تحت لواء هذا الحزب ، أمكنهم أن يقاوموا حتى النصر ، جيشا كامل التسلح ، يبلغ عدده حوالى المليون ، جرده عليهم « شيانج كاى تشيك » وذلك لايمان كل فرد من الفلاحين بأنه انما يدافع عن أرض سيصبح مالكا لها ان هو أحسن الدفاع عنها ، والا اغتصبت منه ٠

وفى خلال حرب الصين مع اليابان ، لرد اعتدائها عليها من سنة ١٩٣٧ الى سنة ١٩٤٥ ، انتهجت حكومة شيانج كاى تشيك سياسة البدء فى جمع ضرائب زراعية عينية ، بدلا من فرض ضرائب مالية ، فألقى الاقطاعيون عبء هذه الضرائب على كاهل الفلاحين بأن أخذوا يحصلون على قيمة ايجار الأرض محاصيل زراعية عينية ، فتأثرت بهذا حال الفلاحين الفقراء ، وسارت حياتهم الاقتصادية من سىء الى أسوأ ٠

أما فى المناطق التى أشرف على زرعها الحزب الاشتراكى ، فقد اتبع فيها سياسة اصلاح الأراضى ، ووفقا لسياسة الحزب ، خفضت الايجارات وألغيت التأمينات وما كان يلازمها من أرباح ٠

وقام الحزب بمصادرة جميع الأراضى والآلات التى كان يملكها الموالون لليابانيين ، من خونة الرأسماليين من الصينيين ، وحولت

لمصلحة فقراء الوطنيين من فلاحي الصين • وكانت النتيجة أن زاد دخلهم من ثلاثين في المائة الى خمسين في الأراضي التي تحررت • وهذا يفسر لنا سر انتصار القوات المسلحة للحزب الاشتراكي ، بل يعتبر من أهم الأسباب الرئيسية في تفوقهم في الشمال والشمال الغربي على القوات الموالية لليابانيين ، وبذا أمكنهم تحرير مساحات شاسعة من الأراضي ، والقيام بزراعتها •

ونشبت في أعقاب حرب اليابان ، حرب التحرر ضد حكومة « شيانج كاي تشيك » وسادته الامريكان الذين آزروه في الحرب ضد اليابان • وقد قرر حزب الصين الاشتراكي أن يغير من سياسة تخفيض الايجار والتأمينات وأرباحها • وقد اتبع في ذلك سياسة أخرى ، وهي مصادرة اقطاعيات الاغنياء من الفلاحين ، وتوزيعها على الفقراء منهم • وساد قانون الاصلاح الزراعي في الشمال ، والشمال الشرقي من الصين ، وفي مقاطعة « شانتوج » • وبذا أصبح أكثر من نصف الايراد يتدفق الى جيوب صغار الفلاحين المعدمين •

وفي بداية سنة ١٩٥٠ ، أي بعد مرور ثمانية أشهر على تأسيس الحزب ، أعلنت الحكومة المركزية ، حكومة الشعب ، قانون الاصلاح الزراعي الجديد •

وفي أغسطس من السنة نفسها ، أعلنت زوال الفوارق بين جميع الطبقات في الريف • وكانت هذه أولى الخطوات الفعالة نحو القضاء على الاقطاع ، وذهابه الى غير رجعة •

وفضلا عن توزيع الأراضي ، فقد أصبحت الآن الأرض الزراعية ومواشي الفلاحين الأغنياء وحاصلاتهم ، ملكا لصغار الفلاحين ، عقب مصادرتها وتوزيعها عليهم •

ثم قامت حكومة الشعب بالاستيلاء على المصانع والشركات ، والمشروعات التجارية ، التى يساهم فيها كبار الملاك ، وعوضتهم عن ذلك سندات مالية على الحكومة ، وفاء لديونهم • وقد حد ذلك من تضخمهم المالى ، والقضاء عليهم كاقطاعيين • كما قامت الحكومة بالتحفظ على أرباح الأغنياء من الفلاحين أو من يملكون مساحات كبيرة من الأرض • ولقد كان لاشراف الحكومة على ايراد ودخل أثرياء الفلاحين، أثره البالغ فى تحسن الاحوال الاقتصادية فى الريف ، وازدهار الحياة فيه •

ومن الجهات التى كانت لها الاسبقية فى الانتفاع بقانون الاصلاح الزراعى ، شمال الصين وشماله الشرقى • وحينما أعلن قانون الاصلاح الزراعى ، كانت لا تزال هناك مساحات شاسعة لم تطبقه ، فى الشمال الغربى ، وأقصى الجنوب ، وشرق الصين •

وقد أخذ قانون الاصلاح الزراعى يطبق فى هدوء ، وبنظام معين، ولذا مر بهدوء ، ولم يلق معارضة ما • فقد اختيرت قرى معينة فى كل مقاطعة لتطبيق هذا القانون تدريجيا ، فى سنة ١٩٥٠ بعد جمع محصول الخريف • وفى المدة من يناير الى مارس سنة ١٩٥١ ، أخذ فى تنفيذ البرنامج بأكمله • ولم يأت شهر مايو ، الا وكان توزيع أراضى الاصلاح قد تم •

وأما الجزء الجنوبى من الصين فقد خضع لايجار مخفض ، وتقليل فى الربح ، وسرعان ما حانت الفرصة لاتخاذ الخطوة التالية • فمن مارس سنة ١٩٥١ أخذ فى توزيع مساحات كبيرة من الأرض تبلغ حوالى اثنان وستون فى المائة منها بين عدد من الفلاحين يبلغ عددهم حوالى سبعين فى المائة من مجموعهم •

ومن هنا أخذت حكومة الثورة فى وضع الخطوط الرئيسية للاعتماد على صغار الفلاحين والأجراء منهم ، مع ضمان بقاء الاغنياء على الحياد، على أن تدفع الحكومة لهم ثمن أرضهم بالتقسيط • وقد أصبح لكل ثمان من المدن الصغيرة أرض يملكها بعض السكان فى الريف ، من أرض الاصلاح •

ولا شك فى أن الاصلاح كان من الممكن ألا يتم فى الريف بدون اشراك أهل المدن فيه ، وذلك لأن كثيرين من ملاك الريف يعيشون فى المدن عادة ، كما أن من بين سكان المدن عددا لا يستهان به من فقراء الريف الذين هجروه الى المدن للحصول على رزقهم • ولذلك كان من الضرورى أن توجد مكاتب فى المدن كى ترشد الناس الى مزايا الاصلاح الزراعى ، وتدعو له بين الناس ، كما قام أهل المدن بانشاء ادارات منظمة للاصلاح فى الريف كى تسهل مهمته •

ولا شك ان الاصلاح الزراعى ، كان أعنف مرحلة ، وآخر حرب شنتها الثورة الاشتراكية على الاقطاعيين ، انه ثورة الفلاحين على أصحاب الأراضى ، وارغامهم على الاعتراف بهم كطبقة من الناس ، لهم حقهم فى الحياة ، ولهم مثلما لهم من حقوق فى امتلاك أراضى مثلهم • وكان هذا قضاء مبرما على الاقطاع ، حيث تم للفلاحين ما أرادوا بسرعة لا نظير لها ، وكم كان جهادا موفقا، وجهدا مشكورا، والفضل فى ذلك يرجع الى الحزب الاشتراكى الذى احتضنهم ، وآمنوا بمبادئه وعضدوه وآزروه ، فكان النصر حليفهم •

ولا ريب أن مثل هذا التغيير ما كان ليتسنى أن يتم من غير عقول حصيفة تشرف على قيادة الجماهير ، وادارة حازمة تحسن توجيههم ، ونضوج الوعي السياسى بين أفراد الأمة ، ونظام دقيق ، وادارة قوية تسيطر على كل شىء ، حتى لا يتسرب اليه التفكك ، أو يعتريه تحول يؤدى به الى الفشل •

كل هذه الاعتبارات كان لا بد من بحثها فى الأعمال التحضيرية التى سبقت تنفيذ القانون ، فقسمت الاجراءات الى مراحل ثلاث :

فأولا اجتمعت شراذم من قوات مسلحة ، وسلبت سلطة رجال الريف المستبدين من الملاك ، وأشرف على استتباب الأمن رجال الحكومة ·

ثم استعد الفلاحون للبدء بحركتهم بأن طالبوا بتخفيض الايجارات، ووضعوا يدهم على المحاصيل ، بينما ازدادت قوة الاتحادات الزراعية ، فاتخذت الخطوات الأولى فى اعادة النظر فى تنظيم الاشراف على القرى · وبذا أدرك فقراء الفلاحين مدى قوتهم اذا تكتلوا ، وأمكنهم بذلك التغلب على ملاك الأراضى · ومن ثم انضموا الى جميع الفئات التى كانت تشعر بالظلم والاستبداد · وكانت هذه هى الخطوة الثانية ·

ثم جاءت الخطوة الثالثة ، اذ جند آلاف من عمال الاصلاح، فى المدن والريف ، ليتدربوا على فهم واجباتهم ، ولذا أرسلوا الى مراكز التدريب ليتلقوا تدريبا عمليا · ومن ثم أرسلوا الى المناطق التى ستخضع للاصلاح كى يبدأوا بالتعاون مع اتحادات الزراعيين فى تنفيذ قانون الاصلاح على نطاق واسع ·

أما الاصلاح نفسه فينقسم الى أربعة مراحل ·

فأولا تبدأ الدراسة لوحدة من القرى تضم قرية نموذجية ، للنسج على منوالها · وهنا يبدأ بعض العمال المدربين من ذوى النشاط بشرح سياسة الحكومة ، وما تعنيه من الاصلاح لباقى زملائهم · ومن مناقشات مساوىء الماضى واستبداد الملاك بهم ، يتضح لهم الى أى

طريق يسيرون وتبدو لهم الحقيقة ناصعة ، فيؤمنون بمبادىء الاصلاح اذ أنهم بعد أن كانوا معدمين سيصبحون مالكين للأرض التى يزرعونها ، والتى كانت فى حوزة الملاك قوة واقتدارا ، بل أخذت منهم اغتصابا بطريق الغش والخداع . وتفعل هذه الآراء فعلها فى نفوس الفلاحين ، فيغلى مرجل الحقد فى نفوسهم ، ويتطلعون الى استخلاص حقوقهم .

ومما يساعد على ذلك انهم يلقون تعضيد الحكومة ، بينما لا يلقى أصحاب الأملاك أى تعضيد . ومن الخطوات التى اتبعت لتدعيم هذا النظام ، تخلص الاتحادات الزراعية من عملاء الملاك الذين حاولوا بعد التحرر ، أن يتغللوا فى هذه الاتحادات ، وأحل محلهم أعضاء مشهود لهم بالكفاية والنشاط . فمن كان منهم قبلا فى الاتحادات وأظهروا تقاعسا فى أعمالهم ، حل غيرهم محلهم ليتولوا دور القادة فى الادارة بنشاط وحزم .

وأنشئت محاكم الاخطاط ، لحل مشاكل الفلاحين، وقدم للمحاكمة كل من أظهر ميلا للاتيان بأعمال استبدادية من الملاك ، أو حاول اقتراف جرائم خطيرة ، وبذا تم القضاء المبرم على سلطة أصحاب الاملاك ، وانمحت كل مظاهر الحياة التى كانوا يتمتعون بها من جاه وسلطة ، وأصبحوا يعيشون على هامش الحياة فى الريف لا يملكون التحكم فى أى شىء .

وأما الخطوة الثانية فكانت نحو تثبيت هذا النظام فى القرية ، أى تدعيم مركز صغار الفلاحين ، فحاول مرشدو الاصلاح الزراعى اتاحة الفرصة لعامة الفلاحين فى ممارسة أعمالهم بأنفسهم ، ووقفوا هم خلف الصفوف يرقبوا ما يفعلون بدون تدخل فعلى فى أعمالهم ، اذ قد انتهى دورهم فى النصح والارشاد ، وجاء دور الفلاحين أنفسهم لتطبيق ما تعلموه عمليا وحدهم .

وتعد هذه المرحلة من الأهمية بمكان ، اذ انها تحتاج الى كثير من العناية والحرص • فكانت موضوعات المناقشة تطرح أولا على هيئة أسئلة على أعضاء الاتحاد الزراعى ، ثم يأخذ باقى الأعضاء فى مناقشتها فيما بينهم • أما من كان لهم شكاوى أو ادعاءات ضد أى فرد من طبقات الفلاحين ، فكان عليه ان يتقدم بها للاتحاد الزراعى ، ليناقشها الاعضاء فى اجتماع عام ، ثم ترفع القرارات الى الحكومة الفرعية فى الاقليم لاقرارها واعلانها بصفة رسمية • وفى نهاية المرحلة تحدد مركز كل عائلة فى الريف ، وحددت الطبقات •

وقد اتبع فى تحديد الطبقات ما ذكرناه آنفا من الخطوات ، ولاشك أن هناك حالات خاصة كانت تتطلب معاملة استثنائيه • فمثلا قد يكون هناك شخص ينحدر من أصل ينتمى الى طبقة الملاك ، فمثل هذا الشخص ليس من الضرورى أن يعامل معاملة هذه الطبقة ، ما دام هو نفسه ليس منها • كما أن هناك كثيرين ممن أنضموا لجيش الثورة كانوا يملكون أو يؤجرون أو يستأجرون أرضا زراعية ، فمثل هؤلاء ليس من الحكمة اعتبارهم من طبقة الملاك ، اذ ان قانون الاصلاح الزراعى حدد الملكية ووضع لها حدا أقصى وهو ٢٠ ٪ من مجموع الأملاك ، تصبح فى حوزة الافراد ، وما زاد عن ذلك يخضع لقانون اعادة التوزيع • وقد تعفى هذه الزيادة من المصادرة ، اذا كان للمالك ابن أكبر يعيش بمفرده ، أو يتيما ، أو عاجزا عن الكسب لمرض أقعده وأفقده القدرة عن ممارسة أى عمل ، أو من ليس لهم وسيلة أخرى للكسب عن طريق العمل من الأبناء •

وكما وصفنا ، يتضح لنا دقة الفواصل والتحديدات التى اتبعت لتوضيح الفوارق بين الاقطاعيين وغيرهم • وقد طبق هذا النظام على جميع الاقطاعيين فى المزارع الكبيرة والتى يشرف على ادارتها أفراد معينون ، ويستغلونها لحسابهم من كبار الملاك •

وأما الخطوة الثالثة ، فكانت مصادرة ممتلكات الاقطاعيين . وقد اتبعت فى ذلك طريقة عملية سريعة ، من غير مقدمات أولية ، ما دام الناس قد ألموا الماما كافيا بتفصيلات تحديد الملكية . وأخذ صغار الفلاحين يعقدون اجتماعات عامة ، تضم الأجراء منهم ، والمعدمين فى أنحاء متفرقة من القرى ، وقد دعى الى هذه الاجتماعات متوسطو الحال والأغنياء من الفلاحين ، ليدلوا بمحض اختيارهم بمعلومات عن قيمة ممتلكاتهم ، واذا ما حدث اختلاف فى الرأى عن تحديد مساحة الأرض ، أو قيمتها ، اتخذ من الاجراءات ما يكفل تمام ذلك على الوجه الصحيح .

وأما اذا قدم بعض الملاك التماسا باعادة النظر فى توزيع أرضه أو ممتلكاته ، فيعرض على الاعضاء فى الاجتماع العام ، اذا قبل هذا الالتماس ، ويعتبر القرار الثالث للاجتماع ، قرارا نهائيا . ولا تمنح فى العادة تعويضات عن حدوث خطأ فى المصادرة للأرض أو الاملاك ، ولكن تمنح التعويضات على أساس ما قد يصيب بعض الأفراد من اضرار نتيجة خطأ المصادرة ، بنسب مختلفة ، اذا ما ثبت انها المصدر الوحيد لرزقهم .

ويقدر ما يخص الفرد من أصحاب الاملاك ، وفقا للأسس التالية . فما يخص الفرد من الطبقة المتوسطة أو الفقيرة من نصاب يقره القانون ، يبقى فى حوزتهم ، وتصادر ممتلكات كبار الملاك المستبدين فى الريف ، وما يملكون من ضياع يديرونها لحسابهم .

وأما الخطوة الرابعة والأخيرة فكانت تنحصر فى قيام كبار الملاك بتسليم ما لديهم من عقود التمليك ، وايصالات وصكوك على باقى أفراد الفلاحين ، والتى قد تثبت ديونهم عليهم ، ثم تحرق هذه الاقرارات فى اجتماع عام بعد فحصها للتأكد من سلامتها . ويسلم

بعد ذلك الى هؤلاء الفلاحين الصغار عقود تمليك جديدة ، تثبت ملكيتهم للأراضى التى منحت لهم ، ومشروعية ملكيتهم لها .

ولا يخفى ما فى الخطوات الاربعة السابقة من عناء ، لان كبار الملاك وهم أصحاب السلطة والجاه فى الريف ، يجب أن يخضعهم ويحد من سلطانهم صغار الفلاحين . وما أشق ذلك على نفوس الملاك .

فاذا ما تم النجاح للاشتراكية فى الانتصار على الاقطاع ، فى قرية ما ، انتشر الخبر بسرعة وسرى الى باقى القرى ، ويدعى لذلك عدد من مندوبى الاقاليم ، ليشاهدوا بأنفسهم ما تحرزه الاشتراكية من تقدم ، ما عدا هؤلاء الذين يمكثون لتثبيت دعائم المشروع من الاشخاص المدربين الذين قد يرسلون الى جهات أخرى ، لانه ضمانا لنجاح تنفيذ القانون ، توضع جميع الكفايات والامكانيات تحت تصرف قادة المشروع ، فمثلا يجب أن توضع جميع خطوط التليفون على اتصال دائم بين القرى وبعضها ، ويجب أن تكون جميع القرى على اتصال دائم بالحكومة الرئيسية ، أو الحكومة الاقليمية .

ولكن لماذا كان من الضرورى ان يبدأ الاصلاح من نقطة رئيسية ويتفرع منها الى الجهات الاخرى ، أى لماذا ينتشر من المركز الى باقى المساحات فى الريف . ذلك لان السبب أن كلا من قوتى الاقطاع ، وقوة الوعى السياسى ، لدى الفلاحين ، يختلفان فى مكان ما عنه فى الآخر . ولا يخفى قيمة النجاح المبدئى فى نقطة ما ، بما يولده من ثقة فى نفس من يعملون ، اذ يستشعرون انهم مقدمون على عمل جلل ، فضلا عن ان هذه هى الطريقة الوحيدة للتدريب السريع ، حتى تحصل على عمال يصلحون للقيام بعمل ايجابى على نطاق واسع .

وفى خلال السنة الاولى التى صدر فيها قانون الاصلاح الزراعى ، انتظم فى سلك التدريب ما يقرب من ثلاثمائة ألف قائد ، مكونين جيشا من العمال ، للعمل على اصلاح الحالة فى الريف .

أما فى سنة ١٩٥١ ، فقد نفذ قانون الاصــلاح الزراعى فى أرض تضم مائة وثلاثين مليونا من سكان الريف • وبالاضافة الى مجموع ما قد تم تحريره ، وهو مائة وتســعون مليونا ، يبلغ فى مجــموعه ثلاثمائة وعشرون مليونا ، أى ما يقرب من ثمانين فى المائة من مجموع سكان الريف بأجمعه •

وفى سنة ١٩٥٢ ستتم العملية فى جميع أنحاء الصين ، ما عــدا « تبوان » ، وبعض الجهات التى تسكنها الاقليات الوطنية ، الذين تركوا ليتخذوا قراراتهم بأنفسهم فى مثل هذه الأمور •

ولقد أثبتت الآمال التى تحققت فى المناطق التى حررت قديما ، أن الأسس التى بنيت عليها هذه الآمال ، كانت سليمــة • اذ بعد مضى ثلاث سنوات من اصلاح الارض فى الشــمال الشرقى من الصــين ، ازداد مايباع من القماش ، الى ما يقرب من أحد عشر ضــعفا • ولقد أصبح حديث الناس ، رجل فلاح له أربعة أولاد ، وكان هــذا الرجل من متوسطى الحال فى شرق الصين ، وقد أمكنه أن يشترى « دراجة » و « ترموس » ، وست بطاريات كهربيــة فى نهــاية موسم الحصاد • وحينما سأله أحد الجيران ماذا سيفعل أربعة أفراد بست بطاريات ، أجاب أن أخت زوجتى ستلد توأمين •

ولكن ماذا كانت الفائدة المباشرة للفــلاحين ؟ ففى الســنة المــاضية فقط ، بلغ قيمة ما صودر من الأراضى خمســة وعشرون مليــونا من الأفدنة • وأصبحت فى حوزة صــغار الفــلاحين ، بموجب توزيعها عليهم ، مع عقود تمليكها ، وانتفع بذلك ما يقرب من ثمانين مليونا •

هذا بالاضافة الى ثمانية أرادب من الحبوب يغلها الفدان الواحد وأصبحت هذه زيادة فى دخل الفلاح السنوى ، منذ الغاء عهد الايجار • وهو ما يساوى فى مجموعه عشرة ملايين من الاطنان •

ومنذ أن أعلن قانون الاصلاح الزراعى ، أقبل الفلاحون على العمل بجد و نشاط ، وزاد انتاجهم • وبما أن الحكومة قد أصبحت تسـاهم فى النهوض بالزراعة ، لذا تجد حالهم فى تحسن مضطرد ، لأنه أصبح فى امكانهم استخدام أدوات حديثة ، ومخصبات زراعيـة جيـدة ، واتبعوا أنظمة أفضل • وهذا مما لاشك فيه سـيزيد من قوة الجبهـة الريفية ، وسيزيد من قوة الاقبال على الشراء ، وهـذا بكل تأكيد أول حجر ، فى بناء النهضة الصناعية ، اذ سيتوفر المـال اللازم لذلك •

١٤ — تنفيذ مشروع الخمس سنوات

لقد بدىء فى تنفيذ مشروع الخمس سنوات ، فى سنة ١٩٥٣ ، على مراحل سنوية ، وقد أقر مؤتمر الامة الوطنى ،اللائحة العامة للمشروع، فى يولية سنة ١٩٥٥ ، وكانت تهدف الى وضع الزراعة والصناعة فى نظام اشتراكى ٠

وقد تركز الاهتمام ، نحو انشاء صناعات ثقيلة ، لضمان التقدم فى جميع مرافق الحياة الأخرى ٠ ويمكن أن نتحقق من هذا ، اذا ما عرفنا أوجه الارتباط بين الصناعة ، والنواحى الأخرى ، وأهمها الزراعة ، التى يزاولها السواد الأعظم من الصينيين ٠

وان مجرد النظر الى القليل من الآلات الميكانيكية ، التى يستخدمها كبار الملاك فى مزارعهم ، ومقدار ما تدر عليهم من ربح وفير ، ليجعل عامة الفلاحين ، يتطلعون الى توفير مثلها لهم ، حتى يتوفر عليهم الكثير من الجهد والزمن ، ويسعدون بحياة أفضل ٠

ولقد علق فلاح يبلغ من العمر خمس وثمانون عاما ، حينما رأى جرارة من طراز « ستالين » ، تجر محراثا آليا ، فى مقاطعة « لوتى » ، ان عشرين ثورا لايمكنها أن تحرث فى يوم قدر ما تحرثه هذه الآلة الميكانيكية ، فى جرة واحدة ٠

ولكن صنع الجرارات ، والآلات الميكانيكية ، هما من انتاج الصناعة الثقيلة ، وتحتاج الى كثير من الصلب ، الذى يقل انتاجه فى الصين كثيرا عن روسيا ، اذ أن متوسط ما يخص الفرد منه ثمانية أرطال فى

مجموع السكان . وحينما يتم لنا صنع الآلات اللازمة على نطاق واسع، يصبح في قدرتنا ، تعميم استخدامها في مزارعنا الواسعة .

ومن الأسباب التي عاقت تقدم الزراعة في بلادنا ، في الماضي ، انتشار الطاعون ، وكثرة الحروب ، واقفار البلاد من السكان ، فضلا عن حاجة الأرض الى آلات ميكانيكية لاصلاحها .

وكثيرا ما كانت نفس الاسباب السابقة سببا في انهيار المدينة البابليونية القديمة في العراق ، وفي « انكس » في « بيرو » و «مایاس» و « ارتكس » في المكسيك ، ومدينة « لاهور » في مقاطعة سنكيانج الجنوبية .

ولكن لما أخذنا في صنع الآلات الثقيلة ، واتباع أحدث الوسائل الهندسية ، وعمت الاشتراكية أنحاء البلاد ، تمكنا من زراعة كثير من الأراضي البور . وقد فطنا الى هذه الحقيقة ، لما شاهدناه في الاتحاد السوفيتي ، من نجاح استخدام الآلات الثقيلة ، في الانتفاع بزراعة الاراضي المهملة ، واستصلاحها للزراعة ، أمكننا أن نضيف الى أرضنا الزراعية مساحات شاسعة .

وليس ما تحتاجه الزراعة هو الآلات الثقيلة فقط ، بل تحتاج أيضا الى المخصبات الكيماوية ، والغازولين ، وزيت الوقود ، ومعدات الري، اذ لا يمكن أن تنهض الزراعة بدون هذه الأشياء ، كما لا يمكن توفر المواد الخام اللازمة للصناعات الخفيفة ، التي تعتمد بدورها على الصناعات الثقيلة كصنع الآلات ، والمعادن ، والكيماويات .

ولا يتسنى لنا أن نوفر الغذاء والكساء للشعب الا اذا توفرت لدينا الآلات الضخمة اللازمة لذلك .

وليس هذا معناه أن مشروع « السنوات الخمس » قد أهمل شأن الصناعات الخفيفة ، بل أنه يحقق زيادة سنوية مقدارها ١٢٤ فى المائة من مجموع البضائع المستهلكة فى المدن ما بين سنة ١٩٥٣ الى سنة ١٩٥٧ ، ولكى نتمكن من تنفيذ هذا ، يجب أن يتوفر لدينا زيادة سنوية ، فى مقدار الانتاج ، خصوصا فى الحاجيات الرئيسية . ولكى ندعم استمرار الانتاج ونتمكن من مواجهة زيادة الاستهلاك خصص برنامجنا جزءا كبيرا من مجهوده لاستغلال صناعة الآلات الثقيلة ، وتوفير الوقود ، واستغلال مصادر القوى ، والنهوض بالأعمال الهندسية ، وكل ما يتعلق بها .

وقد خصص لذلك فى الفترة الأولى من مشروع « السنوات الخمس» حوالى ٨٦ر٦ فى المائة للاستغلال النباتى ، تضاف أرباحها الى مصانع اللوازم الضرورية ، وحوالى ١١ر٢ فى المائة فقط للمصانع التى تنتج بضائع للاستهلاك المحلى .

وقد بلغ مجموع المنصرف الكلى فى أول سنة من مشروع «السنوات الخمس » ٧٦ر٦٤٠ وهو ما يساوى ٧٧٢ مليون أوقية من الذهب ، على إعتبار ٣٥ ين للاوقية ، وهو ما يساوى ٨٢٧ر٢٠ مليون ، أى ٩ر٦٤٠ مليون جنيه استرلينى ، وحوالى ٥٦ فى المائة من المجموع الكلى ، وهو ما استغل فى رءوس أموال الأعمال الانشائية ، ومنها ٥٨ فى المائة أعمالا صناعية .

وقد اتبع فى النهوض بالصناعة ثلاثة أهداف ، تحقق أغراضا ثلاث، وهى وحدة القياس ، والتخصص ، والاتجاه نحو الكمال ، بحيث أصبحت الدعائم التى تركزت عليها الجهود الصناعية ، وخاصة الصناعات الثقيلة .

وبما أن الصين لا تزال تعانى متاعبا من جراء النقص فى وحدة القياس الصناعى والتجارى ، لذا بدأت المصانع الحديثة ، فى صنع نماذج أولية ، ومقاييس لما تنوى صنعه من آلات ، كى ينتخب منها ما هو أنسب • وكذا أسس فى « بيكين » فى العام الماضى ، فى أواخر مايو ، ادارة حكومية لهذا الغرض • ويتبع هذه الادارة مراكز أخرى تبلغ حوالى ٢٣٠ فى مدن متفرقة •

وتحتاج الصناعات الثقيلة فضلا عن ذلك الى كثير من النماذج التى يقوم بصنعها أخصائيون • فمثلا قد يتطلب الأمر توفر مئات الآلات التى قد نحتاجها لصنع الأجزاء الخاصة ، التى تتكون منها مركبة أو جرار • فمثل هذه المشكلات يجب أن تعالج بعناية حتى يمكن توفير العدد اللازمة ، لصنع الجرارات فى الصين ، فى أول سنة من مشروع « السنوات الخمس » • ولكن قد لا يتسنى لنا اتمام صنع ١٥٠٠٠ جرار قوتها ٥٤ حصان ، الا فى السنة الثانية من بدء المشروع ، وسنتمكن من صنع هذا العدد سنويا بعد ذلك •

وان استثمار الصناعات الثقيلة ، ليتوقف الى حد كبير على الصناعات الخفيفة ، حيث توظف أرباحها فى النهوض بها •

فلقد بلغ المجموع الكلى للانتاج من الصناعات الخفيفة ، ثلاثة أضعاف ما كان عليه ، وأربعة أضعاف فى نواحى الأنتاج الاخرى ، كالقماش ، والورق ، خلال الثلاث سنوات الأولى من بدء تقدمنا الاقتصادى من سنة ١٩٥٠ الى سنة ١٩٥٢ ، وهما السنتان الاولتان من مشروع « السنوات الخمس » ، وعلى ذلك انخفض مستوى المعيشة تبعا لكثرة الانتاج •

وقد تمكنت جميع مصانع الصناعات الخفيفة من تحقيق أهدافها ، ومع ذلك فاننا نعانى نقصا فى كفاية الانتاج فى الصناعات الخفيفة ، اذ لاتكاد تفى بحاجة الاسواق المتهافتة عليها ٠

والسبب فى ذلك ، هو أن امكانيات صناعاتنا الخفيفة ، تبلغ حدا كبيرا ٠ وهنا قد نسائل أنفسنا ، كيف يمكننا أن نحرز تقدما سريعا فى وفرة الانتاج ، وكيف نكفل اشرافا فنيا صناعيا دقيقا سريعا ٠ والأهم من ذلك كيف يمكن أن تتوفر لدينا المواد الأولية اللازمة للصناعة ، التى غالبا ما تعتمد على الزراعة ٠

وذلك لانه فى سنة ١٩٥٤ ، حدث عجز فى توفير المواد الأولية فلم نتمكن من انتاج ٨٠ أو ٩٠ فى المائة مما نحتاجه من أقمشة ، وحوالى ٦٠ فى المائة مما يلزمنا من مصنوعات جلدية ، وما يقرب من ٥٠ فى المائة من زيت الطعام والدقيق ٠ أما انتاج الطباق ومشتملاته ، وصناعة الكبريت فكانت تبلغ ٣٣ فى المائة ٠

ولكى نتغلب على الصعوبات السابقة ، فكرنا فى استخدام ما يجمع من النفايات اللازمة للصناعة ، مثل الخرق البالية ، والقطن المستعمل ، والمطاط المستهلك ، والأوراق التالفة الى غير ما هنالك مما يمكن الانتفاع به فى الصناعة ٠ وقد عنينا كذلك بالتغلب على ماقد يصيب المواد الأولية من تلف أثناء نقلها أو تخزينها ٠ وقد أسست مصانع جديدة لصنع السكر من البنجر وقصب السكر وصنع الخشب من نفاية القصب بدلا من صنعه من الأشجار ٠ وكذا صنع أقمشة قطنية وصوفية وكتانية وحريرية صناعية ٠ كما تقوم بعض المصانع بنسج أقمشة من خليط من الحرير والكتان الصوف والكتان ٠ كما يجرى الآن صنع أقمشة من خليط الحرير والكتان ٠

واذا كان هناك بعض العوامل التى تحول دون تمام الاستغلال الصناعى ، على الوجه الاكمل ، فأن هذا بلا شك ينطبق على الزراعة ٠ فأن آلاتنا الميكانيكية التى تعمل فى المزارع ، وتمدنا بها الحكومة لاتزال قليلة ، ولا زلنا فى دور التمرن على استخدامها ٠

وقد لا نتمكن من صنع عدد كبير من الجرارات ، الا بعد نهاية سنة ١٩٥٧ ولا يزال علينا أن نتقدم فى استخراج الزيت اللازم للوقود كى يكفى حاجة المصانع ٠ كما لاتزال هناك بعض المشروعات الكبرى فى مرحلة الاعداد ، مثل مشروع النهر الاصفر ، والانتفاع به فى رى مساحات شاسعة من الاراضى ، وذلك لان هذا العمل يحتاج الى عدد كبير من المهندسين المدربين ٠

وعلى ذلك فاننا نعتمد فى تقدمنا الزراعى فى الوقت الحاضر على الجهد الانسانى ، وحسن استغلال الاراضى ، على قدر ما تسمح به امكانياتنا الميكانيكية ، كالاستعاضة عن المحاريث التى تجرها الثيران ، والسواقى التى نعتمد عليها فى الرى ، بما يعادلها من آلات ، مع تنظيم طريقة الاستغلال الزراعى ٠ ويعتبر استغلال الحكومة للمزارع أقل من استغلال الجمعيات التعاونية الزراعية

وقد رصدت الحكومة للزراعة فى الخمس سنوات من سنة ١٩٥٣ الى سنة ١٩٥٧ مبلغا قدره ٨٤٠٠ ين ، وهذا يشمل زراعة الغابات ، والرى ، واصلاح الاراضى بواسطة الجنود ، واعطاء سلف زراعية لمدد طويلة لاتحادات المنتجين الزراعيين ٠ وهذا القدر يبلغ ١١ فى المائة من مجموع المنصرف الكلى للمشروع الاول للخمس سنوات ٠

والى هذا المبلغ يحسن أن نضيف الاستغلال الزراعى الذى تقوم به الجمعيات التعاونية ، وأفراد الزراع ، ومن آخر تقدير يتضح لنا أن حصيلة الانتاج تبلغ عشرة آلاف مليون ين فى ظرف خمس سنوات

المشروع • وقد بلغ المجموع الكلى للدخل الحكومى ، والجمعيات التعاونية الزراعية ١٨ر٤٠٠ مليون أو أكثر ، بمعدل ٦٠ ين يغلها الفدان الواحد وفى مثل تلك الحالة لايعتبر هذا المبلغ ضئيلا بالنسبة لحالتنا الراهنة •

ومن المتوقع أن تبلغ قيمة الدخل من الزراعة ، وما يتعلق بهـا فى سنة ١٩٥٧ حوالى ٢٣٢ فى المـائة زيادة عن الدخل فى سنة ١٩٥٢ ، وذلك معناه زيادة مضطردة سـنوية تبلغ ٣ر٤ فى المـائة ، وسوف نحصل على أكبر انتاج من الطباق والسكر ، كما سيزداد انتاجنـا بحوالى ٢٥ فى المـائة فى القطن ، ٢٠ فى المـائة فى الكتان والقنب ، وما يزيد عن ١٧ فى المـائة بقليل فى الحبوب ، وبما أن زراعة الحبوب آخذة فى الازدياد من سنة الى أخرى ، فسيزداد تبعـا لذلك مقـدار ما يستهلك منها • وقد بلغ متوسط الاستهلاك المحلى منها فى القرى ٦١٦ ليبرا •

وسوف يتم خلال الخمس سنوات للمشروع ، اعداد ٦ر٤٤٦ر٦٠٠ فدان واستصلاحها للزراعة • وذلك بواسـطة الافراد والجمعيـات التعاونية والمزارع الحكومية • وسيبلغ تعداد المزارع الحكومية فى سنة ١٩٥٧ ، ٣٠٣٨ مزرعة ، وسوف يعمم استخدام الآلات الميكانيكية فى ١٤١ منها ، حيث ستتوفر فيها الجرارات الميكانيكية ، التى قـد تبلغ ١٤٦ر٥ جرارا ستستخدم فى زراعة ١ر٢٣٦ر٣٠٠ فدانا ، وهى تعادل مساحة ما كانت عليه سنة ١٩٥٢ بمقدار سبع وثلاثون مرة• يضاف الى ذلك انشاء ١٩٤ محطة للجرارات منها ٢ر٨٩٧ ستساعد الجمعيـات التعاونية فى استصلاح الاراضى والمسـاهمة فى زراعة ١ر٨٥٢ر٣٠ فدان •

ويحقق مشروع الخمس سـنوات ، سلسـلة طويلة من الاعمـال الانشائية • ومع أن الأسس الجوهرية فى هذا المشروع ، هى النهوض بالصناعة والزراعة • فاننا نرى لزاما علينـا أن ننهض فى كثير من

نواحى الحياة الاخرى ، مثل التجارة والمواصلات ، لما لهما من صلة وثيقة بالتقدم الصناعى والزراعى · ولذا فقد نصصنا فى صلب مواد المشروع على زيادة امتداد خطوط السكك الحديدية الى ما يوازى ضعف ما هى عليه ، فيزداد عدد من يقبلون على استخدامها ، تبعا لذلك الى ما يقرب من ٩٥٫٥ فى المائة ، كما سندخل تحسينات عظيمة على طرق الملاحة النهرية ، اذ ستزاد الى حوالى ٤٢ مرة · هذا فضلا عن ضرورة التوسع فى انشاء طرق الملاحةالبحرية الى حوالى ثلاثة أضعاف· كما سندخل كثيرا من التحسينات على طرق الملاحة الجوية · مع العناية بتنظيم طرق توزيع المراسلات ، بحيث ترتفع الى ٤٥٫٣ فى المائة ·

ولكى نضمن تعميم النظام الاشتراكى فى النواحى الاقتصادية ، لابد من تحديد الاسعار وايجاد عدد من الاسواق · ولذا فقد بدأنا فى تحديد الاسعار فى سنة ١٩٥٠ بعد قيام الجمهورية بقليل ، فقد قمنا بتحديد ميزانية الدولة ، ونتيجة لذلك تحددت القيمة الحقيقية للنقود ، وأصبحت الاسعار ثابتة ·

كما أصبح ما لدينا منضروريات الحياة للشعب والمواد الخام مما هو مكدس فى مخازن الحكومة كالحبوب والبضائع المصنوعة ، يفى بحاجة السكان ويسد مطالب السوق·وفى هذا ضمانا لعدم حدوث مضاربات وبقاء الاسعار عند حد ثابت يجعلها فى متناول الجميع · ولقد زاد الدخل ، خلال السنوات القليلة للمشروع فى تجارة القطاعى بنسبة ٨٠ فى المائة فى السجاير ، وحوالى ٨٩٫٢ فى الورق المصنوع آليا ، وخيوط الغزل ، والى ما يقرب من ١٠٥٫٣ فى المائة فى السكر ، والى ١٢٢٫٩ فى المائة فى الكيروسين · هذا فضلا عن ازدياد دخلنا من شحن البضائع بنسبة ٦٦٫٥ فى المائة ، ولم يحدث مطلقا أن أحرزت الصين مثل هذا التقدم فى تاريخها الطويل ·

ويتجه برنامجنا الاشتراكى نحو تعميم التدرب على هـذا النظام ، ولذا ننحو فى سياستنا التعليمية فى التصنيع نحو هذا المنحى • اذ سيتخرج من الجامعات والكليات حوالى ٢٠٣٠٠٠ من الشبان والشابات ، منهم ما يقرب من ١٣٠٠٠ من المتخصصين فى الهندسة ، والفنون والصناعات • وسوف لاتحل سنة ١٩٥٧ الا ويكون قد التحق بالجامعات والكليات ١٧٧٠٠٠ طالبا يتلقون دراسات هندسية وفنية

وسيزاد عدد المدارس الخاصة ، التى أنشئت من قبل لاعداد وتدريب العمال ، بتنظيم دراسات مسائية ، أو بالمراسلة • كما قد خصصنا ما يقرب من ٥٤٫٥ فى المائة من مجموع المنصرف فى السنة الأولى من مشروع الخمس سنوات ، لانشاء مدارس متوسطة ، وابتدائية ، ومعاهد للمعلمين • كما صرفنا ١٤٫٩ فى المائة من ميزانية سنة ١٩٥٣ فى أغراض التعليم والتثقيف وحده •

ولكن ما الذى سنكون قد جنيناه فى نهاية مدة مشروع الخمس سنوات : فأولا فى سنة ١٩٥٧ ستصبح الصين أمة نصف صناعية •

فقد أنتج لنا ما أدخلناه من وسائل حديثة على الصناعة ، ما قيمته ٢٦٫٧ فى المائة من مجموع الدخل الكلى فى الصناعة والزراعة • وسترتفع هذه النسبة الى ٣٣ فى المائة فى سنة ١٩٥٧ • وسترتفع تبعا لذلك نسبة الدخل السنوى من تقدمنا الصناعى فى مشروع الخمس سنوات الى ١٤٧ فى المائة ، وهذا يزيد بكثير عن ٦ فى المائة من أقصى حد وصلت اليه المانيا ، حينما أخذت فى تصنيع بلادها ، فى نهاية القرن التاسع عشر • أو أقصى فورة مالية وصلت اليها الولايات المتحدة ، بعد الحرب العالمية الأولى •

وثانيا أننا فى نهاية سنة ١٩٥٧ سيكون لدى الصين رصيد لايستهان به من البضائع الاساسية ، مما سيكون له أعظم الاثر فى تقدم الصناعة • وستكون النسبة فى انتاجنا للبضائع الدائمة ، قد

وصلت الى نسبة تعادل ٥٤٫٤ فى المائة من المجموع الكلى للانتاج الصناعى ، الذى كان ٣٩٫٩ فى المائة فقط فى سنة ١٩٥٢ ٠

وأخيرا فان أهم مافى الموضوع أن الصين ستكون قد قطعت شوطا بعيدا فى تعميم النظام الاشتراكى ٠ وفى سنة ١٩٥٣ سيكون أثر هذا النظام فى الصناعة ، والفروع التابعة للادارة الرئيسية ، أساسا لتقدمه ، حتى يبلغ ٦١ فى المائة من كل البضائع المصنوعة ٠وسيرتفع هذا القدر الى ٨٧٫٨ فى المائة فى سنة ١٩٥٧ ٠

أما فى القرى فسيتحول حوالى ثلث العائلات فى الريف الى منتجين زراعيين تعاونيين ، وفى خلال الخمس سنوات للمشروع سيرتفع بسببها تجارة القطاعى ، بينما تنكمش تجارة الافراد العاديين الى ٢١٫١ فى المائة ٠

وخلاصة القول ، ان ما يرمى اليه مشروع السنوات الخمس ، هو تعميم الاشتراكية فى الصناعة ، فى الصين ، وبذا تخطو الامة خطوات واسعة نحو التقدم ٠

١٥ — جزيرة تيوان — أكبر جزر الصين

اذا ما وقفت على شاطىء مقاطعة فوكيان ، فى يوم صفا سماؤه ، واتجهت بنظرك الى البحر ، لبدا لك فى الافق البعيد ، صفا قاتما من سلاسل جبلية ، تمتد الى مسافة مائتى وست وثلاثون ميلا من الشمال الى الجنوب ، وبها ما يقرب من ٦٢ فتحة ترتفع الى ما يقرب من ٩٫٠٠٠ قدم أو تزيد ، وقد يصل ارتفاع بعضها الى حوالى ١٢٫٩٥٠ قدما فوق سطح البحر •

هكذا يبدو لك الافق فى « تيوان » أكبر جزر الصين التى ظلت مسرحا لمؤامرات الاستعمار الاجنبى البغيض ودسائسه الوضيعة ردحا من الزمن ،ظل فيه الصينيون ، فى نضال مستمر معه من أجل تحريرها •

ولا عجب أن تكون هذه الجزيرة مطمحا للغزاة ، وهدفا لبسط سيطرتهم عليها ، اذ أن السهل الغربى بها ، الواقع فى سفح الجبال ، يدر محاصيل وفيرة من الارز ، وقصب السكر ، والاناناس ، والموز ، كما تجود زراعة الشاى فى الشمال الغربى منها • وتغطى الغابات أكثر من ثلاثة أخماس الجزيرة بأجمعها ، وهى بهذا تمد العالم بحوالى ٧٠ فى المائة مما يستهلكه من خشب الكافور وزيته •

وكم يبدو منظر الجزيرة رائعا ، وقد كسته الطبيعة حلة خضراء تضفى عليها رونقا وبهاء ، وتخلب اللب بمنظرها الخلاب فيهرع اليها الكثيرون انتجاعا للراحة ، والتجوال بين أرجاء هذه الغابة الفيحاء ،

حتى أن عددا من ملاحى البرتغال الذين زاروا الجزيرة سنة ١٩٥٠ لاول مرة ، قد خلعوا عليها اسم « الجزيرة الجميلة » ٠

وليس هذا كل مافى الجزيرة فحسب ، بل انها لتزهو بوفرة ثروتها المعدنية ، اذ بلغ ما استغل من مناجم الفحم فى الشمال الغربى من الوادى ، ما يقرب من أربعمائة مليون طن ، ومثلها من حقول الزيت فى الجنوب ، وما يعادلها من معدن الكبريت ، والذهب من مناجمها التى تقع فى أقصى الشمال ، ومعدن الاسبتوس من مناجم تمتد على طول الشاطىء الشرقى ، هذا فضلا عن توفر معدن « البوكسيت » وهو من المواد الأساسية ، فى صناعة الألمونيوم ٠

وتغطى الجزيرة شبكة من المواصلات الحديدية ، تربط بين جميع أجزائها ، عدا جهات قليلة ، حالت طبيعة الارض فيها دون ذلك ٠ كما يمتد بها عدد من الطرق البرية موزعة فى جميع أنحائها، رغم مايتخلل بعضها من هوات سحيقة ٠ كما أن لهذه الجزيرة ميناءين تجاريين هامتين ، اذ يتصلا « بأموى » فى مقاطعة « فوكيان » ويصلحان لرسو البواخر الضخمة ، التى تمخر عباب المحيطات ، فوق ما يتمتعان به من موقع استراتيجى ممتاز على خليج « تيوان » ٠

وان تاريخ الصين القديم ليفيض بعدد من الأسماء ، التى كانت تطلق على هذه الجزيرة ، حتى كان النصف الأخير من القرن السابع عشر ، فسميت جزيرة تيوان ، ويبلغ عدد سكان هذه الجزيرة حوالى ثمانية ملايين نسمة منهم ٩٧ ٠/٠ من أصل صينى ، ممن هاجر أجدادهم من مقاطعات «فوكيان» و « كوانجتى » وأقاموا بها من أوائل القرن التاسع عشر فصاعدا ٠ أما الثلاثة فى المائة الباقية من السكان، وهم حوالى ٢٤٠ر٠٠٠ نسمة ، فيعتبرون أقليات وطنية من «الكوشان» و « الماليون » ممن اجتازوا الحدود الجنوبية الشرقية آتين من جزر

« كوانتج » و « هينان » وسومطرة ، وبريفو ، والفلبين ، فى القرن السادس عشر ٠

وقد اكتشف علماء الآثار فؤوسا حجرية ، وأوعية فخارية ، وغيرها من أدوات يرجع تاريخها الى العصر الحجرى الحدمث ، تثبت ارتباط ثقافة « جزيرة تيوان » بمدنية الصين القديمة ، ويرجع أصلي سكانها الى قبائل « اكيناوا » ، التى كانت تقطن « جزائر شيو » ، وتعد جزيرة اكيناوا أكبر جزرها ٠ ومع أن معظم هؤلاء قد انقرضوا ، ولكن ما من شك في وجودهم فى الماضى ، اذ شاهدهم بعض الضباط الهولنديون ، ممن أتوا الى جزيرة « تيوان » منذ ثلثمائة سنة ، ومما يؤيد ذلك ، أنه ليس للكوشيين لغة خطية خاصة بهم ٠

وتعنى كلمة « كوشان » التى تطلق على الاقلية « الجبل العالى » ، ولهم فى تاريخ الصين مواقف مشرفة تشهد بوطنيتهم وشجاعتهم ، اذ طالما حاربوا جنبا الى جنب مع الصين ، ضد الغزاة من الاجانب والمستبدين من سادة البلاد ، فكان لذلك أثره البالغ فى القضاء على الاعداء فى الداخل والخارج ٠

ومع أن الكوشان أقلية ضئيلة بالنسبة لباقى السكان ، فانهم يقطنون حوالى خمسمائة قرية موزعة فى مناطق جبلية ، تبلغ أكبر من نصف مساحة « تيوان » ، فعلى امتداد الساحل الشرقى تنتشر قبائل « امى » و « بيوانج » ٠ كما تقطن الساحل الشمالى قبائل « تو يور »٠ وفى أقصى الداخل تعيش قبائل تسيو ، بانج ، سيشت ٠ أما قبيلة « يامى » فمنها معظم سكان جزيرة « هونجو تيو » الصغيرة ، والتى تتوغل فى البحر الى مسافة خمسين ميلا فى اتجاه الجنوب الشرقى ٠

ويتبع هؤلاء السكان طرقا بدائية فى زراعة « التارو » وهو نبات يشبه البطاطس أو القلقاس ، والاذرة ، ولا يزال الصيد حرفتهم الاساسية ، التى يعتمدون عليها فى حياتهم الى حد كبير ، ولا تمتلك من هذه القبائل أرضا سوى قبيلتي « أمى » و « بيوانج » .

ومنذ أن احتلت قوات شيانج كاى تشيك جزيرة « تيوان » بمؤازرة حلفائه الامريكان ، أصبح « الكوشان » سكان الجزيرة يرزحون تحت نير الاحتلال ، ولكننا نتطلع ونعمل جاهدين لتحرير هذه الجزيرة بأكملها ، وعندها سنمنحها حكما ذاتيا على أساس من الاخاء والمساواة، مما سيخطو بها نحو التقدم خطوات واسعة .

ولقد أقيم حديثا فى « بيكين » معرض رائع أبرز النواحى الفنية ، والثقافية لقبائل « الكوشان » ، زاره عدد كبير من الصينيين ، لما أثارته أنباؤه وروعة مافيه ، حتى أنه ليعتبر الاول من نوعه فى تاريخ بلادهم ، و « جزيرة تيوان » .

ولقد اثبتت السجلات التى عرضت ، وجود علاقة بين الصين ، وجزيرة تيوان ، يرجع تاريخها الى القرن الثالث ، حيث قام عدد من الصينيين برحلات الى هذه الجزيرة ، كما قام كثير من أهالى جزيرة « لنكينان » و « كوشان » برحلات مماثلة الى داخل بلاد الصين ، كما تؤيد ازدهار تجارة اللؤلؤ وبعض السلع الأخرى ، بين جزيرة تيوان وبينجولا المسماة الآن « بسكادور » .

هذا ويرجع الفضل فى انتشار فكرة الهجرة للاقامة والاستيطان فى جزيرة تيوان ، الى رجل صينى يدعى « شيه شيان فو » ، حيث بدأت أسراب كثيرة تتوافد على الجزيرة ، فيما بين القرن الثانى عشر ، والرابع عشر ، فرارا من وجه الغزاة المغوليين والتتار ، لينعموا بالحرية

ثم أخذ فى انشاء ادارة صينية منظمة فى مقاطعة [illegible] ، [illegible]ن » تتبع الحكومة الرئيسية فى « بسكادور » ، فى القرن الرابع عشر ، وفى نهاية القرن السادس عشر أقيمت معسكرات ثابتة فى تيوان ، لصد الغزو الياباني الذى قاده « هيديوشى تيو تومى » أحد قواد اليابان الذى اجتاحت جحافل جنوده كوريا ، وأخذت تتوغل نحو الجنوب •

وفى مستهل القرن السابع عشر ، بدأت قوات بحرية من الدول الغربية ، فى احتلال أراضى فى غرب الباسفيك ، محاولة اغتصابها لنفسها ، فقد هاجمت قوة بحرية أسبانية بقيادة دون أنطونيو كاريفو « فالد » فى الشمال الشرقى من تيوان ، آتية من الفلبين سنة ١٦٢٦، وظلت تحكم هناك حوالى ستة عشر عاما ، أنشأت خلالها موانى « كاتسيدور » ، وهى المعروفة الآن باسم « هيوى » وسانت دومنيجو وتعرف الآن باسم « تاسوى » وسان سلفادور ، وهى ما يطلق عليها الآن اسم « كيلونج » • ثم مدت طرقا تربط فيما بين تامسوى ، وكيلونج ، وتيبيل • ورغم أن هذه الاعمال تمت فى عهد الاحتلال الاسبانى ، فان معظم من قاموا بها كانوا من الصينيين ، لقلة عدد الاسبان فى الجزيرة •

وما أن أهل عام ١٦٢٤ حتى قام الهولنديون ، الذين كانوا فى ذلك الوقت يحتلون انونوسيا ، بغزو جزيرة تيوان ، وطردوا الاسبان منها ، وقد تم لهم ذلك ، واستوطنوا فيها قرابة ثمانية وثلاثون عاما ، أنشئت خلالها موانى زيلنديا ، وهى الآن « ايبنج » وبرفودنشيا ، وهى الآن « تنيان » ، وقد كانت لهم حامية عسكرية يبلغ تعدادها ٢٫٢٠٠ جندى بينما بلغ عدد الموظفين المدنيين والتجار ، وعدد من زنوج افريقيا قرابة ٦٠٠ نسمة •

أما الصينيون فقد كان تعدادهم مائة ألف شخص يقيمون بصفة دائمة فى تيوان ، وقد أثار ثائرتها ما ارتكبته شركة الهند الشرقية

الهولندية ، وما نشرته فى البلاد من مفاسد ، وما اقترفته من سلب ونهب ، فقاموا بثورة عاتية سنة ١٦٥٢ بقيادة كيو هيو بى . وقد قام هؤلاء الثائرون بمهاجمة « بروفدنشيا » وعلى رأسهم زعيمهم السابق ، الذى أطلق عليه الهولنديون اسم « بوديت » ، فلقى حوالى أربعة آلاف منهم حتفهم ، بما فيهم زعيمهم ، فكان ذلك حافزا للهولنديين على قتل ألف آخرين من الصينيين .

ولكن هل فت ذلك فى عضد المواطنين ، وهل أرهبتهم هذه المذابح البشرية ، هل تغلبت قوة الحديد والنار على قوة الشعب المؤمن بحقه ايمانا راسخا ينبعث من القلب ؟ ستتولى الحوادث التالية الرد على ذلك .

فلم تمض عشر سنوات ، حتى قيض الله « لتيوان » رجلا آخر هو « شنج شنج كنج » ، والمعروف باسم « بوكسنجا » ، ووالده كان من أبطال مقاومة المانشو فى الصين ، ثم نزح بعائلته الى تيوان واستوطن بها . فقام ابنه بمهاجمة الهولنديين ، وأذاقهم مرارة الهزيمة ، وأوقع بهم خسائر فادحة ، وأقض مضاجعهم ، حتى اضطروا الى التسليم والجلاء عن تيوان الى غير رجعة ، والويل للمعتدين اذا قال الشعب كلمته .

ثم أخذ هذا البطل الثائر يشجع الصينيين على الهجرة الى الجزيرة ، بل وقدم للوافدين اليها منحا مالية ، وأشرك كل ثلاثة منهم فى دابة للعمل فى الحقل ، وذلك ليمكنهم من تثبيت أقدامهم ، وييسر لهم سبل العيش فى الجزيرة . ولذا أخذ الناس يتدفقون حتى أواخر القرن السابع عشر ، حتى لم تأت سنة ١٦٨٠ الا وقد بلغ عدد الصينيين فى تيوان مائتى ألف .

وفى عهد ابنه شنج شنج كنج ، الذى خلفه فى الزعامة ، ازدادت الملاحة التجارية ، وبنيت مراكب كثيرة ، أخذت تنقل التجارة بين

تيوان واليابان ، والهند الصينية ، والفلبين · ثم أخذت تيوان تستورد النحاس لاستخدامه فى صنع المدافع ، وسك النقود ، وأخذت تصدر السكر ، والملح ، ومعدن الكبريت ، والذهب · وذلك فضلا عما قام به « يوين هو » ، وهو من أغنياء التجار فى مقاطعة شيكيانج بتوسيع مناجم الكبريت فى الجزء الشمالى من الجزيرة · وقد در ذلك عليه ربحا وفيرا ، كان له الاثر الاكبر فى تحسن الاحوال الاقتصادية فى جزيرة تيوان ·

ولم تأت سنة ١٧٦٣ حتى كان الابن الاكبر لشنج شنج كونج ، قد وفق الى عقد محالفة سلمية مع أسرة « المانشو » التى كانت تتربع على كراسى الحكم فى الصين · وما أن حل عام ١٧٦٤ حتى كان مركز تيوان قد زاد ثباتا ، وقويت حكومتها حتى أصبحت دعامة الحكومة الرئيسية فى الصين التى اعترفت بها ، وعلى أثر ذلك نزح كثيرون من الصينيين الموالين لأسرة « نانج » السابقة ، فخشيت أسرة المانشو سوء العاقبة ، واضطرت الى اصدار قانون ، لاغراض سياسية ، يحرم الهجرة من الصين الى الجزيرة ، حتى لا تحدث أسرة نانج تكتلات ضدها ·

وقد ظل هذا القانون نافذ المفعول حتى سنة ١٨٧٤ ، أى حوالى مائة وتسعون عاما ، ورغم ذلك فقد أخذ الناس يتوافدون على الجزيرة ، زرافات ووحدانا ، أسرابا وجماعات من أهالى « فوكيا » ، وأقاموا فى الجنوب حول « كيوشنج » وأخذوا فى زراعة مساحات شاسعة من الأراضى واحدة تلو أخرى ، وظل تدفقهم على الجزيرة يتوالى ، حتى بلغ تعدادهم مليونان فى منتصف القرن التاسع عشر ·

وفى بداية سنة ١٨٨٥ صارت « تيوان » مقاطعة ، تتمتع بكافة حقوقها كاملة ، وأصبح « منج شوان » أول حاكم لها ، وكان هذا حافزا لفوج آخر من المهاجرين ، فاضطرت حكومة الصين الى رفع الحظر

عن الهجرة ، للاقامة الدائمة ، بل وأخذت تشجعه رسميا ومنحته تسهيلات ، مما أدى الى زيادة عدد السكان فى « تيوان » زيادة مضطردة ، ثم أخذت الحكومة تعمل على تحسين الموانى ، ونظمت جمع الضرائب ، وأفتتح أول خط حديدى بين « كيلونج » و « تيبين » فى سنة ١٨٩١ ٠

ثم أخذت المطامع الاستعمارية تلعب دورها فى الاستيلاء على تيوان مرة أخرى ، ولم تقو حكومة المانشو الضعيفة الفاسدة الخائنة ، على مقاومة الغزو الاجنبى ، والعمل على حماية البلاد منه ٠ ففيما بين سنة ١٨٥٠ وسنة ١٨٦٠ ، قام عدد كبير من التجار ، والضباط ، والدبلوماسيين الامريكيين بالعمل على ضم تيوان الى أمريكا ، فبدأت برفع علم الولايات المتحدة الامريكية فوق كيو شانج تمهيدا لاحتلال جزء كبير على الساحل ٠

وفى سنة ١٨٧٤ قام اليابانيون ، يعضدهم الامريكيون ، بغزو بحرى قدر له الفشل الذريع ٠٠ وفى النهاية قام الخائن الصينى لى هونج تشينج ، وهو المشرف على العلاقات الخارجية بتسليم تيوان الى اليابان ٠

فحز هذا فى نفوس الصينيين ، وغلت مراجل الحقد فى نفوسهم ، ولم يذعنوا أبدا لهذا التسليم الشنيع ، وليد الغدر والخيانة ، وغلت الدماء فى عروقهم ، وصمموا على سحق الغزو الاجنبى بكل قواهم ، وسرعان ما كونوا لهذا الغزو جيشا خاض معارك كثيرة ضد الاستعمار فى شتاء سنة ١٨٩٥ ، واستمر يناضل ويقاتل قتالا مريرا حتى سنة ١٩٤٥ ٠ وأخذ عدد اليابانيين يتزايد حتى بلغ تعداد المدنيين والعسكريين منهم ثلاثمائة وعشرون ألفا ، ولكن الصينيين قاموا بثورات عاتية ضدهم بلغت أكثر من عشرين ثورة شهدها نصف القرن الاخير ٠

وفى غضون سنة ١٩٣٠ ، تجمع عمال الميناء ، تحت قيادة مدرس فى احدى المدارس الابتدائية ، يدعى « هوا كانج » ، وقاموا بثورة عاصفة احتجاجا على أعمال البوليس الوحشية ، فاحتلوا « داشا » و « تيو شنج » فطاردهم اليابانيون ، حتى فروا للاعتصام بالجبال ، فأخذوا يقذفونهم بالغازات السامة فى غير رحمة ، بطائرات من الجو ، مما أتى على نهايتهم ٠

وأخذ الشعب الحر الأبى يتحين الفرص ، ولم يهدأ له بال ، أو ينتابه ملل ، فأخذ يقوم بشن غارات موفقة ، واستمرت الحرب سجالا بينهم وبين اليابانيين من سنة ١٩٣٤ حتى سنة ١٩٤١ ٠ ثم لجأ الى حرب العصابات ، فى مساء ان أعلن تسليم اليابان فى الحرب العالمية الثانية ، ووجد الشعب الفرصة مواتية ، ورؤوس اليابانيين قد حان قطافها ، فأعلن اليابانيون تسليمهم اثر هزيمتهم المنكرة سنة ١٩٤٥٠ وكللت مقاومة الشعب الصينى لليابانيين بالنجـاح ، وحرمت عليهم بسط نفوذهم على أى شبر من أرض بلادهم ، والفضل فى ذلك يرجع الى اتحاد « تيوان » مع الصينيين الذين لم يدخروا وسعا فى مساعدتهم ٠ وقد بلغ عدد من استشهد منهم خلال نصف قرن من الاحتلال اليابانى حوالى خمسمائة ألف صينى ٠

ولقد حاول الحلفاء اثر الحرب العالمية الثانيـة أن يصلحوا أخطاء المحور ، الذى كانت تنضم اليه الفاشية ، ونال أهالى جزيرة تيوان منها الكثير ٠ وعقد لذلك مؤتمر فى القاهرة فى أول ديسمبر سـنة ١٩٤١ ، اشتركت فيه الولايات المتحـدة الامريكية ، وبريطانيـا ، والصين ٠ وتمخض هذا المؤتمر عن اصدار قرارات توجب اعادة تسليم الأراضى الصينية التى سلبتها اليابان ، فى منشـوريا ، وفرموزا ، وبسكادور ، الى الصين نفسها ٠

وقد أعلن الرئيس روزفلت فى اذاعة له ، أن الأسس التى استند اليها فى قراره ، غاية فى البساطة ، اذ أن جميع المسروقات يجب أن ترد الى أصحابها ، كما أيد قرار القاهرة القرارات التى أصدرها مؤتمر « بوتسدام » الذى اشترك فى توقيعها الاتحاد السوفيتى ، غداة دخوله فى حرب ضد اليابان •

وبعد أن سلمت اليابان كان « الكومنتاج » لا يزال يتمتع بالسلطة، فأسس حكومة فى الصين ، وسرعان ما بدأ رجالها فى سلب واغتصاب الجزيرة ، اذ كان بيدهم الأمر والنهى فى الحكومة الرئيسية •

ولما حاول أهالى « جزيرة تيوان » اظهار احتجاجهم على تلك الاعمال بالطرق السلمية ، قابلهم رجال الحكومة بوابل من الرصاص سنة ١٩٤٧ ، فاذداد الموقف تحرجا بالنسبة للحكومة صاحبة ومالكة أسلحة الدمار والموت ، أمام شعب أعزل يؤمن بحقه فى الحياة ، فلم يملك الا القيام باضراب عام ، شمل المصانع ، والمدارس ، والمؤسسات التجارية فتظاهرت حكومة « شيانج كاى تشيك » بقبولها الدخول فى مفاوضات كسبا للوقت ، بينما أخذت فى انزال فرقتين من الجنود فى «كيلونج» واقترفت أكبر مذبحة فى تاريخ « تيوان » فاكتسبت عداء متأصلا وكراهية مستحكمة •

وحينما تخلصت البلاد من ذلك الكابوس الثقيل « شيانج كاى تشيك » وحكومته تنفست « تيوان » الصعداء ، وتطلعت الى نيل حريتها ، ولكن سرعان ما قامت البحرية الامريكية ، بجمع فلول جيش « تشيك » المنهزم ، على أنقاض حكمه البائد ، وأبحرت بهم الى جزيرة تيوان ، ليكونوا شوكة فى ظهر سكانها •

ويا لصفاقة الامريكان ، الذين بينما كانوا يأتون بهذا العمل المنكر كانوا يعلنون على الملأ ، فى قحة ووقاحة، أن جزيرة تيوان جزء لايتجزأ

من شعب الصين • بل وقد بلغ الحد برئيس الولايات المتحدة الامريكية « ترومان » فى ذلك الوقت أن أعلن فى يناير سنة ١٩٥٠ ، على شعوب العالم ، أن الولايات المتحدة ليس فى نيتها استخدام قواتها المسلحة ، واقحامها فى النزاع القائم فى الصين ، وان حكومته لا تنوى انتتورط فى مثل هذا النزاع ، الذى قد يؤدى الى نشوب حرب أهلية فى الصين. وقد أضاف الى ذلك مؤكدا أن حكومته ، ليست على استعداد لتقديم أية معونات عسكرية ، أو اسداء أى آراء استشارية ، لحكومة شيانج كاى تشيك ، وقد أيده فى ذلك وزيره « دين اتشيسون » ، مدللا على ذلك بمسألة « فرموزا » التى سبق أن ضمتها الصين اليها ، ولمتحرك أمريكا ساكنا ، وكان هذا اعترافا ضمنيا منها بمشروعية ما فعلته الصين ، ولكن سرعان ما أثبتت الوقائع عكس ذلك ، ودللت على كذبهم ونفاقهم •

اذ لماذا قامت الولايات المتحدة الامريكية ، نصيرة الحريات ، بكبت الحريات ؟ لماذا اذن أوفدت أسطولها ليمنع تحرر « تيوان » ؟ لماذا تعمدت أمريكا مؤازرة حكومة شيانج كاى تشيك الاستبدادية ؟ لماذا أمدته بالسلاح الكثير ، والمال الوفير ؟ لماذا أمدته بأسطول جوى استخدمه فى القضاء على عدد من المراكب الصينية بأغراقها ، أو الاستيلاء على بعضها ، حتى لقد بلغ عددها أربعمائة وسبعون سفينة، كما قضى على ما يقرب من ١٣٠٠ صياد ، ما بين قتيل وأسير ، فضلا عما قامت به من غارات جوية على بلاد الصين نفسها •

لماذا كل هذا ؟ لماذا ما أمدته به من مال ، وسلاح ، ليقوم بأعمال القراصنة ، والرجوع بالانسان الى عهد الغاب ، فمن سلب ونهب ، وخطف ، وتقتيل ، وأعن بذلك فى الاستيلاء على المراكب التجارية ، منها حوالى ثلاثة واربعون مركبا بريطانيا ، وأربع وثلاثون أخرى تابعة للنرويج ، وايطاليا ، واليونان ، وبناما ، وألمانيا الغربية ، والاتحاد السوفيتى الاشتراكى ، وبولندا • كما كان من بين من أصابهم الضرر

من غارات شيانج كاى تشيك الباخرة البريطانية « روزينـا » حيث لقى قبطانها حتفه ، ما ذنب كل هؤلاء ؟ ولكن هى القوة الهوجاء ، التى عصفت بها يد القدر ، فأخذت تدور فى مهـاب الريح ، حتى غـدت حطاما •

وسوف لا يتوانى شعب الصين المجيد ، الذى وطـد العزم منـذ البداية ، على مؤازرة اخوان له فى الوطن فى جزيرة تيوان ، جمع بينهم الجهاد ، وألف بين قلوبهم بغض الاستعمار وأذنابه ، فتضافرت قواتهم وعقدوا الخناصر على القضاء عليه ، والتخلص منه الى غير رجعة ، وبذا تكمل للصين سيادتها الوطنية ، وتتمتع بكامل الحرية •

ولن يهدأ لشعب الصين بال ، حتى تصبح المياه التى تحيط بجزيرة تيوان حرة ، مفتوحة لكافة الدول المحبة للسلام ، والراغبة فى تبادل تجارتها مع دول أخرى ، ويقضى على عهد القراصنة ، وصانعوا الحروب فى العالم ، أمثال امريكا وأذنابها ، وان غدا لناظره قريب •

١٦ — النهضة العلمية فى الصين

لقد أيقن شعب الصين أنه لا يمكن أن ينهض ببلاده صناعيا ، الا اذا أحرز تقدما ملموسا فى مضمار العلوم الحديثة ، ولذا أخذ يعمل جاهدا على التعمق فى الابحاث العلمية ، على نطاق واسع ، وأساس منظم . وكانت باكورة أعماله ، إعادة تنظيم المجمع العلمى فى سنة ١٩٢٩ ، كى يفى بالغرض الذى أنشىء من أجله ، ويصبح مصدر اشعاع علمى من الطراز الأول .

وبما أن برنامج مشروعات السنوات الخمس ، يهدف الى تحسن الأحوال الاقتصادية فى الصين ، فقد أعد من أجل ذلك ، برنامج مفصل ، يحقق هذا الغرض ، فى الثلاث سنوات الأولى من بدء المشروع ، تمهيدا لنشر المذهب الاشتراكى فى الصين .

وتحقيقا لهذا ، أفرد العلماء أحد عشر فقرة تحدد أهدافهم ، ليركزوا عليها جهودهم ، وهى :

١ — استخدام الطاقة الذرية فى أغراض السلام .
٢ — بحث المشاكل العلمية الخاصة بايجاد مراكز جديدة للحديد والصلب .
٣ — دراسة الأبحاث العلمية التى تتصل بمشتقات البترول ، ومصادره الطبيعية .
٤ — دراسة حركات القشرة الأرضية ، وعلاقتها بالهزات الارضية .
٥ — العمل على دراسة وسائل الانتفاع بمصادر المياه الكبيرة ، خصوصا نهرى يانج تسى ، والنهر الأصفر .

٦ ـ دراسة البيئة الاستوائية فى الصين .
٧ ـ دراسة المناطق الطبيعية فى الصين .
٨ ـ القيام بأبحاث علمية فى علم الاحياء .
٩ ـ دراسة وسائل استكثار البذور .
١٠ ـ بحث النظريات، والأسس، التى تكفل تعميم النظام الاشتراكى فى جميع أنحاء الصين .
١١ ـ مقارنة الطب القديم فى الصين ، بالطب الحديث .

وهكذا بعد أن تحددت النقاط ، التى سيسير عليهـا العلماء فى أبحاثهم ، أخذوا فى السير قدما لتنفيذها ، فى تمام السنتين الاخيرتين من مشروع السنوات الخمس . ولقد ظهر أثر التقدم العلمى ، تقدما ملحوظا فى الصين منذ أن تحررت . وما من شك فى ذلك . فاننا اذا نظرنا الى تلك الحالة فى الماضى ، لوجدنا أن من كانوا يقومـون بالأبحاث العلمية ، قلة تنقصهم معينات الابحاث ، ولا يتلقون من حكومة العهد البائد الا منحا صغيرة ، على فترات متباعدة ، لا تكاد تفى بمطالب حياتهم .

ولذا كان ما يقومون به من أبحاث لا يتعدى تجارب بسـيطة ، لا تحتاج الى كثير من المعدات ، أو تتطلب معامل منظمة تتوفر فيهـا الأجهزة العلمية . وانحصر ما قاموا به من تجارب فى بضع نظريات فى علوم الرياضيات ، وعلم طبقات الأرض ، وبعض الصناعات ، وقد حاولوا اجـراء بعض أبحاث فى الـذرة ، والالكترونات ، وانقسام النواة الذرية ، وعلم النبات ، وعلم الاحياء ، والطبيعة ، ولكن الى حد لا يمكن معه القول بأنه تقدم علمى . وذلك لانها فى مجموعها لم تكن سوى تجارب فاشلة ، لا يمكن تطبيقها ، أو الانتفاع بها فى الحيـاة العملية . وما كانت الا مجرد نظريات سفسطائية .

أما الآن فقد تغير الحال بالنسبة للحياة العلمية فى الصين ، وأمكن الانتفــاع بكثير من التجارب فى النهوض بالصــناعة ، والزراعة ، وأصبحت العلوم وثيقة الصلة بهما ٠

وبما أن أهم هدف يهدف اليه مشروع الخمس سنوات هو قيــام نهضة صناعية فى الصين، تحقق اكتفائها الذاتى، لذا يعمل المهندسون جاهدين على تنفيذ ستمائة مشروع صناعى ، أتم منهــا الآن مائة وست وخمسون بمعاونة الاتحاد السوفيتى ، وصارت بمثابة العمود الفقرى فى بناء النهضة الصناعية ، وفضلا عن انشاء معاهد أبحــاث علمية مختلفة وسط المراكز الصناعية أو قربها ، وذلك لتطبيق نتائج الابحاث ، والانتفاع بها فى ميادين التصنيع ٠

ولما كان من ألزم الاشياء توفر الصلب فى البلاد ، لقلة الناتج منه. فقد دأب العلماء على حل هذه المشكلة ، حتى وفق العالم الخبــير فى المعادن « شوجن » يعاونه نفر من الباحثين ، حتى تمكن من صنع كتلة من الحديد الاسود الخام ٠ وقد اقتفى أثره فى هذه الأبحاث « شانج شوبى » على رأس جماعة من علماء معهد الأبحاث المعدنية ، يعاونهم بعض المهندسين من مختلف المراكز الصناعية ، حتى كللت مجهوداتهم بالنجاح ، وأمكن صنع حديد صناعى ، يفوق فى قوته الحديد الطبيعى بنفقات قليلة تبلغ ربع ما كان ينفق على استخراجه من المناجم ٠

وامتد نشاط المعهد المذكور الى انشــاء مراكز جــديدة داخــل « منجوليا » لصنع الحديد والصلب فى وادى نهر « يانج تسى » فى منطقتى « باتاوا » و « تابيه » ٠ كما قام بصهر تراب الذهب، ومعادن أخرى ، وهكذا أمكن التغلب على العوامل التى كانت تعوق ايجــاد صلب من نوع خاص ، مما سيكون له أطيب الأثر فى مد كثير من الخطوط الحديدية ، وبناء عدد من القناطر بمعادن تصــنع محليــا من

انتاج البلاد . ومما لا شك فيه أن هذا سيكون عاملا فعالا فى تنفيذ مشروع بناء قنطرة كبرى على نهر « يانج تسى » وتعد أكبر قنطرة فى « دهان » بل فى الشرق الاقصى بأسره ، كما سيمكن كذلك ربط « لابتسو » و « باشوشيخو » بخط حديدى .

وبما أن توفر الوقود أساس قيام الصناعة ، أخذ علماء الصين ، فى دراسة الوسائل التى تكفل انتاج بترول صناعى ، كما أخذ الكيمائيون فى تقطير الطبيعى منه ، للاستفادة بمشتقاته ، كما لاحظوا أن معدن الكوبلت ، الذى يستخدم كوسيط كيمائى فى الصناعة ، يكلف كثيرا من النفقات فضلا عن ندرته ، ولذا عملوا على استخدام الحديد بدلا منه فى الانتاج الصناعى . وانخفضت نفقات الوقود الى العشر ، كما كان له أثر فعال فى زيادة الانتاج الصناعى بوجه عام .

ومن جهة أخرى قام معمل الادوات ، والأجهزة العلمية بانتاج آلات للابصار ، من عدسات ومجاهر مقربة ، ومكبرة ، وفلكية من أحجام مختلفة ، على نطاق واسع .

ويعمل العلماء كذلك على توفر المواد الخام اللازمة للصناعات الثقيلة ، ومن أجل هذا قام علماء طبقات الارض ، والمتخصصون فى الحفائر ، وغيرهم من موظفى وزارة علم طبقات الأرض ، يعاونهم نفر من الباحثين والمنقبين ، خلال الست سنوات الماضية ، بالبحث عن المعادن ، خلال طبقات الأرض ، وكان من نتيجة مجهوداتهم التوصل الى الكشف عن مناجم للحديد ، والتانجستين، والقصدير، والمغنسيوم والكورانيوم ، والفحم ، والبترول .

كما لم يدخر علماء الجغرافية الطبيعية وسعا فى العمل على قياس الهزات الأرضية ، ومعرفة مدى تأثيرها ، لاختيار أنسب المواقع

لبناء المصانع ، حتى لا يصيبها تصدع من أثر الزلازل ، والتأكد من مدى تحمل القشرة الارضية لها ، قبل البدء فى اقامتها • وتحقيقا لهذا الغرض أقيمت محطات لقياس الهزات الارضـية ، كما عكف كثير من العلماء على دراسة آثار الزلازل والهزات الارضية فى الماضى• كما حرصوا على أن يكونوا على علم تام بالتنبوءات الجوية ، فأعدوا لذلك محطات للأرصاد لتتعـاون مع المعـاهد العلميـة التى تقوم بالأبحاث المعدنية •

وباستخدام طريقة « مالتانوفسكى باجوثا » ذات المجال المتوسط فى التنبؤات الجوية ، أمكن التنبؤ بحالة الجو فى الصين ، والشرق الأقصى ، لمدة اثنين وسبعين ساعة • وكان لذلك أثره الـكبير فى تجنب العواصف ، وخطر التيارات البحرية ، وفيضان الأنهـار ، قبل حدوثها بيومين أو ثلاث •

كما عكف كثير من العلماء على دراسـة تنفيـذ ما جاء فى برنامج السنوات الخمس الخاص بالانتفاع بمياه فيضان النهر الاصفر ، ولذا قاموا بفحص مساحة كبيرة فى أعالى ووسط النهر ونهيراته •

وقد تمكنوا فى بداية سنة ١٩٥٤ من تكوين بعثات منظمة لدراسة حالة النهر المذكور ، مستعينين بما جمع فى السنوات السابقة من خرائط ، وتقاويم ، وبما أمدهم به علماء السوفييت من مساعدة فعالة، من القيام بعمل ايجابى لفحص النهر الأصفر فى منطقة (حلق التنين الاعظم) وهى على مسافة تبعد حوالى ٢٢٣٠ ميلا من المصب ، وقـد اشترك فى هذا العمل الجبار أكثر من مائة وخمسون شخصا ، ما بين مهندس وعالم وصانع • وقد نفذ مشروع اقامة سد على النهر عـلى مسافة صغيرة جدا من المصب ، فأمكن بذلك الانتفاع بالقوة المائية فى ست وأربعون مرحلة تعطى قوة قدرها ثلاثة وعشرون مليونا كيلوات

أما المهندسون الزراعيون فقد عملوا على زيادة الانتاج ليتوفر الغذاء للشعب ، وذلك بتوفير المواد الأولية اللازمة للصناعة • وقد ساهم في هذا العمل معاهد الابحاث التابعة لوزارة الزراعة، ومحطات التجارب الريفية ، وكانت نتيجة جهودهم أن اكتشفوا وسائل جديدة لزيادة غلة الفدان بزيادة خصوبة الأرض ، والقضاء على الحشرات والآفات الزراعية •

وقد قام جماعة من علماء طبقات الارض ، وعلى رأسهم «لى شنج لى» أحد أعضاء المجمع العلمى بمتابعة أبحاثهم لاصلاح التربة الحمراء فى أرض مقاطعة « يانج تسى » ، وأمكنهم بهذا ان يستصلحوا نحو مليونان ونصف من الافدنة، واعدادها للزراعة، بعد اضافة المخصبات الزراعية والأسمدة المناسبة •

كما قام الاستاذ « شيو هنج شانج » من كلية الزراعة فى الشمال الغربى ، فى مقاطعة « شانسى » بانتاج سلالة جديدة من بذور القمح المنتقاة وتهجينها ، واطلق عليها اسم «يا نمرة ١» • ويعطى محصول الفدان منها حوالى ٢٠ أو ٣٠ ٪ أكثر من الانواع المحلية السابقة ، فضلا عن قوة احتمال سوقه ، فتظل قائمة ، ولها قدرة على مقاومة « الصدأ » ، وقد عمت زراعة هذا النوع الجديد ، فى مساحة ١٫٣٠٠٫٠٠٠ فدان فى شانسى سنة ١٩٥٣ ، وأدخلت زراعتها فى كلنسا ، وفى شمال الصين •

هذا الى جوار ما تنتجه المقاطعات الشمالية الشرقية فى الصين من « فول الصويا » الذى يبلغ ثلث محصول العالم منه • وقد توصل العلماء كذلك الى طرق تزيد من غلة الفدان باضافة كتل من البكتريا الى تربة الأرض الزراعية ، فزادت غلة الفدان بمقدار عشرة فى المائة وأصبحت هذه الطريقة تستخدم فى حوالى ٣٧٠٫٠٠٠ فدان •

كما قام علماء الحيوان بمحاولات لايجاد سلالة جديدة من الاغنام عن طريق التهجين بين « الكازاخ » وهى من نوع « السنكيانج » ، والجنس القوقازى الذى جلبته من الاتحاد السوفيتى ، فأصبح النوع الجديد يعطى لحما أوفر بقدر ب ٤٦ × ، وصوفا يوازى ست مرات مما كان يعطيه الجنس الصينى . هذا فضلا عما قاموا به من مجهودات فى القضاء على كثير من الأمراض التى كانت تصيب الاغنام ، فى داخل منغوليا ، مثل طاعون المواشى ، ووباء الخنازير ، وقد كللت مجهوداتهم بالنجاح ، اذ وفقوا الى اكتشاف امصال جديدة ذات أثر فعال .

ولم يهمل هؤلاء العلماء الأسماك ، فاختصوها بعنايتهم للمحافظة على الثروة السمكية ، باستكثارها عن طريق التوالد فى البرك ، والبحيرات ، كما أجروا كثيرا من الأبحاث على المياه التى تحيط بشواطىء الصين عامة للوقوف على أنواع الاسماك التى تعيش بها وتحديد مواعيد هجرة سمك الاسقمرى ، والقيمة الاقتصادية لانواع الطحالب المختلفة ، لما لها من قيمة غذائية للاسماك .

ونظرا لان كثيرا من الأمراض والاوبئة كانت تجتاح البلاد فى الماضى ، بذل الصينيون قصارى جهدهم فى التغلب عليها ودراسة طرق مكافحتها فتمكنوا من اختراع امصال استخدمت بنجاح فى القضاء على الطاعون الدملى ، والتيفود ، والكوليرا ، قبل تفاقم خطرها

ونتيجة لتلك الجهود أصبحت الحقن والامصال الوقائية تصنع محليا فى مصانع البلاد بعد أن كانت تستورد من الأمم الاخرى لعدم توفرها لديها فى الماضى .

ولما فرض الامريكان حظر تصدير الأدوية المبيدة للجراثيم ، لم يفت ذلك فى عضد الصين ، بل عكف علماؤها من الكيمائيين ،

والصيادلة ، وعلماء الأحياء ، على بذل قصارى جهودهم ، حتى تمكنوا من انتاج البنسلين والاستروبوميسين والاوروميسين والكورومیسین بكميات وفيرة فى مصانع البلاد .

ولكى تزداد صلة العلماء في الصين ، بعلماء الأمم الأخرى ، عقد لذلك مؤتمر عام فى « بيكين » ، فى الاسبوع الاول من ديسمبر سنة ١٩٥٥ ، حضره اثنى عشر مندوبا ، من كل من الاتحاد السوفيتى ، وبولندا ، ورومانيا ، وبلغاريا ، والدانيمارك ، واليابان ، وبرما ، وكوريا ، وفتنام ، ومنغوليا ، حيث تبادلوا مع علماء الصين الآراء العلمية الطبية ، وتباحثوا فى آخر ما وصل اليه الطب من نظريات حديثة ، واكتشافات تفيد الناحية الصحية . ولقد كان هذا المؤتمر نجاحا باهرا ، وكسبا علميا موفقا بالنسبة للصين .

ثم تلى هذا ، أبحاث أخرى هامة ، وهى دراسة جراحة القلب ، والأورطى ، وترقيع القرنية ، وقد أتت هذه أيضا بنتائج باهرة . ولما كان عدد من شباب الصين ، قد درسوا الطب فى مختلف الجامعات الاوربية ، وأصبحت لهم ثقافة طبية غربية ، تطلعت نفوسهم الى مزج هذه الثقافة بثقافة بلادهم ، احياء للتراث الطبى القديم فى الصين ، ونظم من أجل هذا الغرض مجمع علمى خاص .

وبالتنقيب فى باطن الأرض ، للكشف عن بقايا الحفريات القديمة، عثر علماء الآثار ، بمعاونة المؤرخين ، وعلماء السلالات البشرية ، على كميات كثيرة من الحديد ، مدفونة فى باطن الارض ، فاستخرجت واستخدمت فى بناء مصانع جديدة ، ومد خطوط السكك الحديدية .

كما اكتشف بعض العلماء كثيرا من القبور الهامة ، التى يرجع تاريخ بعضها ، الى أسرات قديمة ، فى « ألتانج » ، بالقرب من « مشيان » ، و « لويانج » ، اثر فحصهم لكثير من السجلات

التاريخية الخاصة بعصور حكمها ٠ وكانت اكتشافاتهم تبلغ حوالى المائة ، خلال الست سنوات الاخيرة ، مما كشف النقاب عن «العصر الحجرى الجديد » وعصر « يو » من سنة ١٥٦٦ الى سنة ١٧٦٦ ق٠م، وكذا عصر « شو » من سنة ٤٥٣ الى سنة ١٠٦٦ ق ٠ م ٠ ومقاطعات وانج من سنة ٢١١ الى سنة ٤٠٣ ق ٠ م ٠

وقد أصدر المؤرخون نشرات كثيرة قيمة ، تحوى كثيرا من الفظائع التى حدثت خلال « حرب الأفيون » الشائنة فى المدة من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٤٢ ٠

كما قام علماء فقه اللغة ، باختراع كتابة خطية ، مبسطة للعامة ٠ ويركزون الآن جهودهم لابتكار كتابة خطية للخاصة ٠ هذا الى جوار حرصهم على الاهتمام بتنفيذ كثير من المشروعات الانشائية ٠

ومنذ أن بزغت شمس جمهورية الصين الشعبية الى الوجود ، توالى اصدار نشرات ، وكتيبات تحوى الكثير من النظريات الهامة فى ميادين العلم المختلفة ، وعلى سبيل المثال نذكر ما كان خاصا منها ، بالاعصارات البحرية ، وغيرها من المسائل التى تتعلق بالظواهر الطبيعية ، والعوامل الجغرافية ، ولا سيما فى الشمال الغربى من الصين ٠ والفضل فى ذلك يرجع الى عالم طبقات الأرض لى سرنى « كوانج » ، اذ أنار الرأى العالم عن طبيعة أرض الصين ، بما كتبه من مقالات وبحوث ٠

وفى ميدان الرياضة البحتة والتطبيقية ، يجدر بنا ألا نغفل ذكر الاستاذ « شيان داى تشيانج » لما قام به من بحوث قيمة فى تفسير نظرية الاطباق الطائرة ، وكذا الاستاذ « شويو شنج » صاحب نظرية العقود ، والاستاذ « شوشيان كنج » لما كتبه فى نظرية التعاقد ،

كما لا يفوتنا أن نشيد بذكر الاستاذ « هولوكنج » عالم الرياضيات ، الذى قام باختراع نظرية جمع الاعداد الحسابية الاولية الصينية لاول مرة فى تاريخها ٠

وليس ما سبق هو كل ما قام به العلماء فى الصين من جهود موفقة، بل انهم لم يدخروا وسعا فى دراسة « الذرة » وكيفية انقسام نواتها، وما ينشأ عن انفصال جزيآتها ٠ كما عكفوا على دراسة الأشعة الكونية ٠ وقد قام بنصيب مشكور فى هذا المضمار الاستاذ « شنج هانج » ، ومساعدوه ، اذ أجروا احصاءات دقيقة وبحوث مستفيضة ، لمعرفة طاقتها الكهربية ، كما وفق الاستاذ هونج الى معرفة تأثير تصادم جزيآت الذرة المنقسمة ، وأجرى تجارب كثيرة على طبيعة الاجسام الصلبة ، لمعرفة خواصها الميكانيكية والمغناطيسية، وتطبيقها على المعادن والسبائك ٠ هذا فضلا عما قام به الاستاذ « هوانج » من دراسة ، نتيجة الاحتكاك الداخلى للمعادن ٠ وكان من نتيجة أبحاثه ، فهم نظرية «البندول الحلزونى» و«انزلاق البندول المنفرد » ، كما لاحظها الاستاذ « تسيان لنج شيو » و « هوشدار » باستخدام الميكروسكوب الالكترونى ٠

وقد درس علماء طبقات الارض ، وعلماء التقلبات الجوية ، تأثير هضبة التبت ، فى دورة الارض العامة ، كما قام علماء الكيمياء ، وعلى رأسهم الاستاذ « تانج أوشر » بتحقيق نظرية الدورة الداخلية لجزيآت الذرة ، فضلا عما قام به الاستاذ « وانج يو » ، ومعاونوه بدراسة التحليل الكيمائى للاملاح الحمضية ٠ وقام « شوهيس » بتحسين سلالة دودة القز ، وبذا أسدى خدمات جليلة لعلم الوراثة ٠

هذا قليل من كثير مما قام به العلماء فى الصين ، من مجهود فى ميادين العلم المختلفة ، ومنه يتضح لنا مدى التقدم العلمى العظيم الذى أحرزته الصين فى الست سنوات الاخيرة ، مما خطا بها خطوات

واسعة ، ونما بها نموا عظيما ، فبعد أن كان للمجمع العلمى سبعة عشر معهدا ، تضم مائتى باحث ، أصبح الآن يضم ٢٣٧٣ باحثا ، وهكذا ستضطرد الزيادة فى معاهد الابحاث العلمية ، بحيث لاتأتى نهاية مشروع السنوات الخمس ، كما هو مقرر ، الا ويكون عددها قد بلغ واحد وخمسون ، تضم ٤٦٠٥ باحثا ٠

وقد ارتفع عدد الطلبة المقيدين من سنة ١٩٥٠ الى سنة ١٩٥٥ فى الجامعات والمعاهد العليا الدراسية فى الصين الى الضعف ، وبنهاية مشروع الخمس سنوات سيزداد عددهم الى ثلاثة أمثال ما كانوا عليه فى سنة ١٩٥٠ ٠ وسوف تتاح الفرصة لطلبة كليات الهندسة والعلوم للالتحاق بالمجمع العلمى بعد تخرجهم لمتابعة الابحاث العلمية، كما سيرسل بعضهم فى بعثات دراسية الى الاتحاد السوفيتى ، لتلقى المزيد من العلم ، والوقوف على أحدث الأساليب الديموقراطية ، وسوف يضع المجمع العلمى نظاما فى مبدأ هذه السنة ، يكفل للطالب الحصول على الدكتوراه ، فى ظرف ثلاث سنوات ، بعد تخرجه ، مما يسمح لنا بالتوسع العلمى ، والنهوض بالبلاد ثقافيا ٠

وبالرغم مما أحرزناه من تقدم فى العلوم ، نشعر أننا لا زلنا فى بداية الطريق ، اذ ينتابنا شعور بأننا لانزال متأخرين عن ركب الحضارة فى الامم الاخرى ، ولسوف نعمل جاهدين على اللحاق بهم عن طريق تبادل زيارة العلماء لبلادنا ، ودعوتهم لالقاء محضرات علمية للوقوف على أحدث النظريات ٠

هذا ولا يسعنا الا أن نسدى أعظم الشكر للاتحاد السوفيتى لما أسداه الى بلادنا من خدمات جليلة فى ميدان العلوم ، وما قام به علماؤه من بذل معوناتهم ، والتوسع فى شرح ما وفقوا اليه من أبحاث واكتشافات علمية ، وما أجروه من تجارب ٠

ولا شك أن زيارة فطاحل علماء الاتحاد السوفيتى لبلادنا ، فرادى وجماعات ، كان لها أعظم الاثر فى نهضتنا العلمية . وسوف لاتكون هذه المقالة قد مثلت للطبع ، الا ويكون العـالم « ثونيكوف » يقوم بالقاء محاضرته العلمية فى الصين ، عن طريق اسـتخدام الذرة من أجل السلام ، وتطبيق استخدام الايسوتوب ، فى الكيمياء ، وعلم الاحياء ، وعلم طبقات الارض والزراعة والصناعة ، والطب .

ولا يفوتنا أن نذكر أن كثيرين من علماء الامم الاخرى ، قد لبوا دعوة الصين لهم ، وعلى رأسهم العالم الروسى « ا . ب مارن » والعالم البولندى « وينولد ويزكى » والعـالم البـريطانى « ج و . برنال » وجميعهم أعضاء فى مجامع العلماء فى بلادهم ، وممن لهم فضل يذكر فى وضع الاسس التى ارتكزت عليها الصين فى نهضتها العلمية .

هذا الى جانب ما قام به علمـاء الصين من الاشتراك فى كثير من المؤتمرات العلمية ، التى عقدت تحت رعاية الاتحاد العالمى ، للابحاث العلمية ، والمجلس العلمى الدولى لاتحادات العلوم وغيرها من الهيئات الدولية العلمية التى عقدت فى ممالك مختلفة . كما يستعدون الآن للاشتراك فى الاحتفال السنوى بالجغرافية الطبيعية ، الذى سـيعقد فى سنة ١٩٥٧ ــ ١٩٥٨ ، وعدد من المؤتمرات التى ستعقد فى سنة ١٩٥٦ . كما لم يألو جهدا فى توطيد صلاتهم العلميـة ، عن طريق تبادل النشرات العلمية والطبية ، مع أكثر من سبع وخمسين دولة .

ويعمل علماء الصين ، على توثيق هذه الصلات ، والاكثار منها ، اذ يهم علماء الصين الوقوف بصفة خاصة على أحدث النظريات العلميـة والاكتشافات ، وتبادل وجهات النظر فيها ، وبحث ما يهم العالم من مشاكل علمية ، لانها تدعم انتشار العلوم ، وتنهض بها فى كثير من أنحاء العالم . كما سيكون لها أطيب الاثر ، فى خلق جو من الثقـة والاطمئنان بين الامم ، وبث روح التعاون والتآخى بين الشعوب فى جميع أصقاع العالم .

١٦ — كيف تحرر نساء الصين

من السهل أن نتحدث عن تحرر النساء فى الصين ، ولكن ليس هذا شيئا طبيعيا ، يحدث من تلقاء نفسه ، حتى ولو توافرت حكومتنا على اصدار قوانين تكفل مساواة المرأة بالرجل . فقد دلتنى تجاربى الخاصة ، وما قمت به من نضال بالاشتراك مع زميلاتى فى المقاطعة التى أسكنها ، على صحة هذا القول . فقد كان لزاما علينا أن نناضل بأنفسنا ، ونستخلص حقنا بأيدينا . وقد بدأت الحقيقة واضحة ، اذ تبينا ، أن علينا ، أن نشارك الرجل فى عمله ، ونقوم بمثل ما يقوم به كى نصبح على قدم المساواة معه . وصممنا على الخروج من عزلتنا فى المنازل ، وخوض معركة الحياة الى جانب الرجل .

وأما أنا شخصيا ، فأسكن فى جبال « تيهانج » فى مقاطعة فى شمال « سانسى » وقد اتسم الحى الذى أسكنه بطابع الفقر ، اذ كان الملاك يتحكمون فى رقاب الفلاحين ، ويستغلونهم فى سبيل مصالحهم ، يشقون ليسعدون ، ويكدون ليجنوا ثمرة كفاحهم ، وكان الفلاحون بدورهم يسيطرون علينا ، ويرهقوننا بمطالبهم ، كما كنا فى نفس الوقت ، عرضة لتحكم الملاك سادتهم ، فى ذلك الوقت . فكأننا كنا بين نارين . وكان زواج الابناء يتم ، وهم لايزالون صغار السن . وكان على عائلة الزوج أن تدفع صداقا لاسرة الزوجة . وحينما تبلغ البنات الثانية عشرة ، أو ما يقرب من ذلك ، كانت تحمل الى منزل زوجها فى محفة ، وهناك ترى زوجها ، الذى لم يسبق لها أن وقعت عيناها عليه .

وهناك تظل فى عائلة زوجها ، ينظر اليها كأنها قطعة من الأثاث وتعامل معاملة الأرقاء ، وتمضى حياتها فى الطبخ والحياكة ، وجلب الماء وطحن الغلال . كما أن الزوج الذى لم يسبق له رؤيتها ، ولم يؤخذ رأيه فى زواجها ، لايدخر وسعا فى ضربها ، وايذائها لاتفه الأسباب ، واذا ما غضبت عليها حماتها ، صبت عليها جام غضبها .

وفى سنة ١٩٣٨ ، أتى الجيش الثامن ، وأقام معسكرا وسط الجبال ، واتخذ لنفسه قاعدة هجومية لصد اليابانيين ، ولم يكونوا مجرد جنود فحسب ، بل جاءوا ومعهم أفكار جديدة ، يعلموننا كيف نقاوم جميع أنواع الاضطهاد ، وكيف نقاوم ملاك الاراضى والمرابون أيضا ، لا اليابانيين فحسب .

وقدسمعنا منهم عبارات تتحدث عن « حقوق الانسان » وقد كانت غريبة على أذهان عجائز النساء ، كما كانت غريبة على ذهنى ، وكنت لا أعدو سن الشباب ، وكان هذا من صالح النساء على الاخص ، واذ كان هذا حافزا لهم على الجهر بما يعانون ، ومحاولة ايجادحل لمحنتهم .

ولم تتحسن الاحوال فى الحال ، حتى بعد أن تحررت قريتنا ، حدث أن نالت « ليوكيه شى » علقة طيبة من حماتها ، لعدم قدرتها على حمل اناء ثقيل مملوء بالماء ، ملأته من بئر فى أسفل التل ، الى مسكنها ،ففرت وأمضت ليلة فى العراء .وفى صباح اليوم التالى ، ذهبت الى مقر البوليس تطلب حمايته من هذه الحماة الشرسة . فأرسل معها جنديا ، أوصلها الى منزلها ، وليشرح للحماة أن الزمن قد تغير ، وانها ان حاولت أن تضرب زوجة ابنها مرة أخرى فسيكون جزاؤها السجن .

وكان هذا الحدث ، هو الأول من نوعه ، فأثار دهشة النساء ، ومن ثم أخذت عيونهم تتفتح على الآفاق الجديدة ، والنظم المتحررة التي وضعتها لهم حكومة العهد الجديد ٠

وفي سنة ١٩٤١ ، نفذت قوانين الزواج الجديدة ، مقاطعتنا - وأصبح تنفيذها سهلا ، لأنها سبقت غيرها في التحرر ، وانتشرت فيها المبادىء الاشتراكية ، ولم تعد تحت حكم « الكومنتاج » ، أو « اليابانيين » ٠ ولم تعد بعد ذلك الزيجات سلعا ، تباع وتشترى ٠ ولم يعد هناك نساء يفرض عليهن أزواج لم يرهن من قبل ٠

هذا الى أنه أصبح من حق النساء أن يطلقن أزواجهن ، اذا قسوا عليهن ٠ وذلك خلافا لما كان قبلا ، اذ كان الزوج حرا في أن يطرد زوجته ، أو « يبيعها » بينما لم يكن من حق المرأة أن تترك بيت زوجها من تلقاء نفسها ٠

هكذا كانت أحوال النساء في الماضي ، وقد احتاج الرجال ، بلا شك ، الى بعض الوقت ليألفوا النظام الجديد ٠ ولنذكر مثلا على ذلك، أن راعيا اسمه « تشين شوان لن » ضرب زوجته يوما ما ، بعد فرض القانون الجديد ، ولم يقتنع أنه كان مخطئا ، وقد عبر عن وجهة نظره، أنه سواء أكان هناك قانون للزوجية ، أو لم يكن ، فهو قد اشتراها بماله ، وهو حر يفعل بها ما يشاء ٠

وقد ذهبت الزوجة ثلاث مرات الى محكمة المقاطعة ، تطلب الطلاق، وكان رجال المحكمة ، يحاولون التوفيق بينهما في كل مرة ٠ وكان « شين شوان ليو » ، يتظاهر بقبوله الصلح في كل مرة ، ولكنه في الحقيقة كان غير راغب فيه ٠ وفي المرة الرابعة صممت الزوجة على الطلاق ، ولم تر المحكمة بدا من اجابتها الى طلبها ٠

وتزوجت الزوجة مرة ثانية ، وتشعر انها فى منتهى السعادة ٠ بينما لم يوفق « شين » الى زوجة أخرى للآن ٠ ولا شك فى أنه شاذ بطبعه ، وقد عرف الرجال أن النساء مخلوقات بشرية ، لهم حقوق ٠

وفى سنة ١٩٤١ ، عم بلادنا الاصلاح الزراعى ، وحصل كل فرد ، رجلا كان أم امرأة ، على نصيبه بنفس الأسس ، ورأينا أسماءنا مكتوبة فى حجج توزيع الاراضى ، بالابيض والاسود ، وحصلنا على نصيبنا مثل ما حصل الرجال ، وصار فى وسع كل امرأة أن تفعل بنصيبها من الارض ما تشاء ، سواء أكانت آنسة ، أم امرأة متزوجة ٠ فمن حقها أن تبيعه أو تتنازل عنه ، لمن تشاء ، أو تحتفظ به لأفراد العائلة ٠ وأصبح على الأزواج أن يكفوا عن شعارهم القديم فى معاملة الزوجة ، وهو « اذا أتيت فانى أطعمك ، واذا ذهبت ، فلا تأخذى شيئا معك » اذ لم تعد هناك فائدة من ذلك ٠

وحتى بعد أن أصبحنا ملاكا ، لم تحقق لنا الملكية ، المساواة بيننا ، وبين الرجال الذين ظلوا يقولون « ان عشرة نجوم لاتعطى ضوءا كالقمر ، وكانوا يعنون بذلك ان عشر نساء ، لا يعادلن رجلا واحدا ٠ وكانوا يرددون أننا لايمكننا ، أن نتفوق عليهم فى الاعمال ، أو حتى لانقدر أن نقوم بمثل ما يقومون به ٠

وهنا يجب أن نعترف أن بعض النساء ، كن السبب فى هذا ، خصوصا ، ممن ينحدرن من عائلات ثرية ، اذ كن مترفات ٠ واحداهن « شون هوا » ، اذ قالت من تريد أن تتحرر فلتتحرر ، أما أنا فانى أفضل أن أبقى كما أنا ٠ وكانت تعنى بذلك ، أنها تفضل ان تبقى فى كنف زوجها ، لانه كان قادرا على الانفاق عليها ٠

ولكن من كن متعودات على العمل ، مثل « أونتى ، وانج شولين » ، فقد جندن للعمل فى الحقل بجانب الرجل ، ووجدن أن هذا هو الطريق الوحيد ، أمامهن للحصول على مساواتهن بالرجال • وحتى ذلك لم يكن كافيا • فأنا نفسى كنت أقوم بفلاحة الارض ، منذ أن كنت بنتا • فقد مات والدى وما أزل طفلة ، وكان على أن أساعد والدتى ، وبعد أن تزوجت فى سن الثامنة عشر ، ذهبت الى الحقول أيضا ، واشتغلت بالعمل الشاق ، مثل باقى الرجال ، ولكن لم ير أحدا فى هذا أى فضل •

وكثيرا ما كنت أتحدث عن هذا مع أحد الجيران من صديقاتى ، واسمها « هان شن لان » ، وقد قالت لى ذات مرة : يبدو أننا سنتابع العمل هكذا الى نهاية حياتنا ، من غير أن تحرز تقدما ما • وكان كلانا لاتزال حديثة السن ، ومع ذلك فقد كان علينا أن نناضل من أجل المساواة والاعتراف بها • وقد فعلت كلماتها فعل السحر ، فى نفسى ، ولكننا لم نسر فى طريق الصواب الا أخيرا •

والآن سأقص عليك ، كيف بدأنا نضالنا ، حتى تحررنا • وسأذكر الاسباب الرئيسية التى مهدت أمامنا الطريق • ففى شتاء سنة ١٩٥١ بدأنا بتأسيس جمعية تعاونية زراعية فى قريتنا ، وقد سبب لنا هذا كثيرا من المشاكل • اذ لم تكن التربة خصبة عندنا ، ووجدنا أننا لكى نحسن معاشنا ، لايكفى أن نزرع الحبوب فقط ، بل علينا أن نربى الماشية ، ونغرس الاشجار • وقد اجتمع أعضاء جمعيتنا لوضع خطة لتنفيذ هذا المشروع فى خمس سنوات ، وأن نبحث الطرق المؤدية لذلك •

وقد لمسنا أننا اذا أردنا أن نحقق ما نريد ، فان علينا أن نزيد قوة العمل الى نحو الثلث ، وأنى لنا أن نجد مزيدا من العاملات ، الا فى ربات البيوت ، ولذا صرنا فى أشد الحاجة اليهم •

وقد تحدثت فيما بعد مع « مستر لى شـان تا » رئيس جمعيتنـا التعاونية من الرجال ، ونجحت فى اقناعه ، بضرورة افهـام باقى الاعضاء بضرورة تدريب النساء ، على القيام بأعمال خاصة ، واذا لم يقبلوا ، فاننا سنقاطعهم ، فيصبح مثلهم كمثل عربة فقـدت احـدى عجلاتها ، تدور حول نفسها ، ولا تتقدم خطوة الى الامام ٠

وقد تجول بعض من كن يعملن من النساء ، فى الحقول ، من قبل ، ليشرحن للأخريات من زميلاتهن ، كل ما يتعلق بالتعـاون ٠ وكيف أن كل ما يقمن به من أعمال سيسـجل لهن ، فى دفاترهن ، حتى ينلن نصيبهن من المحصول تبعا لذلك ٠ وقد اجتذبت الفكرة كثيرات من ربات البيوت ، وبدأن فى الانضمام لنا ٠

ولم يكن ذلك سهلا على النساء ، فلم يكن مهرة كالرجال فى أول الأمر ، وبدا لهن العمل شاقا ، فضلا عن حسـبان يوم المرأة نصف الرجل فى الأجر ، كما كان الرجال ينظرون اليهن بعقليتهم الرجعية ، محاولين فرض سيطرتهم عليهن ٠

ولا زلت أذكر كيف أن فـلاحا قويا كفء فى العمـل ، كان يقود فريقا من النساء ، لعزق حقل من الأرض ، وحينما رأى أننـا قمنا بمثل ما قام به ، غضب وقال : الآن سأجرب فأسا من نوع جديد ٠ وقد كانت هذه الفأس نوعا من آلة لم نرها من قبل ٠ وظن أنه بهذا سيتفوق علينا ٠ ولكن صديقنا « شانج هو شو » قالت بشـجاعة : سأجرب آلة العزق الجديدة هذه ٠٠ وكم كانت دهشة زعيمنا حينما رأى أننا قد أحسنا استخدامها ٠

وأخيرا سأل أحد الفلاحين المسنين ، ممن عركتهم السنون ، زملاؤه ، أليس النساء متساويات فى تنقية الحشائش فأجابوه « بالايجاب » ٠ وسأل ثانيا : أليس صـحيحا أن النساء أسرع من الرجال فى خف

« أعواد الدخن ؟ » فأمنوا على كلامه • فسأل اذا لماذا لا يتساوى النساء مع الرجال فى الأجر ؟ وهنا لم يجد أى من الرجال سببا معقولا يبرر ذلك • وبذا صار النساء متساويات مع الرجال •

وبعد نهاية المحصول التالى ، حينما حمل ربات البيوت أنصبتهن من المحصول ، تحقق الازواج أن النساء يساووهن فى العمل ، وأنهن اذا تعاون معهم كان لذلك أثر عظيم فى وفرة الانتاج ، وتغيرت معاملة الازواج للزوجات فى حياتهم العائلية •

ولقد قال لى حديثا تا يو شمنج ، وهو أحد الفلاحين الذين يقودون فريقا من النساء ، أنه لا يزال هناك بعض الاعمال الثقيلة لا تقدر النساء على ممارستها ، ولا بد لهن من الاستعانة بنا نحن الرجال • ولكن توفر الجرارات والمحاريث والآلات ، قد ذلل كل تلك العقبات، ولم يعد أمام النساء من الاعمال الزراعية ما يصعب عليهن القيام به•

وهكذا كان العمل ، والعمل وحده ، مفتاح المساواة ، وأصبح لنا صوتا مسموعا يعتد به فى جميع القرارات التى صدرت سواء فى القرى أو المدن ، كما أصبح لنا مكانا مرموقا فى المنزل •

ونتيجة لهذا أصبحت ابنتى « وانج » فلاحة ممتازة ، حتى أنها صارت تكسب أكثر من زوجها ، الذى كثيرا ما يقوم بطهو الطعام ، واطعام الخنازير والثور والحمار الجديد الذى اشتريناه حديثا ، فى أثناء غيابها فى الحقل للعمل • ولقد دربت أيضا على القيام بأعمال التوليد وأصبحت تشرف على قسم التوليد فى دار الولادة التعاونية، فما أعظم ما تقدمنا عن الماضى •

١٧ — بناء الحكومة الجديدة

« شيان توان شين »

لقد استقبل شعب الصين دستور جمهوريته الجديد بالهتاف والتهليل ، وأقره أول مجلس نيابى للأمة فى العشرين من سبتمبر سنة ١٩٥٤ . ومن أعظم ما يشتمل عليه الدستور ، أنه يتيح لنا نظاما سياسيا وديموقراطيا ، نصا وروحا ، يناسب ما تهدف اليه البلاد من نهضة حديثة ، ويحقق الغرض من بناء مجتمع اشتراكى فى الصين .

وان الفقرة التى تشرح بناء الحكومة لتحتوى على أربع وستين مادة من مواد الدستور البالغ عددها مائة وستون مادة . وهو يتعلق بسائر فروع الجهاز الادارى من حيث تكوينه ، وفروعه وعلاقة بعضها ببعض

وان الحكومة المركزية ، وأهم أجزائها السلطة التنفيذية ، لتتبع لمجلس الأمة . ويوجد الى جوار ذلك مجالس اقليمية لتشرف على أعمال السلطات التنفيذية بها . ويشرف على الجميع مجلس الأمة ، وهو مجلس نيابى وطنى .

ولقد أوجد هذا المجلس من أجل الملايين العديدة من سكان الصين، كبيرهم وصغيرهم ، عظيمهم وحقيرهم اذ تم تكوينه من أفراد الشعب الذين انتخبهم الشعب . ولو أننا ليس عندنا انتخاب سرى مباشر فى جميع أنحاء الصين نظرا لحالة البلاد الراهنة .

فالبرغم مما أحرزناه من تقدم فى شتى الميادين فى السنوات الاخيرة ، لا تزال هناك نسبة مئوية كبيرة من الأمية تسود أفراد الشعب ، كما أن هناك مناطق كثيرة يتعذر الوصول اليها ، ويصعب الارتباط بينها، نظرا لقلة المواصلات، وبما أن الناخبين فى الانتخابات التمهيدية يتصلون بمرشحيهم عن قرب فانهم يتمكنون من اعطاء أصواتهم لنوابهم برفع أصابعهم ، وهو ما يعبر عنه بالانتخاب المباشر .

ولكن بما انهم لا يعرفون الكثير عن مرشحيهم فى الانتخابات النهائية لمجلس الأمة ، فانهم لا يمكنهم اعطاء اصواتهم بطريق الانتخاب المباشر . ولا مناص للمجلس من اتباع طريقة الانتخاب غير المباشر فى الجهات الاقليمية ، وانتخاب أعضاء مجالس المديريات ، ويقوم أعضاء مجالس المديريات بانتخاب أعضاء مجلس الأمة .

وان اختيار المرشح لهو المحور الذى يدور حوله الانتخاب ويتركز عليه ، ولكى نتوفر على انتخاب المرشح الصالح يجب أن يتوفرشرطين أساسيين ، وهما : أولا أن من يعطى صوته للمرشح يجب أن يكون على معرفة تامة به . وثانيهما أنه يجب أن تتاح الفرصة للناخبين ، لتبادل وجهات النظر بحرية تامة بين أنفسهم ، ليعرفوا أى المرشحين أصلح فى تمثيلهم . كما يجب ان يكون عدد المرشحين للنيابة عن الشعب قليلا جدا يسمح لكلا الطرفين بالقيام بما ذكر على وجه مرضى .

وبما أن الأمية فى طريقها الى الزوال ، والمواصلات آخذة فى التحسن ، فسيتمكن الناخبون من معرفة المرشحين للانتخاب النهائى عن كثب ، وستتبع طريقة الانتخاب المباشر فى جميع أنحاء البلاد بمرور الزمن .

وان مجلس الأمة الذى يمثل ارادة الشعب ليتمتع بسلطة لانهاية

لها • ففي وسعه أن يراجع الدستور في بعض مواده ، ويستبدل بها بها مواد أخرى • وهو وحده المسموح له بوضع القوانين • كما أنه هو وحده الذى يضع التشريعات الاقتصادية التى تسيطر على الدخل القومى الاقتصادى • وهو الذى يقر الميزانيــة ، ويقر حــالة الحرب والسلم ، وجميعها عوامل أساسية فى حياة الأمة •

ويمتاز مجلس الأمة عن باقى الهيئات ذات السلطة فى الدولة ، بأنه الهيئة التى أوجدت هذه الهيئات • فهو الذى ينتخب اللجنــة الدائمة ، التى تعمل باستمرار خلال الفترات التى لا يكون المجلس منعقدا فيها• كما انه ينتخب المرشحين للوظائف الرسمية الكبرى فى الدولة ، كرئيس الحكومة ووكيل الجمهورية ، كما أن من حقــه أن ينتخب رؤساء المحاكم العليا ، وحكام الاقاليم • كما أن من حقــه أن يوافق على من يختاره رئيس الجمهورية رئيسا لمجلس الوزراء • كما أن من حقه أن يوافق على من ينتخبهم رئيس الوزراء أعضاء فى وزارته• وكذا تجب موافقته على دعوة مجلس الدفاع الوطنى •

ولمجلس الأمة الوطنى السلطة العليا فى الاشراف على جميع ادارات الحكومة المسئولة ، وعلى هذه الادارات أن ترفع تقاريرها لمجلس الأمة أو اللجنة الدائمة ، اذا لم يكن المجلس فى دور انعقاده • كما أن من حقه أن يقيل رئيس الوزراء ، أو أى عضو من أعضاء الوزارة ، او رؤساء الادارات ، وحكام الاقاليم • وأكثر من ذلك ينص الدستور بصراحة على ان من حق مجلس الأمة أن يتخــذ من السلطة ما يراه ضروريا •

ولا يغرب عن بالنا ان مصــدر ســلطة مجلس الأمة وقوته التى يستند اليها مستمدة من الشعب ، لان الحكومات الديموقراطية يجب أن تسود فيها سلطة الشعب ، ولا يجب مطلقا أن تكبح سلطة الشعب أو تحد من قوته •

وقد يتساءل البعض ، لماذا لا يعقد المجلس دورات طويلة ، وينعقد كثيرا ، ويستغنى عن اللجنة الدائمة ، التى تعمل خلال فترات الانعقاد ، أليس من الاوفق أن تتخلى اللجنة الدائمة عن سلطتها وتعطيها للشعب عن طريق مجلس الأمة ؟

ولكن ليس هذا من الصواب فى شيء ، فان من ألموا بشيء من المعرفة عن المجالس النيابية فى الأمم الغربية ، يبدو لهم أن هذا ليس شيئا قانونيا • اذ ان دورات انعقاد مجلس الأمة ، وتحدث مرة فى السنة، أو حينما ترى اللجنة الدائمة الضرورة تدعو الى ذلك ، أو اذا اقترح خمس الاعضاء ذلك • ولكن هناك سبب أهم من ذلك ، اذ يشترك جميع أعضاء المجلس فى أعمال مختلفة ، ولا يتخلون عن اعمالهم ، اذا ما تم انتخابهم وأصبحوا نوابا فى مجلس الأمة بجانب ذلك ، ليتيح لهم فرصة الاتصال بالشعب ، فيقفون على احتياجاته، ويتعرفون على آرائه •

كما ان النواب العمال والمهندسون ، اذ يبقون فى مصانعهم ، يزاولون أعمالهم ، تتاح لهم فرصة الحصول على معلومات قيمة عن احتياجات الصناعة • وكذلك الحال مع النواب المشتغلين بالزراعة ، والتعليم ، والفن ، وشتى الميادين المختلفة • لان النائب الذى يترك عمله ، ولو لمدة عضويته المقررة وهى أربع سنوات ، قد يفقد حقه الانتخابى الذى اكتسبه من الشعب • اذ يتحول من نائب بارادة الشعب الى محترف سياسى • ولا شك ان النواب الذين يظلون على صلة بأهالى دائرتهم بعد فوزهم بالنيابة ، من أرباب الحرف والمهن فيها ، يأتون الى مجلس الأمة وفى جعبتهم الكثير من الاقتراحات ، والآراء الصائبة ، ويتقدمون بقوائم على جانب من الاهمية ، قد لا يتوصل اليها السياسيون المحترفون • كما أن مثل هؤلاء النواب لا يضيعون الوقت فى مناورات فاشلة، وخطب برلمانية معقدة، تسبب تعطيل الحياة العامة •

كما ان الدورات القصيرة لا تكون سببا فى تحديد حق النواب فى عرض أى موضوع لمجلس الأمة ، خلال مدة نيابتهم ، وفى أى وقت. فاذا ما رغب أى ناخب من أفراد الشعب فى تقديم اية شكاية أو اقتراح الى الحكومة ، خلال انعقاد الدورات ؛ فان نوابهم من واجبهم ان يوجهوا الأسئلة ، عن طريق اللجنة الدائمة فتعرضها بدورها على مجلس الوزراء ، أو تحيلها الى الوزارة المختصة التى تتبع لها جهة الاختصاص ، سواء أكانت فى المدينة أو احدى قرى الريف . كما أن من حق أعضاء مجلس الأمة أن يشهدوا جلسات مجالس المديريات التى انتخبتهم ، كى يعملوا على تنفيذ رغبات أعضائها .

أما من حيث القول بأن اللجنة الدائمة قد تسلب سلطة مجلس الأمة ، فلا محل للخوف من هذا ، لانها تعمل باسم مجلس الامة ، وتعتمد عليه مباشرة فى جميع أعمالها . كما أن من حق المجلس أن يناقش أعضاءه فى مقترحاتهم أو طلباتهم ، فيؤيدها ان كانت على حق ، أو يرفضها اذا كانت غير قانونية .

ويعتبر مركز رئيس جمهورية الصين الشعبية الفريد من نوعه من بعض الوجوه ، فهو لا يشبه مركز رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية ، أو جمهورية فرنسا . ولكنه يشبه الى حد قريب منصب رئيس الاتحاد السوفيتى الروسى ، لان كلاهما يستمد سلطته العليا من الشعب ، ولا تعتبر جزءا من النظام الادارى الحكومى . وهذا هو وجه الشبه بينهما ، لان رئيس الاتحاد السوفييتى هو المتحدث الرسمى باسم روسيا كوحدة ، لا كرئيس لهيئة ادارية ، أو أى مجلس أو لجنة ، وكذا رئيس جمهورية الصين الشعبية .

وتعتبر سلطات رئيس المجلس مجرد اجراءات ، فيبدو أنه يعمل أشياء كثيرة ، ولكنها كلها مجرد قرارات سابقة لمجلس الأمة ، أو لجنته الدائمة ، وما يتبعها من اصدار القوانين واللوائح . وتعيين أو

اقالة الوزراء وغيرهم من الموظفين الرسميين فى الحكومة ، واصدار الأوامر للحكومة ، ومنح ألقاب التكريم ، واعلان الهدنة ، واعلان حالة الحرب ، ويصدر أوامر تسريح الجنود ، ولكنها كلها تصدر باسم الشعب عن طريق مجلس الأمة ٠

ومن حق رئيس الجمهورية أن يتصل بحكومات البلاد الاجنبية الاخرى باسم جمهورية الصين الشعبية ، على أسس جمهورية ٠وكذا يصبح القائد الأعلى للجيش ، لانه يرأس مجلس الدفاع الوطنى ، ويعين نائب رئيس الجمهورية ، الذى ينتخبه مجلس الأمة ولا يعتدى رئيس مجلس الامة على سلطة مجلس الامة أو الحكومة لان رأيه استشارى

ويخول الدستور لرئيس الجمهورية السلطة فى أن يدعو اذا دعت الحاجة ، الى عقد مؤتمر سياسى ، يضم نائب رئيس الجمهورية ، ورئيس اللجنة الدائمة ، ورئيس مجلس الوزراء ، وبعض المختصين من رجالات الدولة ٠ وحتى هذا المؤتمر فان رأيه استشارى ،يسدى النصح فقط للحكومة بعد مداولة أعضائه ، وليس من حقه اصدار قرارات ٠

ومن ذلك يتضح لنا أن مكتب رئيس الجمهورية ليس له سلطة مستقلة ، فهو لا يؤثر فى سلطة مجلس الأمة ، أو مجلس الوزراء ، بل بالعكس يعد مثلا ساميا مبسطا ، ورمزا لوحدة الشعب ٠

ويعتبر مجلس الوزراء أكبر هيئة فى الجهاز الادارى ، وأعضاؤه هم نائب رئيس الجمهورية ، والسكرتير العام ، والوزراء ، ورؤساء الادارات الذين يرشحهم الرئيس ، الذين كما رأينا سابقا، يعينون بواسطة رئيس الجمهورية ، ويعمل رئيس الوزراء كرئيس للهيئة التنفيذية ، ويمارس الحكم باسم مجلس الأمة ، ولجنته الدائمة ، ويخضع لاشرافهما ٠

وبما ان مجلس الوزراء يضم أربعين عضوا ، فيغتبر مجمعا كبيرا نوعا ما ، قد يجتمع بكامل هيئته ، أو من الرئيس والوكيل ، وعشرة من رؤساء المصالح الادارية .

وتشمل الادارة فى الصين على وجــه العموم ثلاث جهــات هى : الاقاليم ، والقرى ، وتليها المدن التى تساهم فيها حسب أهميتها فى الحجم . اذ قد يشترك ثلاثة من سكان المدن الكبيرة فى الاقاليم . كما قد تقسم هذه المدن الى اقسام ، يصبح كل قسم منهــا مدينــة صغيرة تكون فى مجموعها مدينة كبيرة .

ولكل وحدة محلية ، سواء أكانت مديرية متسعة مثل « شوزان » أو أحد المراكز التجارية مثل « شنغهاى » بسكانها الملايين الست ، أو القرى بسكانها القلائل ، التى قد تبلغ المئات ، مجالس من الشعب تخضع لاشراف مجلس الأمة ومجلس الوزراء .

وتتوحد الأنظمة الحكومية فى جميع الادارات التى ذكرناها ، فى جميع أرجاء البلاد ، ولا يشوبه أى تعقيد ، وهذه ميزة تبين دقةالحكم فى الصين على اتساعها . كما يسير نفس هذا النظام بدقة فىالاقاليم التى تتمتع بالحكم الذاتى .

هذا وتمتاز الصين بتعدد الاجناس فيهــا ، ففى المساحات التى توجد فيها اجناس من أكثرية معينة ، أو أقلية معينة نجــد الحــكم السائد فيها هو حكم الشعب . ومن هنا قد يختلف نظام الحكم فى الاقاليم عنه فى البلاد الأخرى ، اذ لا نجنح الى التفرقة بين الاجناس أو الأديان أو العنصرية ، فالجميع أفراد من الشعب الصينى ، وفقا لمــا رسمه مجلس الأمة من سياسة للحكم فى البلاد .

وحينما انعقد أول مجلس للأمة ، أصدر قوانين ، تنظيم المحاكم الشعبية ، والاجراءات القانونية ، ونظام المرافعات ، وحكام الاقاليم .

ويتكون النظام القضائى فى الصين من المحاكم الابتدائية ، والمحاكم المتوسطة ، والمحاكم العليا ، وتوجد المحاكم الابتدائية فى الاقاليم ، أو ما يساويها ، وأما المحاكم العليا وما يساويها فتوجد فى المديريات ، بينما تختص المحاكم المتوسطة بممارسةسلطتها القضائية فى عدد من المقاطعات التى تتمتع بالحكم الذاتى .

وتبدأ معظم القضايا فى المحاكم الابتدائية ، وبما أن بعض القضايا قد تتعلق بجرائم خطيرة ، فهذه تحول الى المحكمة العليا .

وتسير المحاكمة الاولى فى أى محكمة ، باشتراكمحكمين منالشعب الذين لهم سلطة النظر فى الموضوع وتحقيقه ، ولهم من السلطة القضائية ما يعادل سلطة القضاة . وعلى العموم فان ما تصدره هذه المحاكم قد يحال الى محكمة الاستئناف اذا كان الحكم غير عادل فى نظر المتقاضين ، وذلك مسموح به مرة واحدة ويعتبر حكم محكمة الاستئناف بعد ذلك نهائيا .

وتتبع المحاكم فى الاقاليم التى تتمتع بالحكم الذاتى ، نفس نظام المحاكم فى باقى البلاد ، ففضلا عن انه ينفذ أوامر الحكومة ، فان له سلطة المحافظة على تنفيذ القانون ، بواسطة السلطات الادارية فى الاقاليم ، التابعة لحكومة الاقليم ، بمعونة موظفيه العموميين ، ويهدف الى المحافظة على حقوق المواطنين جميعا .

وينتخب رئيس المحكمة العليا بواسطة مجلس الأمة ، كما ينتخب رؤساء المحاكم الاخرى الابتدائية والمتوسطة بواسطة مجالس الشعب

الاقليمية ، وجميعهم مسئولون أمام هذه المجالس ، ويجب ان يرفعوا اليها تقاريرا عن أعمالهم ٠

ومن الوجهة التشريعية ، تعتبر السلطة القضائية سلطة مستقلة ، لاسلطان لاحد عليها سوى الشعب ممثلا فى مجلس الأمة ، ولا يخول لها استغلال نفوذها فى أوجه غير عادلة أو غير مشروعة ٠

هذه صورة مبسطة ، لنظام القضاء فى الصين الشعبية ، كما ينص عليه دستور بلادنا الذى استمد من وحى الشعب ٠

١٨ — الفرد للجماعة

لقد أصبح « وانج هان كو » أفقر فلاح فى قريته ، يمتلك أربعة أضعاف ما كان لديه من الأرض من قبل ، بموجب قانون الاصلاح الزراعى فى بداية سنة ١٩٥١ ، وبذا صار فى وسعه أن يحصد ثلاثة محاصيل فى السنة ، كما هو متبع فى الجزء الشرقى من « كوانج » ، حيث يقطن فى مقاطعة « شيهيانج » ، ولكن الفلاح يحتاج فى عمله الى ما هو أكثر من جودة الطقس .

ولذا كان لا يزال هناك كثيرا من المتاعب التى واجهت « وانج هان كو » . فقد كان فى حاجة الى الحبوب ، والمخصبات ، وآلات الزراعة . فضلا عن انه كان الشخص الوحيد القادر على العمل فى عائلته ، المكونة من زوجة وخمس أطفال .

وكان فى قريته جماعة لقراءة الجرائد بالاشتراك معا ، فسمع من هذه الجماعة أن هناك فى المقاطعة الشمالية من شانسى جماعة تقوم بفلاحة الأرض للجميع بطريق التبادل ، وانهم بذلك قد رسموا خطة منظمة لوفرة الانتاج ، متحدين جميع فلاحو الصين فى نجاح خطتهم .

وبعد مناقشات طويلة فى مارس سنة ١٩٥١ ، قام بعض فلاحو الصين فى مقاطعة « وانج » بتنظيم فرقة لتبادل المعونة على النمط السابق ، وصار وانج رئيسا لها . وتكونت الفرقة فى بادىء أمرها من أفراد خمس عائلات ، وكانت تضم واحدا وثلاثين عضوا . وكانت

أرضهم جميعا ضعيفة ، ولذا عين سبع أشخاص للاشراف على تنظيم العمل • وصار هؤلاء الرؤساء السبعة يجتمعون كل مساء للتشاور فيما يبدأونه من عمل فى اليوم التالى ، واضعين الشخص المناسب فى المكان المناسب من العمل ، وبذا أمكن سير العمل بنظام واتقان • بينما عهد لعجائز النساء بالاعتناء بالاطفال أثناء غياب الأمهات للعمل فى الحقول ، أو القيام بأعمال زراعية أخرى • وتحقيقا لنظام التعاون بينهم ، أقرض من عنده فائض من بعض الحبوب أو المخصبات الزراعية غيرهم من زملائهم ممن ليس عندهم •

وحينما جمع المحصول فى آخر العام ، وجدوا انه قد زاد بنسبة ٣٠ ٪ عن الاعوام الماضية • وقدرت زيادة المحصول من أرض الشعير فى السهول بنسبة ٤٦٢ رطلا فى الفدان ، بينما زادت بمقدار ٣٩٠ رطلا فى التلال • وبلغت الزيادة الحقيقية فى المحصول ١٣٦٦ رطلا فى الفدان فى السهول ، ٩٩٠ رطلا فى الفدان فى حقول التلال خلافا لما كان مقدرا •

ولهذا السبب منحت وزارة الزراعة هذه الفرقة شهادة الاستحقاق ومبلغا من المال • وفى نهاية سنة ١٩٥٣ زاد محصول فرقة « وانج هان كو » بنسبة ٦٥ر١ فى المائة فى حقول السهول ، وحوالى ١٢ ٪ فى حقول التلال ، عما كان عليه سنة ١٩٥٠ ، قبل أن تتكون •

وكان لهذه الزيادة أثرها البالغ فى جذب كثير من الفلاحين ، اذ حينما وجدوا ان فرقة « وانج » قد زاد انتاجها ، سارعوا بالانضمام اليها ، وعمت العضوية أفراد سبعة عشر عائلة •

ومع ذلك ، فرغم اتباع النظام التعاونى فى الزراعة واختلافه عما كان متبعا فى العهد القديم من زراعة الافراد لاراضيهم بأنفسهم ،

فان هذا النظام كما له محاسن فله مثالب • فانه كوحدة منظمة لها أساليبها وأنظمتها الخاصة ، تجد نفسها مرغمة على التقيد بها •

فبما أن الأرض جميعها فى الاقليم تزرع بطريق التعاون،ويشرف عليها أفراد عائلات مختلفة ، فان كل عائلة تفضل زرع المحاصيل التى يكثر احتياجها اليها ، غير مكترثة بما قد تكون عليه التربة من الضعف • فمثلا قد يزرع بعض الاعضاء بطاطا فى أرض صلبة ، قد تكون أصلح لزرع نبات التارو « القلقاس » • وقد يفضل عضو آخر زراعة كثير من البطاطا مما قد يفيض عن حاجة أسرته الاستهلاكية •

كما قد يفضل أحد الاعضاء القدامى ، من الأثرياء منهم ، اضافة مخصبات أكثر لأرضه ، مما قد لا يطيقه عضو حديث الانضمام • لذا فقد زاد احتياج الفقراء منهم الى المخصبات • كما كان الاعضاء الجدد لا يرضون بالاقتراض من قدامى زملائهم خشية التورط فى ديون قد تسبب لهم بعض المتاعب •

وقد أصبح أعضاء كل عائلة مقيدين بتنفيذ نوع معين من العمل فى أرضهم الخاصة ، فكان لزاما عليهم أن يهتموا أو يساهموا فى كل العمليات الزراعية ، من شتل البقول ، الى الاشراف على الرى • وكان كل عضو من العائلات منهمكا فى عمل ما • ولم يترك أى فرد منهم بدون عمل ، كما اهتموا كثيرا بالانتاج الحيوانى مثل تربية الخنازير والأوز •

وكان هناك عامل آخر يعوق تقدم زيادة انتاج جماعة التعاون ، وهو نظام دفع الأجور عن العمل الذى يقوم به الاعضاء فى أراضى غيرهم ، فضلا عن أراضيهم• فاذا ما وضع حد أدنى للأجور وأصبحت لا تعوضهم عن عملهم ، فقد الاعضاء حماسهم فى العمل ، ولم يجدوا

فى أنفسهم حافزا يدفعهم الى بذل مجهودهم فيه ، والاقبال عليه بنفس راضية •

ومن جهة أخرى ، اذا رفع حد الأجر ، مال ملاك الاراضى ، لتوفير نقودهم ، وترك العمل معطلا •

وقد اقترح بعض أعضاء فرقة التعاون ، ايجاد فترات متقاربة للمدد الزراعية ، فرفض أفراد فرقة « وانج » التعاونية اتباع هذه السياسة الجديدة ، لانها تحتاج عمالا أكثر ، وتبعا لذلك يتطلب الأمر أجورا أكثر •

وقد واجهت « فرقة وانج التعاونية » مشكلة أخرى ، وهى أن معظم أراضى الاعضاء كانت تقع فى التل ، ولذا كانت ضعيفة التربة، وتحتاج الى كثير من المخصبات • وبما أن التل كان يبعد عن القرية بأكثر من ميل فان عليهم أن يتكبدوا مشقة نقل مقدار من الطمى ، والحشائش ، الى فوق التل ، مما سيكلف الأعضاء نفقات كثيرة •

ورغم هذه المتاعب فقد دلت ثلاث سنوات من التجارب فى العمل التعاونى ، انه احدى وأنفع من العمل الفردى •

ولكى تتغلب جماعة « وانج » التعاونية على هذه المتاعب ، قامت بتنظيم نفسها على أساس أن تصبح « جمعية زراعية ، انتاجية ، تعاونية » وأعلن ذلك فى الثالث من يناير سنة ١٩٥٤ •

وبدأوا فى انتخاب لجنة ادارية من بين الاعضاء ، وأصبح «وانج» أول رئيس لها • وساهم جميع الاعضاء بأراضيهم ، ورسمت خطة موحدة للاشراف على جميع الأراضى ، وأصبحت جميع المواشى والأدوات ملكا للجميع •

وقامت الجمعية المذكورة بزراعة مساحات كبيرة من الارز ، وقدم كل عضو وصفا مفصلا لطبيعة أرضه ، كما قدم تقريرا بما يحتاجه من البطاطا ، والقلقاس ، والفول ، والباذلاء ، والمحاصيل الاخرى ، وعما ينتظر من نجاح لنوع معين من المحاصيل فى تربة معينة ٠وبذا توفرت الخضروات لدى مختلف العائلات ، كل بحسب حاجتها منها ٠

وبتوحيد الادارة المشرفة على الجمعية التعاونية ، انجز جزء كبير من العمل فى أقصر وقت ، وازدادت وفرة الانتـاج الزراعى ، عما كانت عليه قبلا ٠ اذ كان المتبع قبلا أن تدرس المحاصيل فى حقول مختلفة ، على دفعات متتالية ، وقد يستخدم فيها نحو عشرون رجلا يعملون فى عشر جهات متفرقة ، أما الآن فقد أصبحت جميع الاراضى تحت ادارة موحدة ، وأصبح نفس العمل يتم بمجهود خمس رجال فقط فى يوم واحد على الأكثر ٠

وقد خصص لكل نوع من العمل ، رجل واحد يشرف عليـه ، ويصبح مسئولا عنه ٠ مثل مراقبة العمال ، أو مراقبة المياه فى حقول الأرز الشعير ٠ كما أنهم خصصوا مشرفين للانتاج الحيوانى ، مثل تربية الخنازير ٠ وبذا اطمأن الجميع على حقولهم ولم يساورهم قلق من ناحيتها ٠

وقد أصبح لدى جماعة « وانج هان كو » قوة عملية مكونة من تسع وثلاثين شخصا منذ أن توفرت الكفاءة لديهم، وخصص ستوعشرون منهم للقيام بجميع الاعمال فى الحقـول ، وأما الأحد عشر شـخصا الباقين ، فأصبح فى وسعهم أن يخصصوا انفسهم للقيام بانتـاج الحيوان ، الذى زاد كثيرا من دخل الاتحاد ٠

كما أنشأوا لانفسهم طاحونة لها حجران كبيران ملحق بها منخلين

ميكانيكيين • وحررت بينهم وبين المنتجين الزراعيين واتحاد التجار والمتسوقين عقودا لطحن الغلال ، وتوريدها دقيقا لهم ، فى نظير حصولهم على نفاية الدقيق واستخدامها علفا للخنازير ، التى أنشأوا لها حظيرة بالقرب من المطحن ، والتى أصبحت تضم ٣٩ خنزيرا صغيرا فى شهر يونية من نفس السنة •

وحينما حل الربيع كان قد مضى على تأسيس الجمعية التعاونية ما يقرب من سنتين ، وقدرت الزيادة بنسبة ٢٥ ٠/٠ فى المنزرع من الأرز فى الفدان الواحد ، وتحسنت التربة باضافة الطمى والمخصبات الزراعية ، التى حملت اليها على مراحل •

وقد صار ثراء جماعة «وانج» التعاونية مضرب الأمثال، وأصبحت مثلا يحتذيه باقى الفلاحين •

١٩ — شبكة من المواصلات

فى هذا الكون الفسيح ، كان التفكك والفقر يسودان العالم فى الماضى ، بسبب رداءة المواصلات ، فقد كانت السكك الحديدية لاتوجد الا قرب الشواطىء ، أو حيث توجد المناطق الاستعمارية أو قربها .

وكان الغرض من ذلك، يهدف الى استغلال حاصلات بعض الشعوب المستعمرة ، كما تسهل فى الوقت نفسه تصريف بضائع الدول الاجنبية المستعمرة . ولم تكن هناك روابط اقتصادية بين بعض البلاد والبعض الآخر . فلما صادفت الصين المجاعة فى الماضى ، وقفت الحكومة مكتوفة الأيدى ، اذ لم تتوفر لديها وسائل احضار قوت للشعب الجائع المسكين ، لان مجرد احضار بعضه من مقاطعة الى أخرى فى سفن ، كان يكلف أكثر مما لو أحضر من الخارج ، لقلة حمولة السفن . واذا ما أريد استيراد ما يلزم بطريق البر فى داخل البلاد ، وقفت مشكلة الطرق غير الممهدة عقبة فى سبيل الاتصال .

أما الآن فقد أصبح من الميسور ، ان نصل الى « لاهاسا » فى التبت بالطائرة ، مما كان يظن استحالته فى الماضى . وذلك على ارتفاع ١٤٫٠٠٠ قدم . كما أصبح فى الامكان ان نذهب اليها برا فى طريق معبد يبلغ طوله ١٤٠٠ قدم ، مما كان متعذرا فى الماضى . ونأمل ان نوفق فى الوصول اليها بالقطار فى القريب العاجل .

ولكى تذلل الصين سبل اتصالها بالعالم الخارجى ، رسمت لنفسها سياسة مد شبكة من المواصلات الحديدية ، وأخذت تتوسع فى انشاء

الطرق البرية ، حتى يسهل اتصال جميع أجزاء الصين ببعضها فى الداخل • كما قامت بانشاء طرق ملاحية منظمة ، وكثير من الموانى ، مما سيكون له أطيب الأثر فى تحسن موقعها ، وتيسير لجميع سكان العالم فى ارتياد البلاد •

ولا يخفى ما لذلك من أثر واضح فى سهولة بناء مصانع فى الجنوب الغربى للصين ، وذلك لعدم صعوبة الحصول على الصلب اللازم لها من الشمال الشرقى •

أما فى الشتاء حيث تتجمد المياه فى ميناء « بيكين » فقد أصبح فى وسع كل فرد ان يشترى ما يلزمه من فاكهة طازجة من «كانتون» أو جزيرة « هينان » الاستوائية بثمن بخس •

٢٠ — معبد ومسجد وكنيسة

يبلغ تعداد السكان فى الصين حوالى مائة مليون بوذى ، وعشرة ملايين مسلم ، وثلاثة ملايين مسيحيين كاثوليكيين ، وسبعمائة الف مسيحى بروتستانتى ، وعشرون الفا « تاوستى » و « راجا » بوذيين . ويعتبر المسلمون هناك أقلية .

وينص الدستور على حرية الديانة ، لجميع أفراد الشعب ، كل يعتنق ما يشاء منها ، حسب عقيدته . وقد شرحت « لى واى هان » عضو اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى ، سياسة الحزب فى هذه الناحية ، باعتباره المهيمن على شئون البلاد .

حيث قالت لى : ان سياسة حزبنا الاشتراكى حيال الديانة ، ان الناس جميعا أحرارا فى أن يعتنقوا أى دين يشاءون ، أو لايعتنقوا دينا ما . فلهم جميعا مطلق الحرية فى اتباع أى شريعة تروق لهم ، كما أنهم أحرارا فى أن يؤمنوا الآن ، أو لايؤمنوا ، او يؤمنوا فى المستقبل أو لايؤمنوا بأى دين . ولكن مادام فى بلادنا أفراد من الشعب يؤمنون بدين ما ، فلهم احترامنا لدينهم ، وعلينا أن نكفل لهم الحرية فى ذلك ، ونحمى لهم معتقداتهم التى يؤمنون بها ويقدسونها .

وفضلا عن ذلك فالاشتراكيون أنفسهم ، طبيعيون ، لايؤمنون بشىء ، ولكنهم يفهمون التاريخ ، ويعرفون نشأة الديانات ، وسر بقائها ، ولماذا تظل راسخة فى الاذهان ، ولكن بقاءها أو زوالها لايتعلق بتشريعات ادارية .

وعلى ذلك فهم يحترمون حرية الضمير فقط فى المواضيع الدينية لجميع المواطنين • ومن جهة أخرى ، فان الحكومة نفسها ، قد تقدمت فى الابقاء على مختلف الديانات الثقافية ، وفقا لميراثها الثقافى • فقد بذلت حكومة الجمهورية الكثير من المال فى صيانة المعابد والتكايا ، والأديرة ، ذات القيمة التاريخية ، أو الاهمية المعمارية ، حيث جددت على نطاق واسع •

وقد طبع كثير من الفنانين المعاصرين نماذج لعدد من الصور التاريخية ، لعرضها فى المعارض الكبيرة التى تقام عادة فى المدن الرئيسية • وتشمل هذه الصور نماذج من نقوش جدران كهوف « بنهوانج » فى غرب مقاطعة « كانسوا » •• وقد جذبت أنظار جمهور كبير من الزوار ، الذين لم يسبق لهم فى حياتهم أن أتيحت لهم مثل هذه الفرص لمشاهدتها •

٢١ — كيف يعيش المسلمون فى الصين اليوم

يبلغ تعداد المسلمين في الصين ، عشرة ملايين ، وكثيرا ما تعرض هذا العدد الكثير من المواطنين الصينيين فى الماضى ، لمختلف أنواع العسف ، وكانوا نهبا للتحكم والسيطرة ، واضطهاد الحكومات المختلفة البائدة ، مما جعلهم يعيشون في مؤخرة الصفوف .

ولما تطور الزمن ، وخطت الصين نحو الحرية ، وأصدرت قانون الحريات ، نص هذا القانون ، الذى أصدرته جمهورية الصين الشعبية ، على أن جميع الحريات مكفولة ، ومن بينها حرية الأديان . وبما أن المسلمين تتألف منهم أقلية الشعب الصينى ، كان من الضرورى ، ألا يسمح بحرية الأديان فقط ، بل وأصبح من حق كل فئة أن تعمل على تحسين لغتها ، والنهوض بلهجاتها ، وفقا لما جاء فى نصوص البرنامج العام . كما أن لها جميعها مطلق الحرية فىاصلاح تقاليدها ، وعوائدها ، ومعتقداتها الدينية حسبما يتراءى لها ، وفقا لرغبات جاليتها .

وقد اتبعت هذه الخطة ، جميع الحكومات الاقليمية ، فضلا عن الحكومة الرئيسية . أما فيما يختص بالديانة الاسلامية ، فتتساوى جميع المساجد ، مع جميع أمكنة العبادة الاخرى . كما تعفى من ضرائب الحكومة المباشرة . هذا الى جوار ماقامت به الحكومة من الانفاق على اصلاح جميع المساجد الأثرية ، التى لها قيمة تاريخية . وفى السادس من ديسمبر سنة ١٩٥٠ أصدرت حكومة الشعب المركزية أمرا خاصا باعفاء ما يذبحه المسلمون من أغنام ، وأبقار ، فى المناسبات الدينية ،

مثل الاحتفال بالمولد النبوى ، وعيد الفطر ، وعيد الأضحى ، من الضرائب مساهمة منها مع المسلمين فى أفراحهم ٠

وتقوم الجمعيات التعاونية التجارية ، خلال هذه الاحتفالات بتقديم منح خصم خاص على مبيعاتها فى هذه المناسبات ، من لحوم الابقار ، والضأن ، والأرز ، والشاى ، والاقمشة ، والدقيق ٠

وفضلا عن ذلك ، فقد حرمت الحكومة ، على أى من موظفى المزارع العامة ، من المسلمين ، الاشتغال فى مثل هذه المناسبات ، حيث يجب أن يمنحوا اجازة رسمية خلالها ٠ كما تقام فى « بيكين » ، وفى أمكنة أخرى متفرقة ، فى أنحاء الصين ، احتفالات عامة دينية اسلامية ، بهذه المناسبات ، تشرف عليها الحكومة ، ويشترك فيها ممثلون من مختلف الهيئات ٠ كما تعد ولائم خاصة ، حيث تصف منــاضد تزخر بأنواع الطعام والمرطبات ، مما تبيحه الديانة الاسلامية ٠ ويكثر اعداد هذه الولائم فى محطات السكك الحديدية ، بانتظام فى هــذه المناســبات الدينية ٠

وفى سنة ١٩٥٢ ، أدى فريضة الحج ، عدد من المسلمين فى الصين ، ومع أنهم ، تعذر عليهم أن يقطعوا المســافة الطويلة من موطنهم فى الصين الى مكة ، لعوائق خاصة خارجية ، فقــد تقابلوا مع الحجــاج الآخرين ، الذين وفدوا الى ســنغافورة ، والباكســتان ، حيث مكثوا بعض الوقت مع اخوانهم فى الدين ، ممــا أثبت أن مسلمو الصــين ، لا تتوفر لهم الحرية الدينية فقط ، بل ولهم مطلق الحرية ، فى الاتصال باخوانهم المسلمين فى جميع أنحاء العالم ٠

وقد قام عدد من المندوبين المسلمين ، الذين اشتركوا فى « مؤتمرات السلام الأسيوية » ، و « مناطق الباســيفيكى » بزيارة المســاجد فى

« بيكين » ، و « تيان سين » ، و « شنغهاى » ، و « هانجشاد » ، و « واسب » ، وأدوا فرائض الشعائر الدينية فى بعضها • وقد أتاحت لهم هذه الفرصة ، مشاهدة مدى ما يتمتع به المسلمون الصينيون من الحرية الدينية •

ولقد صار عهد الجمهورية للصين الشعبية ، بعصر خير وبركة للمسلمين فى الصين ، يعيشون فى أمن وسلام ، ورخاء • ولا عجب فى أن الفرق واضح لهم ، لما كانوا يقاسون فى الماضى من آلام لاتزال ذكراها عالقة بأذهانهم • فلقد ظل المسلمون فى الصين عدة قرون ، كما كانوا لعهد قريب « فى عهد نصف الاقطاع » ، والاحتلال المقنع ، أى خلال حكم « الكومنتاج » عرضة لاقسى أنواع الاضطهاد الدينى ، الى حد أنه كان محرما عليهم أداء فروضهم الدينية ، وكثيرا ماكانت المساجد تتخذ مأوى للجنود المرتزقة ، الذين كانوا لايرعون لها حرمة ، ولا يحترمون الشعائر الدينية ، والتقاليد الاسلامية •

فكثيرا ما كانوا يشربون الخمر علنا ، ويقامرون ، ويغنون أغانى مبتذلة ، ويأكلون لحم الخنزير ، داخل المساجد نفسها • بل ان منهم من كان يرغم شيوخ الاسلام من أئمة تلك المساجد ، على تناول تلك المحرمات ، امعانا فى السخرية بهم •

هذا فضلا عما قامت به حكومة « الكومنتاج » من هدم المساجد ، التى كانت تقع خارج « شيوشين » ، و « بيكين » و « موشياشونجتسى » و « تيامستين » •

ولا ينسى المسلمون فى الصين ، ما قاسوه من فقر مدقع فى عصر « الكومنتاج » ، اذ كان لايتسنى لاى فرد من الجالية الاسلامية أن يذبح قربانا لله ، كبقرة ، أو خروف ، لضيق ذات يده ، مخالفين فى ذلك

قواعد الدين الحنيف ، حتى أنهم أسموا عيد الفطر « عيد الدموع » ، و « عيد الاضحى » ، أطلقوا عليه « عيد الذل » .

وكم من دماء المسلمين ، أراقها « الكومنتاج » ، حتى جرت أنهارا ، فقد حدث فى سنة ١٩١١ ، فى عهد « الكومنتاج » أن أزهق « حاكم سنتياج » أرواح ما يزيد على مائة الف شاب صينى من الثوار المسلمين فى تلك المقاطعة من أبناء وبنات المسلمين .

وفى سنة ١٩٢٨ حدث أن قام أهالى « هوى » فى « مشوا » ، وهى المعروفة الآن باسم مقاطعة « ليمشيا » ومقاطعة « كانسوا » بثورة مسلحة ضد فساد حكام « شيانج كاى تشيك » وعصابته . وقد ذهب ضحية هذا الجهاد المسلح العادل ، ما يربو على عشرة آلاف مسلم من مقاطعة « هوى » اذ قتلوا فى مذابح بشرية بشعة ، فضلا عن احراق منازلهم ، وعاث الطغاة فى المدينة فسادا ، بعد تدميرها ، وأهلكوا الحرث والنسل . وكان من أسعده الحظ منهم بالبقاء حيا من أهالى « هوى » عاش ليقاسى مرارة الحرمان ، والاسى ، مشردا ، يلتحف السماء ، ويفترش الغبراء ، ويبيت على الطوى ، وقد هلك معظمهم جوعا .

وحينما قام المسلمون يطالبون بحقهم فى الحياة بثورة فيما بين سنة ١٩٣٠ ، ـــ ١٩٤١ ، ذبح آلاف منهم ، فى مقاطعتى « هيوان » ، و « كيوان » ، و « كوزان » ، وان هذا لشيء مؤسف حقا ، يدعو الى الرثاء . اذ أن من كانوا يقومون بهذه المذابح البشرية البشعة ، وقد تجردت نفوسهم من أبسط أنواع الانسانية ، ويشنون الحرب على المسلمين فى « هوى » كانوا أنفسهم من أصل « هوى » .. ولكن هو « الكومنتاج » وأعوانه الذى أفسد ضمائرهم ، فحرضوهم على الغدر ببنى جنسهم ، وأغروهم بالمال ، فأعماهم عن المثل العليا ، فأقبلوا

بوحشية على قتل اخوان لهم فى « هوى » ، و «تاتسيانج» • وما أفظع ما اقترفت أيديهم ، وقد خضبتها الدماء ، وويل للانســـان من أخيـــه الانسان •

وعلى النقيض ممـــا قاساه المســـلمون فى المـــاضى ، وما عانوه من حرمان ، ولاقوه من اضطهاد ، وعدم اطمئنـــان على حيـــاتهم ، بل ولم يتمتعوا بأبسط حقوقهم • عوضهم عهد تحرر البلاد ، عهد الجمهورية الكثير مما فقدوا • فأبدل قلقهم أمنا ، وظلمهم عدلا ، وفقرهم رخاء ، وحرمانهم عطاء • فاذا بالمسلمين فى الصين اليوم ، يرفلون فى حلل من الســعادة ، ويغـــدون فى بحبوحة من الرخاء ، وانتعشت أحوالهم الاقتصادية ، والثقافية •

وأتيحت الفرصة لعدد كبير من عامة المسلمين ، أن يشتركوا أعضاء فى أول مؤتمر سياسى وطنى عقد فى البلاد ، وهو المؤتمر الذى تمخض عن اعلان جمهورية الصين الشعبية ، التىحددت البرنامج العام لمشروع السنوات الخمس ، ثم اشتركوا بعـــد ذلك فى أول مجلس للامة ، اذ صار منهم نوابا عن الشعب •

هذا فضلا عن اشتراك عدد كبير من المسلمين فى المجالس الاقليمية ، وأصبح منهم عدد لايستهان به يشغلون مناصب هامة فى الدولة • فى الحكومات الاقليمية ، والحكومة المركزية ، ومنهم من أصبح يساهم فى الخدمات العامة للدولة ، وبذا أصـــبحوا يتمتعون بكافة حقـــوقهم كمواطنين

ومن حق المســـلمين فى الجيش الصـــينى اليوم ، أن يرقوا الى أعلا الرتب ، واتخذت من أجل ذلك التدابير اللازمة لصرف الاغذية المناسبة لهم ، مما ليس محرما دينيا ، كما اتخذت التسهيلات التى تمكنهم من اقامة شعائرهم الدينية •

وفضلا عن احترام عقائد المسلمين الدينية ، وكامل تمتعهم بها ، فانهم يتمتعون كذلك بالحكم الذاتي في مقاطعاتهم ، في جميع أنحاء الصين • فقد أصبحت حكومات مستقلة ذاتيا في المقاطعات الاسلامية • وبما أن للمسلمين الصينيين لغة خاصة بهم ، فيتحتم على المحاكم استخدامها في اجراء بعض المحاكمات ، التي تتعلق بأفراد جاليتهم ، كما تستخدم كذلك في المصالح الحكومية ، تسهيلا لسبل الحياة عليهم •

وبما أن « سنكيانج » موطن لكثير من المسلمين ، خاصة في مقاطعة « يوهور » ، لذا نجد العملة في البنك الوطني تحمل اسم « يوهور » ، ومع أن هذه العملة ، ليست الا عملة محلية ، ولكنها معترف بها في جميع أنحاء الصين •

وكما هو الحال في جميع بلاد العالم من أن معظم المواطنين المسلمين من المشتغلين بالزراعة ، فاننا نجد كذلك أن معظمهم في الصين من الفلاحين • ولذا فقد استفاذ معظمهم من قانون الاصلاح الزراعي ، في المناطق التي نفذ فيها •

أما من كانوا يعتمدون منهم ، في حياتهم على الرعي ، فقد أفادوا كثيرا من سياسة الجمهورية حيال التجارة • فقد كان على من يريد منهم الحصول على ثوب من القطن ، أن يدفع ثمن أربعمائة واثنين وأربعين رطلا من الصوف ، في مدينة « أودنشي » ، عاصمة سنكيانج • أما الآن ، فقد أصبح في وسع الفلاح أن يتحصل على نفس الثوب ، نظير دفع ثمن سبع وأربعين رطلا من الصوف فقط • ونتيجة لكل ذلك ، أصبح في مقدور كل مسلم في « أورنشي » أن يذبح قربانا لله كبشا سمينا ، في عيد الأضحى ، وعيد الفطر ، فداء لنفسه ، وفقا لتعاليم القرآن •

وتعتمد الزراعة فى الصين فى جهات كثيرة على ميـاه الرى ، ولذا قامت الحكومة ، بتنفيذ كثير من المشروعات ، التى تكفل ذلك ، وأنشأت كثيرا من القناطر والسدود • ونتيجة لذلك أمكن « تسنتيانج » ، أن تزيد من مساحة أراضيها الزراعية ، بمقدار ٢٤ فى المائة فى سـنة ١٩٥٢ ، عما كانت عليه فى سنة ١٩٤٩ ، وزاد محصول القطن الى ٢٩ فى المـائة عما كان عليه •

وكذا بلغت الزيادة فى مجموع المحاصيل الأخرى ٣٤ فى المـائة •

وقامت وحدات الجيش الصينى المرابطة فى « سنكيانج » بمساعدة الأهالى ، فى تنفيذ خمسة عشر مشروعا للرى ، منها ثمانيـة ، أدخلت حديثا ، وفى نفس الوقت ، قام الفلاحون أنفسهم ، بحفر شـبكة من القنوات ، وشق كثير من الترع ، مما زاد فى مساحة الاراضى المنزرعة الى ١٩٠ الف فدان •

أما فى ميدان الثقافة ، فقـد قامت حكومة الشعب ، بمنح الجـالية الاسلامية أراض كثيرة ، لاقامة مدارس خاصة بها عليها • ففى مقاطعة « شانتونج » ، حيث تعيش جالية اسلامية كبيرة ، توجـد على الاقل ، مدرسة ابتدائيـة فى كل قرية ، كما أسست فى « بيكين » جامعـة اسلامية كبيرة ، تضم أكثر من ألف طالب • وزاد عـدد المدارس فى « تنجوشيا » من أربعة عشر الى اثنين وعشرين • وقد زاد عدد الطلبة فيها من ١٫٢٠٨ الى ٨٫٨٦٣ • كما توجد كليـات لجميع الجنسـيات ، حيث يتلقى الطلبة مختلف أنواع التعليم العالى •

هذا فوق ما يوجد فى نفس المقاطعة ، من مدارس متوسطة ، يبلغ عددها ثلاثين ، وبها أكثر من ٣٫٥٠٠ مسلم ، وأكثر من ٢٥٩٫٠٠٠ مسلم فى ١٫٩٥٠ مدرسة أبتدائية يتلقى فيها هؤلاء التلاميذ الدروس بلغتهم • فمثلا توجد سبعة عشر مدرسة ابتدائية ، ومتوسـطة ، فى

مقاطعة « أنشان » يتعلم فيها التلاميذ بلغة « الكازاك » . ويوجـد فى « سنكيانج » ثمانى جرائد يومية ، وثلاث مجلات تطبع بلغة « اليونور » وخمس جرائد تطبع بلغة « الكازا » .

وهكذا نرى أن المسلمين ، يسيرون جنبا الى جنب مع الجنسـيات الاخرى ، فى ميدان الثقافة ، وتحسن أحوالهم الاقتصادية ، والاندماج فى النهضة العلمية ، التى عمت كل نواحى الصين ، والتخلص من آثار المـاضى البغيض .

٢٢ — زراع العهد الجديد

فى « هوبى » حيث يوجد اتحاد المنتجين الزراعيين ، المعروف باسم « الشعلة » كان محصول القمح يزيد بمعدل النصف فى سنة ١٩٥٦ عما كان عليه فى الماضى • ولقد كان هذا الاتحاد قبل ذلك ، يسير على نظام نصف اشتراكى ، فقد كان العمال يتناولون أجورهم ، ويحصلون فوق ذلك ، على جزء من الربح ، من ايردا غلة الارض ، يقسم بينهم •

أما الآن فقد اتبع النظام الاشتراكى ، اذ أصبحت الارض والآلات ملكا للجميع • ثم يحصل كل شخص على دخل يقدر بحسب ما قام به من عمل • ولذا أفاد الفلاحون كثيرا من هذا النظام ، لأن اتباع أحدث الأساليب فى الزراعة ، وأدق الانظمة ، وفقا للنظام الاشتراكى التعاونى ، كان له أثر عظيم فى وفرة المحاصيل ، مع شعور الفلاحين بامتلاك كل منهم للأرض التى يزرعها • ولذا أقبلوا على العمل بنفس راضية ، وبذلوا قصارى جهدهم ، فى القيام بعملهم • ولكن هناك سؤال لايزال يتردد فى العهد الجديد ، اذ ما نصيب كل فرد ، وكل عائلة من فائدة من النظام الاشتراكى التعاونى ؟ •• وللاجابة على ذلك ، ننظر الى أول سنة ، عم فيها هذا النظام • فنرى أن حزب « الشعلة ، كان يضم أكثر من ٦٠ فى المائة من سكان الريف ، وعلى ذلك يكون نصف العمال فى المزارع يعملون فى نظام نصف اشتراكى ، ولا بد لهم من تحديد موقفهم بالنسبة للاشتراكية • فوقفوا لها بالمرصاد ليروا ما سيتخذ زملاؤهم الآخرون من خطوات نحوها • فاذا وجدوا أنهم أفادوا منها شيئا وكانت فى صالحهم ، حذوا حذوهم ، والا كانوا حربا عليها •

وكان على الاشتراكية ، أن تعمل جاهدة لتدمج النظام الفردى فى نظام تعاونى ، وتجعله نظاما واحدا يعم سكان الريف ، ويصبح نظاما اشتراكيا تعاونيا ٠

وتعتبر هذه أدق مرحلة كان على الاشتراكية أن تجتازها ، وعليها يتوقف نجاحها ، خصوصا وهى فى بداية الطريق ٠ فاذا ما نجحت فى ذلك ، ودعمتها على أساس متين ، نافذ المفعول توفرت لها أرباح كثيرة، تمكنها من مواجهة المستقبل ، وزادت من حصيلة الدخل العام ، الذى كان لايزال صغيرا ٠

ولقد كان اتحاد « الشعلة » أحد الاتحادات الكثيرة ، التى واجهت هذه المشاكل ، فقد كانت الادارة المنتخبة للاشراف على ادارته ، تهدف الى توزيع الارباح على الاعضاء ، على أساس جعل الحد الاقصى للربح يوزع بنسبة جودة المحصول ٠ ولكن نظر جميع الاعضاء المنضمين للاتحاد ، الى هذا الرأى بوجهة نظر أخرى ، اذا اعتبروا أن بتنفيذ هذا الرأى ، يحصل واحد من كل أربعة أفراد ، على قدر ما حصل عليه فى سنة ١٩٥٦ ، والذى كان فى جملته أعلا دخل من السنوات السابقة ٠ بينما قد لايحصل الباقون على ربح يذكر ، رغم جودة المحصول ، فضلا عن حصول أقلية منهم على نصيب أقل ٠ ولا جدال فى أن الاتحاد سيخلق بهذا مشكلة يصعب عليه حلها فى المستقبل ٠ اذ سوف لايكون لجودة المحصول ، أو وفرة الانتاج ، أثر يذكر فى تحسن أحوال الفلاحين ، الذين سوف لايفيدون شيئا من هذا ٠ لأن مثلهم سيكون كمثل من يرى كعكة مرسومة على حائط ، ينظر اليها ولا يستطيع تناولها ، لانها ليست الا مجرد رسم لايؤكل ٠

وفى النهاية وضع حل لهذه المشكلة ، على أساس أقره الجميع ٠ فعلى أساس المبدأ الاشتراكى ، قام الاتحاد التعاونى ، بعقد اجتماع للبحث فى نظام توزيع الدخل العام ، ومراجعته وفقا لعدد الاعضاء ٠

كما خفضت قيمة الاستقطاعات التى تخصم للمساهمة فى الاعمال الخيرية ، ومصاريف الادارة • فضلا عن العمل على الاقتصاد فى النفقات ، والاقتصار على الضرورى فقط • وبدلا من حجز جزء من الغلة ، والشيلم ، لاطعام الخنازير ، أستعيض عنه بأوراق الاشجار ، وبذور القطن ، وبهذا أمكن التوسع ، فى تربية الخنازير ، وبذا أمكن الحصول على مقدار أكثر من الاسمدة ، كانت سببا فى وفر ملموس فى شراء المخصبات •

وباتباع هذه الخطة الجديدة ، والسير على هذا الأساس ، حصل كل واحد من بين ثلاثة أفراد من الأعضاء ، فى الاتحادات البالغ عددها المائة والأربعة على دخل أكثر مما حصل عليه من محصول العام الماضى ، بينما حصل ٦٠ فى المائة حقيقة على الضعف أو أكثر •

ولذا ، بينما كان من الصعب عليك الحصول على الكعكة لتأكلها ، أصبح ذلك ميسورا ، ووضح للناس قيمة النظام الاشتراكى ، وفائدة الديموقراطية ، فى بناء مجتمع سليم ، وما تتيحه من حياة أسعد •

وأصبحت المشكلة التى تواجه اتحاد « الشعلة » مشكلة عامة • جعلت لجنة المركز الرئيسى للاتحاد الاشتراكى الصينى ، تركز جهودها لحلها • اذ يجب أن يزيد المحصول التعاونى ، لمواجهة مطالب ثلاث • اذ أن من الضرورى ، أن يخصص جزء من المحاصيل الزراعية ، لسد ضرائب الزراعة ، التى تخصص لاطعام سكان المدن ، وبناء مصانع تمد الفلاح بالآلات الزراعية والجرارات ، والبضائع الاستهلاكية الأخرى • وجزء يجب أن يخصص لمواجهة تكاليف الانتاج ، والانفاق على الصالح العام ، وتدعيم النظام التعاونى نفسه ، والباقى يدفع للاعضاء نظير عملهم • وهذا الجزء الأخير ، يبلغ حوالى ٦٠ فى المائة أو ٧٠ فى المائة من مجموع الايراد ، كما قررته اللجنة المركزية • وقد

بذل كل مجهود ، كي يزداد دخل حوالى تسعة أعشار الفلاحين في سنة ١٩٥٦ عنه في سنة ١٩٥٥ ٠

هذا جزء من النظام الاشتراكي الكبير ، الذي يبين مدى العناية ، التي تبذلها ، حكومة الشعب في الصين ، لتحسين حال الأفراد ، كما تعمل الحكومة على تعميم مثل هذا النظام بين طبقات العمال الصناعيين ، بزيادة أجورهم ، وتركيز الجهود لتحسين الأحوال المعيشية لهم ٠

ولقد تخلل الأسس التي وضع عليها النظام الاشتراكي في الصين بعض الانحرافات ، في بداية الموجة الاشتراكية الكبيرة التي اجتاحت ريف الصين في النصف الأخير من سنة ١٩٥٥ ، اذ حينما تحقق الفلاحون من فائدة النظام الاشتراكي ، وأثره في وفرة المحصول في المزارع التعاونية الكبيرة ، قاموا من جانبهم بانشاء جماعات اتحادية ٠ وفي ذلك الوقت قامت بعض اللجان الادارية ، خصوصا ما كان منها تابعا للوحدات الكبيرة ، باظهار مدى نشاطها ، وما أحرزته من تقدم ، لتجذب اليها أنظار الشعب ٠ وفي سبيل ذلك ، قامت بانشاء ادارات ، ونوادي متعددة ، كما قام بعضها باعداد صالات كبيرة للاجتماع ، تتسع الواحدة منها لاكثر من ألفي شخص ٠ كما اشترت بعض الوحدات سيارات نقل كبيرة ، لتحل محل العربات التي تجرها الجياد ، التي كانت لاتزال تستخدم ، وقد عبر كثير من الأعضاء عن هذه الأعمال ، بأنها مغامرات لا داعي لها ٠ اذ بدا لهم أن مثلهم في ذلك مثل من يصرف ثمن بيض يحصل عليه قبل أن يبيضه الدجاج ٠ وقد احتجوا على ذلك ، فضلا عن أثره في قلة اقبال الفلاحين على العمل في الوحدات الزراعية ، بحماس ، اذ ظنوا أنهم يشقون فقط في سبيل المظاهر الكاذبة ، وأن مايجمعونه من مال بعرق جبينهم ، يبذره المشرفون على الاتحادات في أوجه لا داعي لها ٠

وازاء ذلك ، اضطرت اللجنة المركزية للاتحاد الزراعى ، للحزب الاشتراكى ، بالتعاون مع الحكومة ، الى اصدار قرارات توضح بها ماظنه الفلاحون أخطاء ، ولتصحح لهم وجهة نظرهم اليها فى الثالث من شهر أبريل سنة ١٩٥٦ ·

وفى نفس الوقت ، أرسل مندوبون الى جميع أنحاء الريف ، لافهامهم الأوضاع على حقيقتها ، واقناعهم بصواب وجهة نظر الاتحاد · وقد أشاروا بعدم التوسع فى انشاء مؤسسات ، أو القيام بأعمال انشائية من شأنها أن تستنزف مبالغ كبيرة من المال ، فى السنتين الأوليتين من المشروع ، أو لمدة ثلاث سنوات منه ، الى أن يتجمع لدى الاتحاد رأس مال مناسب ، وحتى اذا ما اضطرت الاتحادات الى صرف مبالغ كبيرة ، يجب أن تكون للصرف على أوجه الاستغلال المناسبة ، التى تعود على أعضاء الاتحاد بفائدة تفوق قيمة ما صرف ، بعد حصوله على موافقة أغلبية الأعضاء · هذا ما أشار به المرشدون الزراعيون ·

كما أشاروا بوجوب صرف ما تحصل عليه الاتحادات من سلف من البنك الزراعى التعاونى فى مصلحة الزراع أنفسهم ، ولفائدتهم ، حتى يتحقق الغرض الذى من أجله سحب المبلغ · وحددت الأوجه التى تصرف فيها السلف الزراعية بأن تكون من أجل تحسين الانتاج ، أو للاستعانة بها فى جنى المحاصيل الزراعية ·

وهناك خطأ آخر ارتكبه الاتحاد ، وهو اهماله للطرق الانتاجية الأخرى ، المتعلقة بالزراعة · ففى سنة ١٩٥٥ مثلا ، كان حوالى الخمس من كل الانتاج الزراعى ، من دخل تربية الخنازير والدجاج ، وتربية دودة القز ، وجدل الخوص ، وصناعة الطوب ، والتطريز ، وغير ذلك · هذا بالاضافة الى أن حوالى عشرة فى المائة كان يحصل عليها من تربية الماشية فى المراعى الجبلية ·

ولقد ظنت اللجان المنعقدة فى الاتحادات فى بداية المشروع ، أن الواجب عليهم أن يهتموا فقط بالانتاج الزراعى فى الحقول ، وأهملوا الثروة الحيوانية ، لقلة خبرتهم فى هذا المضمار . فتركز اهتمامهم فى العمل فقط على وفرة المحاصيل الزراعيـة ، مثل الحبوب والقـطن . وحشدوا لهذا كل الجهود الانسانية ، والمصادر ، والكفايات ، للتفوق فى العمل الزراعى فى الحقل فقط ، واهملوا كلية الاهتـمام بالثروة الحيوانية ، وهى مصدر لا يستهان به فى تحسين الدخل ، هذا فضلا عن الاكثار من بذر البذور فى بعض المساحات ، أملا فى أن يدر عليهم ذلك أربعة أضعاف المحصول عن ذى قبل .

وباعتمادهم على هذا الاساس ، ركزوا جهودهم على أن يمضى العامل الزراعى كل وقته فى الحقـل ، حتى أصبح لا يجـد وقتا للاهتمام بتربية الحيوان ، أو العمل على تحسن انتاجه منه . وكان من نتيجة ذلك ان انخفض الانتاج فى بعض الوحدات الى نصف ما كان عليه فى الماضى ، فى الخنازير والدجاج . وقد أدى هذا الى تأخر البلاد فى الناحية الاقتصادية ، وسبب لها بعض المتاعب ، اذ كان لعدم الاهتمام بتربية الحيوان أثره السىء فى قلة الدخل .

ونتيجة لذلك أشار المرشدون الزراعيون الى وجوب الاهتمام بالثروة الحيوانية ، والعناية بتربية الحيوان والتوسع فى ذلك . لما فى ذلك من اتاحة الفرصة لذوى الدخل المحدود لزيادة دخلهم ، خصوصـا وأن عددا منهم من أعضاء الاتحادات فضـلوا ان ينفصلوا عنهـا ويعملوا بمفردهم ، لان منهم من كان يملك عربات نقل تجرها الجياد ، أو دواب الحمل الأخرى ، مستفيدين من تأجيرها للآخرين . والآن وقد باع هؤلاء الاعضاء دوابهم التى كانت تعتبر مصدر رزقهم ، فقد أصبحوا فى حاجة الى المعونة . كما كان هناك عدد من الفلاحين يعتمدون كلية على أراضيهم الزراعيـة الـكثيرة التى كانوا يملكونهـا ، فلما عمت

الاشتراكية فقدوا أرضهم • هذا فوق ما كانت تضـمه الاتحـادات الزراعية من أفراد تقدمت بهم السن ، فعجزوا عن العمل فى الحقل ، وهؤلاء كان لا يمكن الاستفادة بهم الا فى رعاية الماشية •

وان الفوائد الاجتماعية ، والفردية ، التى نجنيها من الاهتمام بهذه الناحية ، قد ظهر أثرها جليا فى الاتحادات التى اهتمت بها • وقد لمس الاتحاد التعاونى الزراعى فى الشمال الشرقى من مقاطعة «كيرين» فائدة اهتمامه بهذه النواحى ، بعد أن خصص ستة آلاف شخص لزراعة الغابات ، وتربية الماشية • وقد استغل الاتحاد التعاونى فى مقاطعة « تانجيان » موقع هذه المقاطعة بين عدد من الأنهار الصغيرة ومجارى المياه ، فى تربية السمك ، والبط ، وجعل المشرفين عليها من المقعدين من الناس • كما اختُص عجائز النساء بتربية الخنازير ، التى تعيش على ما ينمو من أعشاب مائية فى البرك والمستنقعات ، وزرع كل شبر من الأراضى القليلة الخصب ، بأنواع من القرع والبطاطا • وينتظر أن يدر هذا حوالى ٢٠ ٠/٠ من دخل مقاطعة « تانجين » فى سنة ١٩٥٦• وستقوم الاتحادات بزرع ضعف الاراضى التى كانت تزرع قبلا بالارز

وقد شعر المدربون من أفراد الشعب على جـدل الخوص ، وصنع الحصر ، والتطريز ، بالرخاء يعمهم ، اذ انهم شعروا أن وفرة الانتاج تزيد من دخلهم ، اذا ما ثابروا على ما يجيدونه •

أما فى الاتحادات الوطنيـة فى المقاطعات التى تجـاور الشواطىء الشمالية فى «كانتونج» فيحصل حوالى ٢٤٠ عضوا على دخل لايستهان به قد يبلغ حوالى ١٠ ٠/٠ من ايرادهم من الاعمال الزراعية الاضافية• ومن هذه الاعمال ، صنع الشعرية المجففة ، التى قد تجـد سـوقا رائجة ويقبل على شرائها كثير من الناس • وكثيرا ما يفاخر رئيس هذه الجمعية دائما بالقول لزائريه : ان جمعيتنا التعاونية ثرية ، ومستقلة

بمصانعها ، فعندنا الحدادون ، والنجارون ، ومعاصر الزيوت ،ومعملنا الخاص بانتاج الشعرية المجففة • وهذا خلافا لما كان عليه الحال فى الماضى ، اذ كان لا بد لمالك كل مزرعة أن يكون لديه معصرته الخاصة لعصر الزيت له ، ومعصرة أخرى لعصر العنب لصنع الخمور ، ولاشك أننا قد تقدمنا عليهم فى هذا السبيل •

ولقد دلتنا تجاربنا على أن هناك طريقة واحدة فى ادماج الافراد فى الجمعيات التعاونية وترغيبهم فى ذلك ، فانهم اذا ما حصلوا على فوائد ، كان لها أبلغ الأثر فى تقديرهم لها ، وحثا لغيرهم فى الانضمام لها • وهذا لا يتأتى الا عن طريق المناقشة العلنية الديموقراطية فى طريقة توزيع المحصول ، فاذا ما اشترك الاعضاء فى عمل الحساب الختامى ، وساهموا فى معرفة ايراد ومنصرف الاتحادات ، وقفوا بأنفسهم على حقيقة الأمر ، وشعروا بالعدل والمساواة ، فلا يفتعل فى نفوسهم الحقد ، ونشعرهم بذلك اننا نعمل من أجلهم لا من أجل أنفسنا نحن أعضاء الاتحاد • وتبعا لذلك تزداد صلتهم باتحاداتهم ، ويعملون هم بدورهم من أجلها •

٢٣ — آمال جديدة للمسيحيين

شكرا لله ، فقد أتيحت الفرصة للمسيحيين الصينيين للمساهمة مع اخوانهم المواطنين ، فى بناء مجد أمتهم · ففى الوقت الذى تعتبر فيه الكنيسة مكانا للعبادة ، ويحترمها الناس من أجـل ذلك ، رأت من واجبها ان تساير النهضة الحديثة فى البلاد ·

فلكى تؤدى الكنيسة رسالتها على الوجه الأكمل ، قام اتحادمدارس اللاهوت فى « نانكنج » باعداد قادة فى الخدمة المسيحية من الطلاب ، ليقوموا بالوعظ والارشاد فى الكنائس غير الرومانية · وتستغرق دراسة طلبة الدراسات العليا من خريجى الجامعات ثلاث سنوات ، أما من يقل مستواهم عن هؤلاء فانهم يتلقون دراسة لمدة أربع سنوات أو خمس ·

ويتألف معظم الطلاب ، الذين نعدهم ، من طلبة الريف ، وهم عدد كبير يبشر بمستقبل حسن للمسيحية ، لان غالبية سكان الريف منهم · ولم تكن الحال هكذا فى الماضى ، اذ كانت القرى فى حاجة الى المسيحيين المتعلمين ، ولذا كان هناك عدد قليل من الطلبة المسيحيين لاداء الخدمة الكنائسية ·

وهنا يجمل بى أن أتمهل قليلا لأحيى النهضة الحديثة للكنائس الصينية ، وما ينتظرها من مستقبل باهر ·

ففى خلال رحلتى فى الريف ، التى استغرقت ثلاث أسابيع ، فى

مقاطعة شيكنج ، لمست أثر هذه النهضة ٠ فقد زرت أحد عشر أبرشية وشهدت أماكن الرياضة الروحيـة تعج بكثيرين ممن كانوا يعـقدون مؤتمرات دينية ، فى أماكن متفرقة ٠ وقد كانت تضم أناسا من الخامسة عشر الى الواحدة والثمانين ٠ وبذا أصبحت أسقفية « سيكنج » اليوم ما يزيد على سبعين كنيسة ، يشرف عليها قساوسة متفرغون ٠

وقد لمست أن معظم هذه الكنائس قد استفادت من العهد الجديد ، عهد النور والحرية والسلام ، الذى أسست من أجله الكنائس وتدعو اليه المسيحية منذ القدم ٠

حقا لقد سعدت الكنيسة بنهاية عهد الظلم ، والقضاء على الأحقاد٠ فشكرا لله فقد تحققت رسالة الكنيسة٠ ولقد سعد معها سكان الريف، اذ حقق لهم قانون الاصلاح الزراعى ، والنظام التعاونى ، حياة هانئة هادئة سعيدة ، حببت الريف لسكانه ، وربطت بين قلوبهم برباط من الود والاخاء ٠ وهذا ما شاهدته فى كنيسة « سان جون » فى مدينة « كوين هول » الصغيرة ، اذ قد زاد عددهم فى تلك المدينة من ٢٠ الى ٦٠ فى السنوات الأخيرة ، اذ انضم اليها ما يقرب من مائتى شخص، بينما عمد ستون أخيرا ، ولكن لم يوثقوا ، فضلا عن خمسين آخرين اهتدوا للمسيحية ، ولكنهم فى بداية الطريق اليها ٠

ومن بين أعضاء كنيسة سان جون ، البالغ عددهم مائة وثمانية وعشرون عضوا ، كان ست وستون منهم يعملون فى الجمعيات التعاونية الزراعية ٠ وقد ساهموا بناء السدود ، ومشاريع الرى ، وتوفير سبله بمعاونة اثنين وأربعين آخرين من زملائهم ، الذين كانوا ينتمون الى فرق المساعدة ، وقد كان هذا سببا فى ارتفاع مستوى معيشتهم ، فى السنوات الأخيرة ، فقد كان محصول الخريف الماضى ، يبلغ حدا كبيرا من الأرز والقطن ٠

ولقد عاد ذلك على الكنيسة بالخير العميم ، اذ بلغت تبرعات الناس حدا كبيرا ، تخطت به كل الارقام القياسية السابقة • فأخذت الكنيسة فى توسيع فنائها ليتسع لأكبر عدد ممكن من الناس • كما اعادت طلاء حوائطها ، وصنعت ملابس كهنوتية جديدة للمرتلين • وقام رجال الابرشية بغرس حديقة فى قطعة من الأرض كانت مهملة تقع خلف الكنيسة ، وأعدوا بها مقاعد حجرية كى تكون مكانا مناسبا للراحة •

ولو أن الخدمة فى الكنائس الريفية التى زرتها لم تكن بالغة حد الكمال ، اذ لم تكن منتظمة ومتناسقة ، ومع ذلك فقد لمست ، أن ما شاهدته من اقامة الشعائر الدينية ، كان عظيما ، وكان التحمس باديا على وجوه رواد الكنائس ، اذ كان صادرا من قلوب صافية ، وكان القساوسة يقبلون على أداء خدمتهم الدينية بروح عالية ، فى الأبرشيات •

ولا يجهل أحد منا ، نحن المسيحيين ، ما كان ينتابنا فى الماضى ، رجالا ونساء ، من بؤس وشقاء شديدين ، ولكنا نرى الآن أن الروحانية قد تغلغلت فى النفوس ، فصفت القلوب ، وتدافع الشعب الذى شبع بعد جوع ، وروى بعد ظمأ ، الى الكنيسة ، يقفون فى ضراعة أمام الله ليقدموا اليه الشكر ، على ما حباهم به من نعمة ، وما أولاهم به من فضل •

وهناك حقيقة أخرى جديدة ، اذ ان أعضاء مجتمعنا الريفى ، لم يعودوا ينظرون الى الكنيسة نظرتهم اليها فى الماضى ، فبعد ان كانت مجرد ارسالية أجنبية ، تابعة للقساوسة فقط ، أصبحوا ينظرون اليها الآن على أنها كنيسة الله ، يتبع لها سائر أفراد الشعب • فما أعظم الفرق بين الأمس واليوم •

ولقد قال لى خادم الكنيسة فى احدى قرى الريف « تاتوان » شكرا لله ، فان الاجتماعات الدينية السنوية لم تعد تتألف ، من جفنة من الناس ، يصغون بلا اكتراث الى ما يسمعون ، ويوافقون مستسلمين على الانتخابات ، بل ازداد عدد المشتركين فى أداء الخدمة اليومية فى الكنيسة ، وأصبح كل فرد يحاول ان يبدى وجهة نظره . اذ أصبح الاجتماع السنوى يتألف من جماعات صغيرة ، تتيح الفرص لكل شخص ، فى أن يقول شيئا ، أو يبدى رأيا فى الحياة الكنسية . ولقد أتت هذه الاجتماعات بثمار طيبة كما قال لى قسيس الكنيسة ، اذ زاد عدد المندوبين المهتمين بالشؤون الدينية ، واحياء شعائرهم ، أكثر من ذى قبل .

هذه هى حقيقة الحياة المسيحية فى الريف فى الصين . وهذا يفسر لنا السبب فى زيادة عدد الشبان فى الكنائس الريفية ، وسر تفضيلهم الخدمة فى الكنيسة ، اذا ما بلغوا سن الرشد ، وسوف تثبت السنوات القليلة القادمة ، صدق هذه النظرية ، وسوف تتخذ الوسائل الكافية ، لمدمن يحتاج منهم الى معونة ، حتى لا يقل مستوى معيشتهم عن اخوانهم ممن تخرجوا فى الجامعات .

وقد مهد اتحاد مدارس اللاهوت لذلك ، فأعد فى « تانكنج » مجمعا دينيا ، يقوم على الحب المتبادل ، والاحترام بين جميع أفراد المجتمع ، حتى أصبحت « نانكنج » نفسها مركز اشعاع ثقافى . ففضلا عن ان مجمع اللاهوت مكانا هادئا ، للتأمل والعبادة ، فهو كذلك مكان صالح للدراسة ، يجد فيه الطلاب فرصة طيبة للتزود من المعرفة ، وممارسة نشاطهم الثقافى ، بعيدا عن صخب المدينة ، وضجيجها .

أما من حيث برنامجنا ، الذى أعددناه للنهوض بالكنيسة فقد كان مثار اندهاش من زارونا من الخارج ، اذ رأوا ان المسيحيين الصينيين

قد سايروا النهضة الحديثة فى البلاد ، مع تمسكهم بعقيدتهم ، وعدم اتباع ما يخالف تقاليد الكنيسة المسيحية ، وتعاليمها • فقد كانت الكنيسة فى الماضى عرضة لارغامها على الخضوع للاستعمار ، والا أصبحت عرضة للاضطهاد العنصرى • أما الآن فقد أقبل الناس على الكنيسة ، وقراءة الانجيل ، والتمسك بالكتاب المقدس ، وقد وجدوا فيهم الحق الذى لا غنى عنه ، فساروا فى الطريق القويم • وجعلوا اساس حياتهم التعاليم الدينية •

ولقد وجد كثير من طلاب مدرسة اللاهوت ، فرصا كثيرة تنتظرهم اذ عينوا فى كنائس الريف ، بينما عمل كثيرون منهم فى وظائف وعاظ ومبشرين .بالمسيحية • وقد أخذ فريق من الشبان منهم يعرضون روايات تمثيلية على الاطفال توضح لهم بعض النواحى الدينية • كما أخذ فريق آخر يعمل ضمن فريق من أفراد جماعة الموسيقى الكنائسية ، ومنهم من صار يتجول بين القرى ليبيع الانجيل ، حتى ان بعضهم قد ساهم بقسط كبير خلال حفلات أعياد الميلاد •

ويبدو أن الثقافة المسيحية ، قد أخذت تنتشر بين شبابنا ، اذ ان كثيرين قد أخذوا يشتركون فى كثير من المجلات الدينية ، كماأنشىء فى « نانكنج » مركز للاتحاد الدينى ، يتبع لمجمع اللاهوت ، وهو أحد الفروع الرئيسية له • ومن المجلات الدينية التى تلقى رواجا « مجلة الطلاب الخاصة » ، والنشرة القمرية ، ويصدرها الطلبة المتخرجون فى كلية الزمالة اللاهوتية •

ويقضى كثير من أساتذتنا كثيرا من الوقت فى اعداد الدراسات والكتب الدراسية ، اذ أن أحد أغراضنا الأساسية ، هو اعداد مسائل نظرية فى المواضيع التى تتصل بالكنيسة الحديثة فىالصين•

وقد قام « تى ن شن » وهو الأسقف السابق لشنسى ، بدراسة مستفيضة فى مسائل كثيرة متصلة بالعبادة .

كما قام الدكتور « أندرو س شنج » برئاسة اللجنة التى تتولى ترجمة بعض كتب الادب المسيحى الى اللغة الصينية .

وتزدهر الكنيسة الصينية اليوم ، اذ ان كثيرا من المسيحيين قد درسوا فلسفة اللاهوت ، وقواعد التنسك ، والعمل على تطبيق رسالة الانجيل فى الحياة ، كما يتعلمونه فى الكنيسة ، وبذا عمت الجالية المسيحية نهضة روحية ، كان لها أبلغ الاثر فى نهضة الكنيسة دينيا .

وان الاتحاد الدينى ، المعروف باسم مجمع اللاهوت ، ليضم كثيرين من الطلاب والاساتذة ، واللينن ، والعنصريين وغيرهم من الطوائف الاخرى ، التى تتبع لكنائس مختلفة .

وتلقى كل طائفة دينية ما يليق بها من احترام ، من الطوائف الاخرى ، سواء من حيث اعداد برامجها ، أو اقامة شعارئرها . ولنتخذ مثلا لذلك كنيستنا « شنج هو اشنج » و « لنج هوى » للطلبة تتفق وميولهم . وتؤدى بعد ذلك صلاة عامة فى الكنيسة الانجليكية ، فبجانب الدراسة العادية فى المجمع ، تعطى برامج خاصة المشتركة لجميع أعضاء اللاهوت ، وتوجد أيضا كنيسة انجيلية حيث يحتفل فيها بتناول العشاء الربانى ، فى أيام الآحاد ، والمناسبات الدينية ، وفقا للكتاب المقدس . كما تقام هناك أيضا صلوات خاصة خلال عيد البشارة والصوم الكبير .

واننا لنشعر ان مجمعنا المقدس يجمع بين جميع أعضاء الكنائس،

التى تشترك فيه ، وأعضاء الكنائس الاخرى • لاننا نؤمن بعقيدة واحدة ، ونعبد الها واحدا ، يسيرنا وفق ارادته •

ولا يفعل ما يكون بين أفراد طائفتنا من خلافات فعله فى نفوسنا التى طهرتها العقيدة المسيحية ، التى لهـا من قلوبنـا الاحـترام والتقديس ، لتصل الينا بركات السيد المسيح • وهذا شىء قد يعتبر جديدا علينا ، اذا ما قارناه بالماضى ، الـذى كان يفيض بالخـلافات الدينية الطائفية ، ويتسم بالعداء والكراهية بين الافراد فى كنيسة واحدة ، هى بيت الله ، ولا نعتقد ان ذلك لم يكن الا من فعل الشيطان الذى كان وليهم ، والجهل المطبق الذى كان يستولى عـلى عقولهم ، وعدم تمسكهم بالعقيدة المسيحية ، التى تدعو الى الطهر والنقاء ، والسلام •

٢٤ — إزدياد الروابط بين البوذيين

لقد قيل ان « بوذا » سأل مرة حوارييه : « كيف يمكن أن تحتفظ بقطرة من الماء ، ولا تجف الى الأبد ؟ » فلم يستطع أحدا منهم الاجابة على سؤاله · فقال لهم : « بالقائها فى البحر » · ولقد عرفنا نحن البوذيون الصينيون مدى ماينطوى عليه هـذا القول من معنى · اذ ان حياة كل بوذى تتصل بحياة كل كائن حى محيط به ، وقد دلل على صدق ذلك ما حصلنا عليه من معلومات عن الماضى ، وما مررنا به من تجارب فى الحاضر ·

وحينما يجتمع ، فى هذه السنة ، اتحادنا الدينى ، سيكون ذلك هو العيد السنوى الـ٢٥٠٠ر١٢ ، للاحتفال بخمود الشهوات الجسدية أى سعادة النفس فى عالم الخـلود ، حيث سنوثق صـلاتنا بجميع اخواننا واخواتنا فى الخارج ، كى نعيش فى سلام ، وان نتعمق فى دراسة ديانتنا ، ونخدم كل الكائنات الحية أكثر من ذى قبل ·

وتبعا لما جاء فى السجلات القديمة ، نجد ان البوذية دخلت الصين أولا من أواسط آسيا قبل العصر المسيحى بسنتين ، وقد يكون قبل ذلك بكثير · ويقال ان الامبراطور « مانج تى » ، من أسرة هان فى سنة ٥٨ــ٧٦ · قد تلقى التعاليم من بوذا نفسه فى « حلم » ، ثم أرسل ارسالية وصلت الى حدود الهند ، للبحث عن معلومات أكثر ·

وعادت الارسالية سنة ٦٧ ميـلادية الى العاصـمة « لوبانج » يرافقها راهبان متعلمان من الهنود ، وهما «دارما راكشا» و «كازبيابا

مانتاجا » ، وقد أحضرت معهما كذلك الاسفار المقدسة البوذية ، وتماثيل لبوذا لاول مرة الى الصين ، وبنى الامبراطور ديرا ، يعرف باسم « معبد الحصان الأبيض » حيث تمت أول ترجمة لاسفار بوذا المقدسة الى اللغة الصينية .

وتوالى بعد ذلك حضور الارساليات البوذية من الهند ، والأجزاء الغربية مثل « سنكيانج » ، وأجزاء من وسط آسيا . كما زارها حجاج كثيرون من البوذيين الصينيين . وبابتداء القرن الرابع الميلادى ، انتشرت البوذية فى ربوع الصين .

ورغم ما جتاح بلاد الصين من حروب ، وما تبعها من انقسام بين السكان ، فقد انتشرت الديانة البوذية ، وقضت على الرق ، ونشرت مبادىء المساواة بين جميع الناس . كما استجاب لها شعب « الهان » الذى يتألف منه معظم شعب الصين ، لا فرق بين غنى وفقير ، كما انتشرت مبادئها فى كثير من الاقطار المجاورة .

وقام الراهب الهندى البوذى «دراما كالا » برسامة أول مذبح للكهنة البوذيين ، فى معبد الحصان الابيض فى سنة ٢٥٠ ، وجاء من سيلان فى سنة ٤٢٩ تسعة عشر راهبة ، ليكرسوا أنفسهن راهبات صينيات .

وأقيمت للديانة البوذية معابد فخمة فى جميع أنحاء البلاد ، وقد اندثر معظمها الآن على مر السنين، ومن هذه المعابد ،كهوف البوذيين فى مقاطعة « شانسى » ، ولانحمان ، وأماكن أخرى . وقد قام أحد علماء الصين « يوان شوانج » فى القرن السابع ، برحلة الى الهند ، وجلب معه كتابات مقدسة ، وتماثيل لبوذا .

ولقد كان لهؤلاء الحجاج أهمية كبرى ، إذ أحدثوا تغيرا هاما ، فى

الثقافة العامة ، والطب الصينى ، والفلك ، وفن المعمار ، والموسيقى، والنقش ، والأدب · اذ اصطبغت جميعها بالصبغة البوذية ، نظرا لاتصالها بالهند ، والبلاد الاخرى التى تدين بمبادىء الديانة البوذية

كما أن كثيرا من الممالك الاخرى أخذت عن الصين ، صناعة الحرير والورق · كما تأثر الفن الهندى فى النقش بالفن الصينى ، والكتابة الصينية ، هذا فضلا عن نقلهم عن الصين الموسيقى ، وصناعةالفخار·
وقد اهتمت كل من الصين والهند بترجمة أسفار الديانة البوذية

الى لغة بلادهما · فقد ترجمت رسالة عن « الماهيانا » و « ماواتسى موشيو التوبزم » من الصينية الى السنسكريتية ·

وقد عم انتشار المدارس البوذية لما لاقته هذه الديانة من رواج فى الصين ، فى منتصف القرن السادس الى منتصف القرن التاسع، حيث كان لا بد من تعليم الشعب الصينى أصول الديانة البوذية·

وبما أن الديانة البوذية تعتمد فى تعاليمها على التأمل ، نجد أن مدرسة « تيان تاى » قد ركزت اهتمامها على الدراسة بهذه الطريقة · كما اتبعت تلك الطريقة أيضا مدرسة « دبيانا » اذ جعلت التأمل منهاجها الأساسى · كما حثت مدرسة الارض النقية ، تلاميذها على ترديد اسم « بوذا » كشعار للتحرر من الرغبات الارضية ، والخلاص من الآلام ، وعن هذه المدارس الثلاث أخذت مدرسة مادميكا الهندية، ووضعت كذلك مدرسة « دارما لاكسانا » أسس برامجها على منهاج المدرسة الهندية « يوجا » ، ومدرسة « جواين » التى أسست على نظام مدرسة افاتاما سكا سوترا · وتبعتها مدرسة فابيانا ، بدراسةطريقة « تا سترك » لتفهم مبادىء البوذية ، ولا يزال لهذه المدارس اتباع حتى اليوم فى الصين ·

وفى منتصف القرن السابع دخلت البوذية الى التبت ، مع تغيير الملك التيتى « سنتجرتان جامبو » الذى تزوج الاميرة وانج شنج ، من العائلة المالكة الصينية ٠

وقد ارسل سنتجزتان ارسالية من تسعة عشر شخصا من المتعلمين لدراسة السنسكريتية ، والرسائل المقدسة البوذية ، فى الهند ٠ وبعد عودتهم ابتكروا لغة التبت وكتابتها الخطية التى ترجمت اليها الشريعة البوذية ، السنكريتية ٠ ومن ثم انتشر تعليم البوذية باللغة التبتية ، فى مدارس كثيرة ٠

وتنقسم الانظمة البوذية التى تتبعها مدارس الصين اليوم ، الى ثلاثة أقسام ، على أساس اللغة والشريعة ٠ وهذه الاقسام هى البالى، والهان ، واللاما (التبت) ٠

فقد انتشر نظام البالى ، الذى منشؤه الهند ، وفى سيلان ، وبورما ، وتيلاند ، وأماكن أخرى فى جنوب شرق آسيا ٠ كما ينتشر فى الجنوب الغربى حيث يسود بين قبائل «التاى» فى مقاطعة يومان٠

وتنتشر لغة « الهان » ، وهى اللغة الأساسية للصينيين البوذيين، فى معظم أنحاء الصين ، وقد انتقلت هذه اللغة الى كوريا ، ثم الى اليابان بعد ذلك بقليل ، وقام « كوكيه » أحد قساوسة اليابانيين الكثيرين الذين أتوا الى الصين ، خلال حكم أسرة « مانج » سنة ٩٠٧-٦١٨ ، ليعرفوا شيئا عن البوذية ، أخذت عدة حروف من الابجدية اليابانية ، والتى حورت من اللغة السنسكريتية ، وان انتشار البوذية من الصين الى اليابان ، له أثر كبير فى الثقافة اليابانية ٠ وما نظام « الدبيانا » أو « الزن » الا أحد الانظمة التى أخذتها اليابان وكوريا عن الصين ٠ وقد عم هذا النظام مدارس « فيتنام » ٠

وأما النظام الثالث ، وهو الاساس المتبع فى الديانة البوذية اليوم فى الصين ، فهو « التبتى » « لاميزم » فقد انتشر من التبت الى أقطار أخرى ، من الصين ، منها قبائل الهان ، ومنجوليا ، ومانشو ، وتو، يوكو ، ثم انتشرت فى « بوتان » و « سيكيم » • كما كان فى وقت ما يعم أهالى جمهورية منغوليا الحالية ، وأجزاء من سيبريا •

وتتكون المدرسة البوذية الحالية فى التبت ، من الجنس الأصفر ، الذى يتبعه « الدالى لاما » و « بانشون لاما » ، ولا يزال أثرها منتشرا بين أهالى التبت ، الذين يعيشون فى أجزاء أخرى من الصين ، وأناس من قلب منغوليا •

ولا شك أن الديانة البوذية قد لاقت بفروعها الثلاث ، الكثير من الاضطهاد خلال الاربعين عاما التى سبقت عهد تحرر الصين • سواء أكان من الحروب الاهلية ، أو التدخل الاجنبى ، أو فساد الحكومات، التى كثيرا ما كانت تشن الحرب على معتنقى الديانة البوذية ، وتعتدى على معالمها الدينية ، كما سرقوا منا كثيرا من الكنوز البوذية الدينية•

ولذا فقدنا كثيرا من أماكن عبادتنا المقدسة مثل « تانجهوانج » ولانجمز ، وكهوف يونكانج ، التى كانت تحوى كثيرا من النفائس الدينية النادرة • فقد كسرت رؤوس تماثيل بوذا المقدسة ، كما شوهت كثير من الكتابات المقدسة• هذا فضلا عن هدم بعض الحوائط التى تحوى كتابات مقدسة عن البوذية ، وارسالها بحرا الى نيويورك وباريس •

والعجيب ان حكام الصين فى ذلك العهد ، لم يقوموا بأى احتجاج لحماية هذه الكنوز النادرة ، من هذا العبث الفاضح ، وسياسة السلب والنهب • بل بالعكس كانوا يقدمون لهؤلاء القراصنة كل مساعدة ممكنة ، للهرب بها فى وضح النهار •

وأما اليوم فيلقى البوذيون الصينيون كل مساعدة من حكومة الشعب ، اذ أصبحوا أحرارا فى ممارسة ديانتهم ، وتكفلت الحكومة بالمحافظة على معابدهم التاريخية ، ذات الأثر الفنى . اذ تنص الفقرة الثامنة والثمانين من دستور جمهورية الصين الشعبية ، على اباحة حرية الديانة للكهنة البوذيين ، وعامة الشعب .

كما تلقت الجالية البوذية مساعدات من الحكومة لاعادة واصلاح آثارهم التى تهدمت ، نتيجة للاهمال ، أو تخريب الحروب ، وهى تشمل معابد جبل «أوناى» ، فى مقاطعة «سبشوان» ، وجبل « توتيه » فى «شانسى» ،و«لن ينج» فى«هانحشو»،وأبنية أخرى ضخمة مقدسة .

ولا يقيم البوذيون الآن وزنا للخلاف بين الاديان اذ أصبحوا يشعرون ان الجميع مواطنون صينيون وأن واجبهم يقتضيهم أن يساهموا فى بناء أمتهم ، الصين المتحررة ، اذ وضعوا نصب أعينهم خدمة الشعب من أجل الشعب ، فساهموا فى الحياة الاجتماعية ، والحكومة الجديدة ، حكومة الجمهورية ، لان هذا مما يتفق ومبادىء الديانة البوذية ، التى تهدف الى بقاء العالم ، ويفيد جميع بنى الانسان ويبقى عليها ، كقطرة الماء التى ألقيت فى البحر لكى تظل الى الابد ولا تجف . وكذلك كل بوذى ، عليه أن يتعاون ، ويختلط، ويندمج مع باقى أفراد المجتمع كى يظل حيا الى الأبد .

وفى يوم الاحتفال بذكرى ميلاد بوذا فى سنة ١٩٥٣ عقد مؤتمر يضم جميع الأديان فى الاتحاد البوذى الصينى . وكان هذا أول مؤتمر يضم أفرادا من مختلف الأديان فى تاريخ الصين الطويل . الذى قد يبلغ ألفى سنة .

وقد اجتمع هذا المؤتمر ليؤيد حكومة جمهوريتها الجديدة فى

سياستها ، فى حماية حرية المعتقدات الدينية ، ونشر نظام الديانة البوذية ، وتعميم الثقافة الدينية بين الكهنة وعامة الشعب • وقد قررنا فى مؤتمرنا السالف ان نحافظ على تعاليم بوذا ، وآثاره ، وترجمة آداب الديانة البوذية • وكل هذا بلا شك قد نعمنا به فى ظل الجمهورية الجديدة ، وعلى يد حكومة الشعب • اذ كنا فى الماضى نعتنق الديانة البوذية من غير أن نتعمق فيها ، حتى اننا نقلنا كثيرا من الآثار التاريخية التى تتعلق بالديانة البوذية من مغارات « مانشو سان» فى مقاطعة «كانسوا» التى بنيت فى القرن الرابع ، ومعبد « نبلنج » ، وآلاف الكهوف البوذية فى « الغور » ، والمقاطعات المستقلة فى « سنكيانج » •

وتستعد الحكومة الآن لفتح مدارس جديدة لتعليم الكهنة البوذيين • كما تقوم دار نشر كتب جمعية « اسشنج البوذية » فى « نانكنج » التى أغلقت بسبب حاجتها الى المال فى عهد حكم الكومنتاج فلما جاء العهد الجديد ، وصار الحكم بيد الشعب ، أعيد فتح هذه الجمعية ، ولا يزال فى حوزة هذه الجمعية ثمانمائة وثمانية آلاف كتلة خشبية مدون عليها « التريبيتاكا الكاملة » •

وأصبحت هذه الجمعية تصدر مجلة شهرية اسمها « البوذية الحديثة » ويكثر تداولها فى الهند ، واليابان ، وبورما ، وأقطار أخرى ، فضلا عن انتشارها فى الصين •

ولما حصلنا على قدر كاف من الحرية فى ظل العهد الجديد ، صار فى وسعنا أن نوثق صلاتنا ، باخواننا البوذيين فى جميع بلاد العالم • وقد تم لنا هذا فى عهد المرحوم « يوان ينج » رئيس جمعية « داراما » البوذية ، والذى اشترك فى مؤتمر السلام الاسيوى الباسيفيكى ، الذى عقد فى بيكين سنة ١٩٥٢ ، وقد حضر هذا المؤتمر

ممثلون من الصين ، وسيلان ، وبورما ، وممالك أخرى ، وأصدروا الى رجال الدين ، فى جميع أنحاء العالم ، بيانا لتأييد ما صمم عليه المؤتمر ، من وجوب انتشار السلام بين شعوب العالم ، مع تأكيده العزم على تنفيذ ذلك ، لأنه يعتقد أن السلام طريق معبد للحياة السعيدة لجميع شعوب العالم ، ولكى نحقق هذا السلام يجب أن نحقق أيضا عدم التفرقة بين الاديان ·

وفى ابريل سنة ١٩٥٥ ، بناء على دعوة رئيس الوزراء « يونو » ، وهو صينى بوذى ، زار ممثلون من الصين البوذيين «بورما» · وكان على رأسهم رئيس الاتحاد البوذى الصينى المقدس « شيروب جالتنسو » ، وهو كاهن بوذى · وقد زار هؤلاء المندوبون ، أحد عشر مدينة ، وأدوا الصلاة فى كثير من المعابد ، والأديرة ، وتحدثوا مع كبار البوذيين من الكهنة والزعماء الدينيين ·

وفى سبتمبر سنة ١٩٥٥ ، أتى الى الصين ممثلون من برما ، ليتسلموا أثرا دينيا مقدسا ، أقرض الى البوذيين فى برما بناء على رجاء الرئيس « يونو » لفترة ما من أجل التعبد · اذ يقال انه بعد وفاة بوذا وحرق جثته ، بقيت أربعة أسنان ، كما هو مسجل ، وقد حفظت بين البقايا المقدسة ·

وفى سنة ١٩٠٠ ضرب المعبد ، جنود الامبراطورية ، ولكن الآثار المقدسة ، قد حافظ عليها الكهنة ، وحفظت فى معبد قريب منه · وكان كاتب هذا المقال من بين الذين رافقوا نقل الآثار المذكورة فى معبد صغير من الذهب الى « توانجون » وحينما حمل فى الشوارع فى طريقه الى الميناء الجوى ، ركع آلاف من الناس ، ـ الذين ظلوا وقوفا مدة طويلة ـ حتى لامست جباههم الارض · وقد عبر الدكتور « باير » رئيس برما عن هذا الحدث بأنها رغبة طالما تاقت اليها نفوس أهالى برما وقد تحققت اليوم ·

واستؤنفت العلاقة بين البوذيين اليابانيين والصينيين ، على أساس وطيد بعد سنة ١٩٥٣ ، حينما ساهم كثير من البوذيين اليابانيين فى عودة رفات كثير من الاسرى البوذيين ، الذين عانوا كثيرا من سوء معاملة اليابانيين ، وماتوا من ذلك • كما قام عدد من البوذيين فى اليابان بزيارة اخوانهم فى الصين •

وقد ذهب كاتب هذا المقال ، الى اليابان،فى أغسطس سنة ١٩٥٥، كأحد الممثلين الصينيين ، فى مؤتمر تحريم استخدام الاسلحة الذرية، الذى عقد فى أول سنة مرت على القاء القنبلة الذرية فى « هوريشيما»

وقد انتهز جميع الاعضاء فرصة هذا الاجتماع ، فناقشوا كثيرا من الموضوعات ، التى تهم العالم ، اشترك فيها أعلام من كهنة البوذيين فى « طوكيو » و « أوزاكا » وقد أعد لهم حفل استقبال فى « طوكيو » حضره مائة من كبار الشخصيات اليابانية البوذيين ، ومن بينهم ، نائب رئيس الاتحاد العام للهيئة البوذية اليابانية • وقد قرىء فى هذا الاجتماع خطاب تعهد فيه جميع الصينيون البوذيون بالتعاون مع اليابانيين البوذيين ، وجميع أهالى اليابان بالتعاون مع جميع سكان العالم بالمحافظة على السلام •

هذا وسيقوم البوذيون ، فى جنوب شرق آسيا ، والهند ، باحياء عيد خمود الشهوات الجسدية الالفين وخمسمائة• ولو أننا لنا طريقتنا الخاصة فى حساب التقاويم تخالف المألوف ، فى التقاويم الاخرى، ولكن يسرنا أن نشاركهم فى الاحتفال بهذه الذكرى المجيدة • كما سيقوم ممثلون من بوذيى الصين بزيارة الهند ، وبورما ، وسيلان ، بناء على دعوة حكومات تلك البلاد ، للمشاركة فى الاحتفالات التى تقام هناك •

ويشمل برنامج الاحتفال المقدس ، باحياء ذكرى « خمود الشهوات

الجسدية » الذى سيقيمه الاتحاد البوذى الدينى ، فى هذه السنة ، ترتيب اعداد طبع مجموعة من الكتابات عن الادب البوذى الرفيع ، الذى كان مخبأ فى كهوف « منشان » على بعد ١٧٠ ميلا من « بيكين » ومحفور على كلا وجهى ٨٠٠٠, لوحة من الحجارة • وهذه الكتابات لها قيمتها التاريخية الدينية ، اذ ظلت مختبئة حوالى خمسمائة سنة•

أما نحن الصينيون البوذيون ، فاتنا دائما على استعداد لتوطيد علاقتنا ، مع اخواننا فى الممالك الأخرى ، وستقوى هذه الروابط بمضى الزمن ، لاننا جميعا بذورا نبتت من أصل شجرة بوذا التى جلس تحتها « ساكيامونى » وتلقى تعاليمه منه •

٢٥ — صورة من حياة الريف

عائلة لوفاس

البيت الـكبير ، هو الاسم الذى يطلقه الفلاحون ، على اتحاد الانتاج الزراعى التعاونى • وهو بيت مبنى من الطوب الاحمر ، ويقع وسط ثلاثمائة وثلاثين فدانا من الارض ، وتتبع جميعها لما يقرب من مائة وخمس وعشرين عائلة من المواطنين ، من سكان القرى التعاونيين فى مقاطعة « شولسيان » من أقليم «شانتنج» وتمتد الى الغرب حقول من الذرة والقمح ، والدخن ، وفول الصويا ، والبطاطا ، والقطن ، والكتان ، فى مساحة كبيرة فوق التلال ، الى حدود الارض التى أصلحت حديثا فى جانب التل • كما زرع التعاون كمثرى ، وخوخ ، وأشجار التوت ، التى كانت تبلغ فى طولها قامة الرجل ، هذا الى جوار تكاعيب من العنب• وقد أعدت بيوت للدجاج بين هذه الأشجار المتناثرة •

وقد ابتنى « لوفاس » الجد الأكبر لهذه العائلة ، بيتا جديدا فى حدود القرية ، فى مواجهة البيت الكبير • وكانت عائلة « لوفاس » تتكون منه ، وزوجته الجدة الكبيرة ، وأبناؤهما الصغار « ائنبنج » ، وأحفادهم « هوسانبيه » وأطفالهم الأخر ، وأبناؤهم الاثنين ، وطفلتيهم ، وجميعهم متزوجون ولهم بيوتهم الخاصة • وكان الابن الكبير جنديا سابقا فى الجيش ، ويقيم فى منزل زوجته • أما الابن الثانى « أنلى » وهو رئيس فرقة الفلاحين التعاونية ، فكان يعيش مع

زوجته « كيولسيانج » فى بيت الجد الكبير القديم • كما كان « أنبنج » الذى لم يبلغ العشرين من العمر بعد ، يعمل كذلك رئيسا لفرقة أخرى من الفلاحين التعاونيين مثل « اتلى » •

وكان العجوزان الكبيران فى الخمسين من عمرهما • وكان يبدو على وجه الجد أثر تقدم السن اذ كان كثير التغضن وبه تجاعيد ، ولكنه لا يتأخر عن القيام بواجبه كاملا فى الحقول خلال موسم البذر أو الحصاد ، وفوق ذلك كان يعمل ضمن أفراد فرقة تعاونية للبناء ، وقد تعلم هذه الحرفة حينما كان شابا •

ولذا فقد قام الجد العجوز ببناء منزله بنفسه ، وهو بيت مبنى من الطمى ، وله سقف من الغاب ، يحيط به سور منخفض ، وخلف الفناء توجد حديقة الجد الصغيرة ، وبها أشجار الخوخ التى تمتد أفرعها الصغيرة فوق سور من أعواد الذرة •

ويحتوى المبنى الرئيسى من المنزل على حجرة للنوم ، ومطبخ ، ويوجد بحجرة النوم سرير على كلا الجانبين ، ومنضدة خشبية مربعة يستقر فوقها مصباح ، وهو عبارة عن قدر فخارى به فتيل مغموس فى زيت فول الصويا • كما أن هناك أوعية فخارية كبيرة ، تحوى غلة وأذرة وحبوبا أخرى ، تحتل كل شبر من أرض الغرفة • وعلى الحائط توجد صورا تبين أوجه نشاط الصين ونهضتها الحديثة فى مضمار الزراعة والصناعة ، فقد علقت صورة لجماعة من العمال يتوسطهم المشرف عليهم ، وصورة أخرى تبين مصانع الصلب والحديد وأخرى تبين عددا من العمال الزراعيين وهم يقومون بفلاحة الارض ، كما علقت صورا تبين محطات القوى المائية ، وتوليد الكهرباء وغيرها من الأعمال الانشائية •

ويبدو المطبخ أصغر حجما من الغرفة ، وقد أعد به فرن تمتد منه عدة مواسير لتدفئة السرر المصنوعة من الطين حيث يتخذ منهما الجدان مخدعا لهما خلال الشتاء ·

كما أن هناك منضدة منخفضة يتناولان عليها طعامهما ويحيط بها مقعدان مناسبان لها · وقد نقش الجد على الجدار القريب من الموقد رسما يمثل اله المطبخ · وفى نهاية الجانب الآخر من المطبخ توجد حظيرة تأوى الحمار وعددا من الكتاكيت ·

ويوجد فى مدخل الحظيرة معلف ، وهو عبارة عن وعاء فخارى كبير به قدر من النخالة ، وبعض بذور الحمص الجبلى ، الذى لم يكن طعام الحيوانات فقط ، بل هو أثر من آثار الماضى ، حيث كان يشاركه فيه الانسان · وكم تعجب الجدة من طول صبرهم وتحملهم لتناول علف الحيوان ، اذ تأخذ بعض حبوب الحمص بين أصابعها وتفركها قائلة : كيف كنا نتناول هذه الحبوب ، لقد كانت تستقر فى أمعائنا فكأنها الحجارة ·

واذا ما ذكر الجد عهد « الكومنتاج » والاحتلال اليابانى ، ذكر معه الفقر والجوع والحرمان · اذ كان وقتها فلاحا فقيرا ، يستأجر قطعة من الأرض من أحد الملاك ، وكان يضيع أكثر من نصف المحصول فى سداد قيمة الايجار ، والنصف الباقى كان لسداد الضرائب المتنوعة· وكم كان الناس يقاسون ألم الجوع خلال فصل الربيع ، وهو فصل بذر البذور ·

وكان ملاك الأراضى يقرضون الفلاحين حبوبا لغذائهم ، على أن يعيدوها اليهم خلال الخريف المقبل ، ولقد كانت العائلة فى ذلك الوقت على جانب كبير من الفقر ، حتى انها لم تتمكن من اقتناء بعض الكتاكيت · ولم يكن لهم ملابس صيفية وأخرى شتوية ، فكان الرجل

منهم يرتدى بدلة ، كما كان يسميها ، تزينها رقع مختلفة الألوان ، لتضفى عليها شيء من الجدة والحقيقة أنها بالية . وكان يضع على رأسه قبعة من الخوص ليس بينها وبين أشعة الشمس أو المطر حجاب وفوق ذلك كانت ما يسميها بدلة ، مجموعة من القماش الخشن المنسوج يدويا ، وكان هذا أقصى ما تستطيع أيديهم ان تصل اليه .

أما من حيث ما كان يطلق عليه منزلا فكان لا يختلف عن حظيرة البهائم فى شيء ، اذ كان لا باب له ، يدفع عن ساكنيه غائلة البرد ، أو زمهرير الشتاء ، ولا يقيهم حرارة الشمس ووهجها فى الصيف . واذا ما نظرت الى داخل المنزل لوجدت أطفالا قد تكوروا تحت لحاف مهلهل بال .

وحينما قضى جيش الشعب باسم الشعب ، على سطوة ملاك الأراضى ، واصبحت أراضيهم ملكا لصغار الزراع فى سنة ١٩٤٥ ، كان لا يزال فى القرى نقص ملموس فى العمال الزراعيين ، اذ ذهب عدد كبير منهم ، وانضموا الى جيش الشعب لمؤازرته . وظل الحال كذلك الى أن عاد شباب القرى الى ذويهم ، وبدأوا فى ممارسة الأعمال الزراعية ، فانتعشت الحياة فى القرى من جديد .

ولقد عاد ترتيب الفرق التعاونية على نظام اشتراكى بزيادة فى الانتاج بلغت النصف ، مابين سنتى ١٩٤٩ و ١٩٥١ ، وبذا أمكن لعائلة الجد « لوفاس » ان تتناول وجباتها بانتظام ، وتوفر لديهم الاذرة الصينى ، والدقيق ، والغلة ، والدخن . وصاروا يتناولون الكعك بين آونة وأخرى .

ولقد أمكنهم أن يصتنعوا بابا لمنزلهم من الخشب السميك ذا ضلفتين ، وذلك نتيجة لمساهمتهم فى الاتحاد التعاونى سنة ١٩٥٢ ، وصار دخلها يفوق أربع مرات ما كان عليه ، أيام انضمامهم لفرق

المساعدة فقط • فقد صار لديهم الآن مرتبة ولحاف منجدين من القطن ، موضوعة على كل سرير فى المنزل •

وقد أصبح كل فرد فى العائلة يمتلك بذلة جديدة من القطن كل سنتين على الاقل ، وحلة جميلة من القطن كل سنة على الاقل • أما الملابس القديمة الرثة البالية فقد استبدلت بملابس جديدة ، وزوجا من الاحذية يقى القدمين • ولكن الجدة لم تهمل الانتفاع بالأشياء القديمة ، كما هى عادتهم دائما • فقد أخذت الملابس البالية المرتقة ، وصنعت منها نعالا للأحذية بوضع عدة طبقات منها فوق بعضها ، ولصقها بالغراء ، ثم تحاك فى غرز متقاربة • ولو أن المنزل كانت تنقصه أشياء كثيرة من آثار مساوىء الفقر فى الماضى ، فقد أخذت العائلة تتغلب على متاعبها شيئا فشيئا •

فمثلا كان المنزل تنقصه ساعة ، ولذا كان أهله يعتمدون فى بدء عملهم اليومى ونهايته على الشمس• ففى الصباح الباكر قبل شروقها كان الجد الكبير ينادى « انبنج » ليوقظه لاحضار الماء من البئر ،الذى كان مركب عليه بكرة وحبل طويل معلق فى نهايته وعاء فخارى • وكان على انبنج أن يدلى هذا الوعاء فى البئر ويرفعه بعد أن يمتلىء ، وذلك بجذب الحبل • وكان يظل يكرر هذه العملية عدة مرات الى أن يحصل على كفايته من المـاء • ولا شك أن هذه العملية كانت شاقة على نفسه ، ولذا كان ينتظر بفارغ الصبر وصول المضخة الكابسة الجديدة التى اشتراها الاتحاد التعاونى لهم ، ولا زالت فى المدينة •

وحينما ينتهى الجد من اعداد الشاى وتشرق الشمس فى الأفق، يرافق الابن الأب ، وهو الجد العجوز ، الى الحقـل حيث يبدآن فى عملهما ، كل فى الفرقة الخاصة به من الفرق الخمس ، فيما اختص به من الأرض ، اذ يقوم رؤساء الفرق بتوزيع العمل على فرقهم ، تبعا

لقدرتهم ونوع تدريبهم . وحينما تبذر بذور قمح الشتاء ، يقوم الجد عادة بالاشراف على المحاريث ، كما يقوم الابن « انبنج » وأخيه ، ويمتاز كلاهما بالقوة ، باحضار كميات كبيرة من السماد .

وتحدد الأجور لكل عمل تبعا للقدرة والمهارة التى يتطلبها كل عمل . فيحصل كل بناء ، أو حامل سماد ، على أجر يوم كامل ، أو يحصل على أجر وحدة معينة ، وتوزع منها الاجور اليومية ، ويحصل الحراث على أربعة أخماس الأجر اليومى ، اذا ما أنجز حرث مساحة معينة ، أو تبعا لطبيعة الأرض . كما أن من يغسل الحبوب ويعدها للبذر يستحق أجر نصف يوم . واذا ما عمل الرجل والمرأة جنبا الى جنب وقاما بعمل واحد ، تساوت أجورهما ، ومن قام منهم بعمل اضافى حصل كذلك على أجر اضافى .

أما « هو سنبريه » الحفيد فيستيقظ متأخرا كعادته كل يوم ، ويقصد الفناء ليسوق الحمار الذى يدير حجر الطاحون لطحن الذرة، والغلة ، وغيرهما من الحبوب الأخرى ، فيحيلها الى دقيق تصنع منه الجدة كعكا لذيذا ، لما هى عليه من مهارة فى فن الطبخ ، اذ كثيرا ما تتحفه بأطعمة من صنع يدها .

وحينما تتوسط الشمس كبد السماء يعود الجد و « انبنج » لتناول الافطار ، ثم يذهبان بعد ذلك الى أطراف القرية ، حيث يزرع أعضاء الاتحاد حاجتهم من الخضروات، فهم يزرعون البصل، والكرنب الصينى ، واللفت ، والبطاطس ، وخضروات أخرى . ولا ينسى الجد ان يزرع قطعة من الأرض بالطباق من أجل غليونه . وبعد رى محصولاتهم يعود الرجال الى حقول التعاون ، ثم يعودون عند الظهر الى المنزل لتناول الغذاء ، ثم يستأنفون عملهم ، ويظلون يعملون حتى تختفى الشمس فى الغرب وراء الافق . وخلال فصل الحصاد لايعودون الى منازلهم وقت الظهيرة ، بل يحمل اليهم الطعام فى الحقل .

ويرغب كثيرون من القرويين فى اصلاح اكواخهم ، التى تهدمت ، أو اقامة منازل جديدة مكانها • ولذا يزداد التهافت على طلب الجد « لوفاس » للاشراف على أعمال البناء ، حتى انه كثيرا ما يعود متأخرا فى المساء ، بعد وقت العشاء بكثير ،.وفمه تفوح منـــه رائحة خمر الاذرة ، وهذا معناه أن مالك البيت الذى يقوم ببنائه له كان كريما معه ، وقدم اليه طعاما شهيا وخمرا •

وأصبح من عادات القرويين المألوفة أن يغادروا منازلهم بعد العشاء للجلوس تحت الاشجار ، والاستماع الى المذياع الذى ركبته حكومة المقاطعة لسماع نشرة الأخبار ، والبرامج الموسيقية التى تذاع من « بيكين » ، وللجد ولع خاص بالاستماع الى التمثيليات المحلية • وبما ان الجدة لا تهتم بالموسيقى ، فانها تفضل الحديث مع زوجـات أبنائها ، ومشاهدة أحفادها وهم يلعبون •

وكثـيرا ما يأتى الى القرية فريق السينما لعرض بعض الافلام ، ليتمتع سكانها بمشاهدة العرض ، نظير خمس سنيمات للفرد ، وقد يندمجون مع بطل أو بطلة الفيلم ، اذا كانت الرواية تتعلق بالريف، كما يطيب لهم ان يشاهدوا الافلام التى تبين نشاط المصـانع فى بلادهم ، ومشاريع المياه الكبيرة ، وسوف تتاح لهم فرصة مشاهدة مثل هذا النوع من الافلام مرة فى الشهر على الأقل •

وقليلا ما يضاء المصباح فى المنزل ، اذ تفضل العائلة النوم مبكرا توفيرا للزيت ، ولكن « أنبنج » ينام متأخرا عن الباقين ، لانه فى كل ليلة فى خلال فصل العمل ، وخـلال كل ليلة من الايام العـادية ، يذهب لتلقى الدروس فى مدرسة القرية المسائية • والمدرسة عبارة عن كوخ مهجور فى القرية ، به مصباح زيتى صغير يتدلى بالقرب من السبورة • والمدرسون أنفسهم أعضاء فى الجمعية التعاونية ، وهما

شابان صغيران وآنسة ممن اتموا دراستهم الابتدائية • ومع قلة خبرتهم بشئون التعليم والتربية ، فان الفصل يغص دائما بالفلاحين المتعطشين الى التعلم ، ومنهم من أصبح ملما بقراءة الحروف الأبجدية الصينية •

ويوجد بالمكتبة الملحقة بالمدرسة مئات من الكتب ، حيث يقترض « أنبنج » بعضها كل مساء ويحملها معه الى الحقل فى جعبة من القماش ، ليقرأها هو وزملاؤه فى فترات الراحة خلال عملهم فى الحقل • ويعتبر أحسن قارىء فى العائلة ، ويحاول أخوه اللحاق به فى هذا المضمار •

وسيلتحق « هوسانيه » بمدرسة القرية فى خريف العام القادم ، حيث سيبلغ السابعة من عمره • وعلى قدر ما تسمح به ذاكرة الجد سيكون أول فرد فى العائلة يحصل على تعليم منظم • أما فى عهد الكومنتاج فكان عدد من يذهبون الى المدرسة من أطفال القرية لايزيد عن أربعة • أما الآن فقد أصبح لزاما على جميع الاطفال بنين وبنات أن يذهبوا الى المدرسة •

ويعقد السوق مرة كل خمسة أيام ، فى قرية مجاورة حيث تذهب العائلة اليه مرة كل شهرين • وهذه احد ىالمناسبات الهامة بالنسبة لها • ففى مثل تلك الأيام ، يعود الجد و «آينبج» منالعمل الى المنزل ، للافطار مبكرين خلاف العادة ، وبعد ذلك يرافقهم « هوسانيه » الى السوق ، وهم يحملون سلة محملة بالبيض والخضر الطازجة ، لبيعها فى السوق •

ويزدحم السوق ، بجميع السكان ، الذين يأتون من القرى المجاورة ، اذ توجد على جانبى الشارع الضيق ، المؤدى اليه ، أعراش،

وخيام ، ومظلات ، يقف تحتها الباعة ، ليبيعوا مأكولات ، وأوعية فخارية • وسلع متعددة مما يحتاج اليها القرويون • ولا يأتى الظهر الا وتكون عائلة « لوفاس » ، قد باعت جميع مافى سلتها ، ويعودون بها وقد امتلأت بمختلف البضائع والحاجيات ، فلا ينس الجد أن يشترى باكو شاى ، ونصف زجاجة من الخمر له ، وبعض الأسماك الصغيرة ، وخبزا طريا للغذاء ، أما آينبج فقد اشترى لنفسه « قلم حبر » (آبنوس) وزوجا من الأحذية المطاط • أما هوسانيه فانه لايهتم الا بالحلوى ، التى يبتاع منها بعضا لنفسه ولاخوته • أما فى الأعياد التقليدية ، فتأتى الابنة الصغيرة « أفلان » الى منزل أبيها ، لزيارة والدها ، بمصاحبة زوجها من قريتها التى تعيش فيها معه • ويقوم الأخ الاكبر « آنلى » وزوجته باحضار ابنهما معهما ، ويعم الفرح أرجاء المنزل ، وينهمك النساء فى صنع حلوى « لقمة القاضى » (الزلابية) ، وحساء الشعرية ، بينما يتجاذب الجميع أطراف الحديث ، ويلحظ كثير من زوارهم ، التغير الذى طرأ عليهم ، فيقولون ما أشد الفرق بين الامس واليوم •

ولم يطرأ هذا التحول على عائلة « لوفاس » الا خلال الثلاثة أو الأربعة أعوام ، التى مضت ، فحتى بداية عهد التحرر ، كانت عائلة « لوفاس » لاتزال متحفظة ، اذ كانوا لايختلطون بغيرهم ، أو يزورون جيرانهم ، أو يشتركون فى الاجتماعات العامة فى القرية • اذ كانت تطبق تقاليد الريف بدقة ، من حيث المحافظة والتزام الحيدة ، كما كان يقول انبى فى الماضى ولا يجرؤ على قوله فى العصر الحاضر• ولم يكن مسموحا للابنة « آفلان » ، بأن تخرج من المنزل بدون اذن والدها • فقد تسللت مرة الى المدرسة المسائية فى بداية عهد التحرر، ولكن الجد العجوز « لوفاس » أعادها بالقوة ، ولامها على ذلك كثيرا •

وقد تم زواج « انلى » الاخ الاكبر ، بواسطة والديه ، وكانت

خطيبته « كوسيانج » خيبة أمل للجدة ، التى ظنتها كسولة · وقد استاءت الزوجة الشابة من هذا واعتبرته ظلما لها · وقد رفض الجد أن يتدخل ، وكان من رأيه أن تشرف الحماة على مراقبة زوجة ابنها · وكان « ابنى » ينحاز دائما الى جانب أمه ، ولم يعرف المسكين ما اذا كان من الصواب أن ينحاز الى جانب أمه ، أو زوجته ·

وبعد مضى سنتين على هذه الحال ، يئس الابن والاب من طول مدة النزاع ، وقررا الانفصال ، فقسما الارض الى قسمين · فأخذ الجد حوالى فدان ونصف ، وأخذ « انبى » حوالى نصف فدان ، وبنى الجد منزله الجديد ، وبقى ابنى يعيش فى منزل العائلة القديم · وحينما تقابل العجوزان مع زوجة ابنهما فى الطريق لم يتحادثا ·

وعندما استقل « انبى » عن والده ، التحق بالفرقة الزراعية التعاونية ، وكانت تضم أفراد خمس عائلات فى ذلك الوقت · ولم تكن الرابطة قوية بينهم بعد ، حتى أن الاخوة ، اذا ما بدأوا يتناقشون فى فائدة هذا النظام ، كان نقاشهما ينتهى غالبا بالشجار ، اذ كانوا لايفهمون أثر وضع جميع الأراضى فى نظم تعاونى واحد ·

وكان الجد من ضمن المتشككين فى فائدة النظام التعاونى ، شأنه فى ذلك شأن الآخرين ، ولكنه بدأ يقتنع حينما رأى محصول سنة ١٩٥٢ ، اذ غل الفدان الواحد ما يزيد على طن ، أو ٤٣٠ رطلا ، أكثر ، مما أنتجه فريق التعاون الزراعى ، فى المتوسط ، فكان هذا باعثا لانضمام واحد وخمسون عائلة اليه ، كان « لوفاس » الجد الأكبر فى طليعتهم بعائلته ، اذ قال لا يمكننى أن أظل منفصلا عن الاتحاد بعد ذلك ·

وبعد أن انضم الاعضاء الجدد ، سمعوا عن طريق المذياع ، أن

الطقس ، سيكون باردا وممطرا ، وذلك بينما كان يقوم أعضاء الاتحاد الزراعى بزراعة قمح الشتاء ، وكان عليهم ، أن يتسابقوا مع الزمن ، وجندوا أنفسهم لمواجهة ذلك • فاتجهت جميع القوى الى الحقل ، كل فريق ينافس الآخر • وسرعان ماتم بذر ثمان وخمسين فدانا من غلة الشتاء ، فى مدة من الزمن ، جاءت كلها قبل موجة البرد •

وجاءت السنة التالية ، أى فى سنة ١٩٥٣ ، وكانت لها متاعبها ، فقد تساقطت أمطار كثيرة فى الصيف ، وحدث جدب عظيم فى الخريف • فاستخدمت جميع السواقى لرى الحقول ، باستمرار • كما أعدت فرق خاصة لجلب المياه الى الحقول ، التى تبعد عن البئر • وحينما أتى وقت الحصاد ، كانت الزيادة فى غلة الفدان تبلغ طنا ونصف أكثر من سنة ١٩٥٢ ، ولم يكن هذا ليحدث لو زرعوها فرادى •

وقد كسب الفريق الذى انضم اليه « آنلى وانبج » العلم الاحمر فى المنافسة بين الفرق • وانتخب « آنلى » وكيلا للرئيس ، كما أتيح « لأفلان » أن تعمل فى الحقل ، ولم تعد تخشى شيئا من والدها • ولشدما كانت دهشتها ، أن جدها لم يثر ، ولم يغضب لذلك • اذ لم ير مبررا لمنع الابنة من العمل ، طالما أصبح البنات يعملن ، فضلا عن أن فى ذلك فرصة طيبة ، لزيادة دخل العائلة •

ولما أتى الشتاء ، سمح لها كذلك بالذهاب الى مدرسة المدينة المجاورة للقرية ، كى تلتحق بفصل دراسى ، اذ انتخبت ضمن فتيات القرى ، الذين رشحوا لمتابعة دراستهم هناك • وحينما عادت بعد شهرين تحمل شهادة تخرجها • صار الاب يزهو بها فى مجالسه • وأصبحت « آفلان » نموذجا لفتيات القرية ، كما انضمت زوجة « انبى » الى فريق عمال الحقول خلال فصل العمل •

كما أن هناك تغيرا آخر طرأ على حياة الاسرة ، وهو أن الجد ، بدأ يشهد اجتماعات الجمعية التعاونية ، ومثل هذه الاجتماعات لم يكن يرغب فيها الجد من قبل • ولكنه صار الآن يحبهـــا ، لمـا فيهـا من اجتماعات ، ومناقشات ، تتصل بصميم الحيـاة والعمل فى القرية • وكانت احدى جلسات الجمعية محل بحث الاعضاء في كيفية تيسير قطع الاحجار وحملها على عربات ، خلال فصل الشتاء ، وأخرى كانت عن كيفية استخدام المحاريث التجريبية ، وادخال بعض التحسينات على الأساليب الزراعية ، مثل تقارب فترات زراعة القمح ، وادخال سلالة جديدة من الاذرة • وقد حمى وطيس المناقشة فى هذه الموضوعات ، مما زود الجد بكثير من المعلومات •

وأما الجلسات النهائية ، فكانت تتعلق ببحث حالة العمال ، وتقديم الشكر الى المجيدين ، واللوم الى المقصرين ، وكانت تعقد بعد انتهاء موسم البذر والحرث والحصاد • وقد أوضحت التجارب للفلاحين ، أنهم اذا جدوا واجتهدوا ، وتكاتفوا جميعا فى العمـل ، جنوا ثمرة جهادهم محصولا وفيرا ، وانتاجا كثيرا • أما اذا تكاسلوا واشتغلوا فقط بغية الحصول على الأجر اليومى ، فسوف لايفيدهم ذلك كثيرا ، وسيظلون حيث هم الى الأبد ، فقلة المحصول ، بالنسبة لهم معناها قلة الأجور ، وقد تفتحت عيونهم على أثر الجمعيـــات التعاونيـة الزراعية ، فى فائدة الفرد والمجموع على السواء • وقد عبر الجد عن جلسات الاتحاد الزراعى التعاونى ، بأنها طريق ممهد لحل كثير من المشاكل التى تعترض أهل الريف ، عن طريق المناقشة والتفاهم •

وحينما قام الاتحاد التعاونى بتوزيع أرباحه فى نهاية عام ١٩٥٣ ، خصص ٤٠ فى المـائة للمساهمين ، نظير استغلال أراضيهم ، و ٦٠ فى المـائة لمنح الأجور اليومية ، وقد حصل الجد وعائلة « أنبى » على ضعف الدخل الذى حصلوا عليه حين انضمامهم الى فريق جمـاعة

التعاون • فضلا عن حصول الجد على ما يقرب من طنين ونصف من الحبوب ، كما حصلت « افلان » على مايقرب من ألف رطل من الحبوب نظير عملها • ولذا فرح الجد ، وتملكه الزهو • فذهب الى مقر الجمعية التعاونية ، واشترى مقدارا من الاقمشة القطنية المطبوعة •

وحتى زوجة « آنلى » كيولسيانج ، التى حتمت عليها طبيعة عملها البقاء فى منزلها ، سوى وقت اضطرارها الى الذهاب الى الحقل ، فقد كسبت أجر أربعين يوما من عملها • وقد مدح الفلاحون عملها • وصار « آنلى » سعيدا جدا ، وكذا الجد والجدة • اذ بدأوا ينظرون الى « كيولسيانج » على ضوء جديد ، فلم يعد أحد يسميها كسلانة ، ولكن لم تزل المرأة العجوز تجد من الصعوبة بمكان أن تتحدث الى زوجة ابنها بسبب مشاجراتهما السابقة ، ولكن حينما ولدت لها الابنة الصغيرة فى شتاء سنة ١٩٥٣ ، جاءت اليها العجوز لمساعدتها وعندها نسيت الأحقاد السابقة وعمهم الفرح ، واستأنفوا علاقاتهم فى جو من البهجة والسرور •

وفى سنة ١٩٥٤ ، زاد عدد العائلات التى انضمت الى الاتحاد ، فشمل مائة وستة عشر عائلة • ورغم أن الكوارث الطبيعية كانت أسوأ مما كانت عليه فى السنوات السابقة ، ومع ذلك فقد كان الناتج من المحصول أوفر بكثير مما كان عليه فى السنوات السابقة ، فضلا عن تلف محصول ثمانين فدانا من محصول فول الصويا • ولكن هو التعاون بين الأفراد ، الذى كان له الفضل ممثلا فى شخص الاتحاد التعاونى الزراعى ، الذى تغلب على ذلك • اذ أن انخفاض نفقات الانتاج ، والاستعاضة عما كان يصرف فى شراء مخصبات صناعية بالسماد الطبيعى كان له أبلغ الاثر فى ذلك •

هذا بالاضافة الى أن الاتحاد التعاونى ، قد أبطل تخصيص حصة

المحصول التى كانت تدفع منه كفوائد نظيراستغلال الاراضي الزراعية. ودفع بدلا من ذلك ايجارا محددا لكل فلاح تبعا لقيمة أرضه . وضم ذلك الى الاجر اليومى . فزاد ذلك من دخل الفلاح . وقد اعترف الجد بعدالة هذه الطريقة ، فمع أن عائلته حصلت على حوالى مائة وثلاثين رطلا من الحبوب أقل من العام الماضى نظير استغلال أرضها ، فانها حصلت على ألف وخمسمائة رطل من الحبوب زيادة فى الاجر . وقد كان أجر العمل اليومى فى التعاون تسعة أرطال من الحبوب فى سنة ١٩٥٣ ولكن فى نهاية هذه السنة سيصل حتما الى خمسة عشر رطلا .

وهناك أرقام أخرى ، لابد من تسجيلها . فقد حصلت عائلة الجد سنة ١٩٥٤ على دخل كلى يبلغ أربعة أطنان ونصف من الحبوب ، بينما حصلت عائلة «انبى» على حوالى طنين ونصف . وقد باعوا فيما بينهم حوالى طن ونصف من زائد حصتهم الى الحكومة . وقد وضع الجد مبلغا ثابتا من المال فى الجمعية التعاونية لاستغلاله ، وسحب عليه فوائد تقدر بحوالى ثمانية فى المائة سنويا . كما فتح حسابا جاريا فى الاتحاد التعاونى بفائدة ستة فى المائة . فاشترت العائلة ملابس جديدة ، ومعدات أخرى للمنزل . ومن هذه الاشياء ، صنع باب جديد لفناء المنزل ، وصندوق خشبى كبير « لآفلان » التى تزوجت فتى يافعا . وقع عليه اختيارها فى مايو من نفس السنة . ولا يزال يحز فى نفس الجد والجدة ، عدم حصولهما على مهر لابنتهما الكبرى ، التى تزوجت قبل التحرر .

وفى نفس تلك السنة رقى «آتلى» الى رئيس فرقة . وتلقى «آنبنج» شكرا من فرقته من أجل عمله الجيد . وأصبح الجد مرشدا اجتماعيا فى الجمعية التعاونية . كما التحقت الجدة بالفرقة التعاونية التى تهتم برعاية الاطفال ، خلال وقت الحصاد .

وفى الربيع من سنة ١٩٥٥ ، استدعى الرئيس باقى الاعضاء معا ، لينهى اليهم بعض الاخبار · وعندما انتظم عقـد الاجتمـاع أخبرهم ، بأنه قد تقرر افتتاح محطة جرارات فى الخريف القادم ، لتقوم على خدمة المواطنين فى القرية ، وغيرها من القرى المحيطة بها · وسـيكون بها فى بداية الأمر ، جرارة متوسطة ، وأخرى صغيرة الحجم · وفى وسع المتوسطة أن تحرث سبعة عشر فدانا من الأرض يوميا ، كما يمكن أن تحرث الجرارة الصغيرة تسعة فدادين يوميا ·

وقد أصغى الجد الى هذه الانباء باهتمام · وصدق ما قاله الرئيس ، لأنه كان رئيسا لفرقة من فرق المساعدة قبلا ، وهو رجل له احترامه · وقد جاءت هذه الانباء ، بعد زيارة فرق الاتحـاد الزراعى التعـاونى لروسيا ، مع بعض من ممثلى الفلاحين · كما شاهد باقى أهالى الصين ، أفلاما روسية تبين نواحى النهضة الزراعية بها · وقـد فهم الجـد من هذه المجهودات ، شيئا عن حياة الريف فى روسيا ، ووضـح له أثر التعاون فى حياة الافراد ·

٢٦ — علاج مجانى للجميع

من أجل الصحة والحياة

لقد نجح نضالنا فى سبيل القضاء على الأمراض ، التى كانت تجتاح البلاد ، نجاحا عظيما • وانه لما يسترعى النظر ، أن من يزور الصين اليوم ، ليسر من نظافة وترتيب المنازل والشوارع الى حد كبير •

وقد بدأنا جهادنا وحملاتنا الصحية ، على أسس منظمة ، اذ قامت فرق من جيش الشعب بالاشراف على نظافة المدن التى تحررت من عهد « الكومنتاج » • وكان رجال الجيش يعملون بأنفسهم ، لينفضوا غبار الماضى ، ويتخلصوا من أساليبه البالية • وقد أحكم الاشراف على خزانات المياه ، ومصادرها • وبذا اختفت النزلات المعوية ، وقلت نسبة وفيات الاطفال ، وقد أخذنا فى اعطاء الأمصال والحقن الواقية من الأمراض المعدية ، حتى أنه لم تحدث اصابات بالكوليرا ، أو الجدرى مما كانت تنتشر فى الماضى ، واختفى الذباب كلية من المدن الكبيرة •

وفى سنة ١٩٥٢ تأسست الجماعة الصحية ، للقضاء على الطفيليات على نطاق واسع • وبدأ الناس يتعاونون معها • فكانوا يقضون على الناموس والحشرات الاخرى ويبيدونها فى أماكن فقسها حتى لا يكثر توالدها ، كما شنوا حربا على الفئران ، وجميع الحشرات الضارة الاخرى • وقد تعهد كل شخص بالقيام بالمساهمة فى ابادة ما يصادفه منها • كما تكونت فى الادارات المدنية ، والمصانع ووحدات الجيش فرق للخدمة الصحية ، والقضاء على تلك الآفات ، وبذا اختفى الذباب من المدن الكبيرة •

وقد وضعت الصين سياسة ثابتة للقضاء على الامراض المتوطنة ، مثل الطاعون ، والملاريا . ومن أجل ذلك وضع نظام شامل ، لانشاء عدد من المستشفيات ، والعيادات ، والمؤسسات الصحية ، والقيام بالارشاد الصحى . حتى يعم نفعها لجميع البلاد . كما أعيد النظر فى تنظيم نظام القابلات واجراء عملية التوليد على أسس صحية ، مما كان له أعظم الاثر فى الابقاء على حياة كثير من الاطفال .

وقد أعد لذلك مكان محترم يتناسب ، وكرامة مهنة الطب ، التى لها فى بلاد الصين تاريخ خالد ، يشهد لها بتفوقها فى هذا الميدان . ولذا عملت حكومة الشعب جاهدة على احياء هذا التراث القديم ، وتجديده على نهج جديد ، مع شىء من التوسع .

وبما أن عددا من الشبان قد درسوا الطب فى الجامعات الغربية ، فيقوم عدد منهم الآن بدراسة الانظمة القديمة التى كان يتبعها الطب الصينى فى الماضى ، لتهذيبها ووضعها على نمط حديث، ومزج مايرونه مناسبا منها لاتخاذه ووضعه فى شكل يكفل للناس الانتفاع به .

كما قدمت الخدمات الطبية المجانية للعمال والزراع عن طريق اتحاداتهم ، وجمعيات التأمين ، خصوصا فى المناطق التى يكثر تعرضها للأوبئة . وقد اتسع نطاق هذه الخدمات الطبية بمجرد اصدار لائحة تأمين العمال فى السادس والعشرين من فبراير سنة ١٩٥١ ، فشمل عمال المصانع وأسرهم ، وعمال المناجم ، ويبلغ عدد المنتفعين منهم بهذه الخدمات حوالى عشرة ملايين نسمة .

وقد اتسع نطاق هذه الخدمات فى السنة التالية فشمل الجهات التى تسكنها أقليات ، وكان من نتيجة ذلك أن أصبح ست وتسعون مليونا من الاشخاص محل رعاية طبية مجانية سواء أكانت جزئية أو فرعية.

وان الخطوات السريعة التى خطتها الصين فى الميدان الاقتصادى ، جعلت في وسعها النهوض بالخدمات الطبية على نطاق كبير ، اذ توفرت لديها الامكانيات ، ووضعت لها أسسا ثابتة ، وتبعا لذلك منح علاج مجانى لجميع عمال الحكومة فى السابع والعشرين من سنة ١٩٥٢ ، سواء من كان يشتغل منهم فى التعليم ، أو المؤسسات الاقتصادية • كما شمل جميع العمال والاحزاب السياسية الديموقراطية وتبلغ فى مجموعها ملايين الافراد •

ولكى يعم انتفاع جميع أفراد الشعب بالخدمات الطبية حثت وزارة الصحة الناس على الاهتمام بالناحية الصحية ، وحشدت لذلك جيشا من المشتغلين بالأمور الصحية قوامه ثلاثمائة وخمسون شخصا • وقد خصص ثمانمائة وثلاث وستون سريرا فى المستشفيات ، وأربعة آلاف وثلاثمائة وسبع وثمانين سريرا فى المصحات ، ومائتين وخمس وتسعون سريرا فى المراكز الصحية ، ويشمل عيادات خاصة للخدمة الاقليمية ، سواء فى المدن أو القرى • اذ أن المراكز الصحية فى الريف ستساهم فى ذلك •

وفى نفس الوقت سيزداد عدد من يتمتعون بالعلاج المجانى • وقد حشدت الجهود لاجل هذا الغرض فى بداية سنة ١٩٥٢ من المشتغلين بالتعليم ، وانتشرت الفكرة بين طلبة الجامعات وعدد من موظفى الجهات الادارية فى المدن وفى قرى الريف •

وكثيرا ما تتلقى الادارة الصحية خطابات تفيض بالشكر ، ممن لقوا عناية فائقة فى النواحى العلاجية •

ولقد ذكر لى أحد أصدقائى وهو « لوتانج » فى سياق حديث بيننا ذكرنا بالماضى ، حيث قال : « حينما كنت تلميذا كان أبى يعمل موظفا مدنيا صغيرا وكنا فقراء ، ونعانى كثيرا من المتاعب من أجل ذلك ••

ويوما ما شعر والدى بمرض ولم يستطع الذهاب الى عمله ، فكتب خطابا يطلب فيه اجازة مرضية فرد عليه رئيسه ردا سيئا ، وهـدده بالفصل لادعائه المرض • وقد تملكه الغضب والحزن حتى اشتد عليه المرض ، فانظر يا صديقى الى ما كنا عليه وما أصبحنا فيه • بفضل نظام جمهوريتنا الجديدة • حقا لقد تغيرنا كثيرا • فالخدمة الطبية ، والعناية الصحية فى تحسن مضطرد •

وان الصين بلا شك لتعتقد ان أساس تقدمها الانتاجى ، ونهوضها الاقتصادى هو الاهتمام بصحة الشعب الذى يعمل وينتج ويكافح • ومن أجل ذلك قامت تأمينات العمال فى المصانع ، والمنـاجم • كما تقوم فى نفس الوقت بتوفير الامكانيات لتعم الخدمات الطبية ، وينتفع بها كل سيدة ورجل وطفل فى الصين •

٢٧ — الموسيقى قديماً وحديثاً

لقد حدث تطور هام فى الموسيقى الصينية ، خلال الثلاثين عاما الأخيرة • اذ أخذت المدارس والمعاهد الموسيقية الراقية فى ادخال الموسيقى الغربية ، واهمل شأن الموسيقى الوطنية ، ولم تبق الا أثرا من آثار الماضى ، لا يهتم بها الا بعض المواطنين فى القرى ، وعدد من المقاهى القديمة ، حيث يتخذ المداحون منها مصدرا لرزقهم ، هذا الى جانب عدد من الفنيين المتجولين الذين يجوبون الشوارع والطرقات ، يعزفون على آلات موسيقية من العهد القديم ، أو يقيمون بعض الحفلات الوطنية فى الأفراح ، أو يتقدمون بعض الجنازات ، أو يدعون الى اقامة بعض الحفلات الموسيقية فى عدد من بيوتات الأسر العريقة التى عاصرت الزمن القديم ، ولا تزال عقلية أفرادها تتأثر بالموسيقى القديمة •

وقد كان من أهم أغراض الثورة على الموسيقى ، هو النهوض بها ، واحياء تراثها القديم ، واعادة مجد الصين فى عالم الموسيقى • ولكن مع ما بذل من جهود جبارة فى هـذا السبيل ، بعـد انتهاء الاعتـداء اليابانى الأخير ، فان التغير فى الموسيقى لم يشمل الا مناطق محدده• ولقد امتد نطاق التجديد فى الموسيقى خلال السبع سنوات الاخيرة ، فشمل مناطق أكثر ، وقد ظهر أثر هذا التطور فى غناء أرباب الحرف من صيادين ، وبحارين ، وحدادين ، وبنائين ، وعم ذلك حتى شمل الاغانى القومية •

كما لم تهمل الموسيقى الدينية وخاصة ما كان مكتوبا منها باللغـة

الصينية ، من أيام كونفوشيوس · اذ بحثت بعناية ، وادخلت عليها بعض التحسينات ·

ولذا نجد الآن كثيرين من الموسيقيين يعزفون ألحانا غربية ، على آلات عزف منفردة ، ومنهم من أصبح يعزف « السيمفونيات » الشهيرة ضمن أفراد فرقة موسيقية مما خطا بالموسيقى الصينية خطوات واسعة نحو التقدم وحدا بكثيرين من المؤلفين الصينيين الى وضع ألحان مختلفة من الموسيقى الغربية ، وصار فى الصين مقطوعات موسيقية غربية ، تعزفها فرق كاملة · هذا الى جانب فرق قد تعزف الحـانا تجمع بين الموسيقى الغربية والصينية ·

الفهرس

صفحة

صفحة

طبع بدار العالم العربى بالقاهرة

مكتبة الثقافة الشعبية

مجموعة جديدة تقدمها دار المعارف إلى العالم العربي متوخية فيها تحقيق الأهداف الآتية :

١ – أن تجعل القارئ العربي متصلا بجميع الحضارات على اختلاف مذاهبها ومناهجها فيقف عليها و يستوعبها بما تضعه هذه المجموعة بين يديه من ترجمات دقيقة أمينة .

٢ – أن تساعد محبي الاطلاع والتوسع على تنمية ثقافتهم العامة فتزودهم بموضوعات جليلة الشأن ولكنها سهلة المأخذ تقتطفها لهم من مختلف حدائق الفكر .

٣ – أن توفر للراغب فى التخصص موضوعات تكون له بمثابة المدخل إلى كتب التخصص .

مكتبة الثقافة الشعبية

لايستغنى عنها القراء على مختلف درجات ثقافتهم

ظهر منها :

١ – لمحات من تاريخ العالم — بقلم جواهر لال نهرو
ترجمة الدكتور عبد العزيز عتيق

٢ – العمال والأجور — بقلم جورج صول
ترجمة ماهر نسيم

٣ – الصين المتحررة — بقلم نخبة من كتابها
ترجمة أحمد مصطفى

دار المعارف بمصر

ملتزم التوزيع : مؤسسة المطبوعات الحديثة